كمـــــــال مظهـــــــر أحمـــــــد

خمســـون ســـنة فـــي دراسة التاريخ وكتابته

الأستاذ الدكتور : أحمد ناجي الغريري

النجف الاشرف / **2007**

مقـــــدمة

لم التقيه يوما ، ولم يتسنَ لي أن أتبين ملامحه أو حتى مقدار سني عمره ، سوى سماعي أنه رجل قد تجاوز العقد السادس من العمر ، طويل القامة ، هادئ الطبع والمسير ، يذوب رقة في خلقه ، وواسع العلم معطاء شجاع ثوري .... ولا شيء أعرفه أكثر من ذلك . وكنت حينها في المرحلة الرابعة في كلية التربية / ابن رشد في جامعة بغداد الواقعة في قبالة كلية الآداب التي كان يدّرس فيها . وفي هذه الأثناء كنت قد اعتدت عند الساعة الواحدة عند الظهر من كل يوم أن أقف عند الباب الرئيسي لكلية التربية لأنيهة انتظر فيها بعض الزملاء ، وهي فرصة أيضا لأرى فيها الدكتور كمال مظهر أحمد الذي سبقت شهرته إلى نفسي صورته، ولا سيما بعد أن قررت التهيؤ إلى مرحلة الدراسات العليا. وكنت دائما المح رجلا عند باب الكلية تنطبق عليه ما علمته من ملامحه ، فحاولت مرارا أن اصنع موقفا يجمعني وإياه .

وفي ذات مرة اقتربت من الرجل المعني ووقفت متسمرا دون حراك انتظر الكلمات تنساق دون تقديم وقلت له : أستاذي الفاضل بكل تواضع التمس منكم بضعة دقائق لمحادثتكم حول أمر يتعلق بطبيعة دراستي وأنا المهتم بتاريخ العراق المعاصر ، وأنا اعلم علم اليقين أنكم مهتمين كثيرا بهذا المجال من التاريخ .... .. صمت الرجل قليلا وكأنه يتأمل ما صدر من كلمات ، ولا سيما بعد أن تبين له حقا ، أنني قد أخطأت في تحديد الشخص المعني !! وقال : عفوا يا بني من تقصد بكلامك هذا ؟ قلت له : أنت .... الدكتور كمال مظهر أحمد !! ابتسم قليلا وهز برأسه قائلا : هذا الأمر يا بني محال !! فشتان ما بيني وبين من تعنيه من أستاذ !! فالدكتور كمال مظهر احمد علم ودعامة علمية لا يضاهيه أحد !! قال لي ذلك والتفت إلى كلية الآداب .. وأومأ بيده هناك سوف تلقاه متوسطا جمع من طلبته في غرفته يتحاور معهم ويتناقش دون ملل أو كلل !! وهذا ما لا نقدر عليه نحن !! فشتان ما بين الأمرين . ثم اعتذر بكل تهذيب وتفارقنا دون عودةٍ للقاء .

أطرقت صامتا لبرهة وقد دهشت لما مررت به !! ومع ذلك ، وجدت أن ما حصل قد زادني إصرارا على لقاء الدكتور كمال . ... وتمر الأيام ويتم قبولي في الدراسات العليا ، فكان أحد مصادر معلوماتي ومحفزاتي على التحصيل العلمي . وبعد أن أنهيت مرحلة الماجستير والكتابة في الدكتوراه ، شاءت الصدف أن يكون رئيسا للجنة مناقشتي للحصول على تلك الدرجة ، فكان ذلك فاتحة الطريق لبناء علاقة بيننا قائمة على التجاذب العلمي ، وكان ضمن سلسلة الأساتذة الذين مررت بهم واستفدت منهم في مسيرتي العلمية ، وممن قررت الكتابة عنهم فيما بعد [1] . وعلى الرغم من أنه كان أول من اخترت الكتابة عنه ، إلا أن ظروفا ، لا سيما توعكه وانتقاله إلى اربيل والتدريس في جامعة هذه المحافظة حال دون اكتمال مشروع الكتابة قبل غيره من مؤلفاتنا ممن بدأناها بعده .

إن الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد ، أحد أعمدة الحركة العلمية في العراق في تاريخه المعاصر[2] ، له من الكتابات ما أثرى به المكتبة العربية بجليل ما قدمه وبدقة ما تناوله من موضوعات ، شكلت بمضمونها قفزة في مجال الفكر وتطويره .

وفي كتابنا هذا سيلج القارئ الحصيف عالم هذا الرجل بما تضمنه من أفكار وتوجهات ومآثر ، تفخر الأمة بأن أبناء لها حازوا تلك المكانة العلمية ليس على نطاق البلد إنما تعدى ذلك إلى المستوى الإقليمي والدولي . ومن المؤكد أن هذه الأهمية لم تأتِ من فراغ أو لهوٍ بالقلم ، بقدر ما كان للخزين المعرفي وما عمد إليه من توظيفٍ صحيح لهذا المتراكم من المعرفة ، أثره في أن يحظى بمثل تلك المكانة .

---

(1) في هذا السياق صدر لنا كتاب سنة 2005 عن الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف بعنوان " عماد عبد السلام رؤوف : أربعون سنة في دراسة التاريخ وكتابته " وكتاب عن أستاذنا الدكتور محسن محمد حسين : حياته ، آثاره ، منهجه في كتابة التاريخ " صدر سنة 2011 .

2 يعد الدكتور كمال مظهر أحمد واحدا من المميزين من الجيل الثاني للمؤرخين العراقيين .

ففي المدخل المعرفي أو التمهيد حاولنا تقديم صورة واضحة للتجاذبات السياسية في العراق ، وانعكاس ذلك على الوضع العام ، ومن ضمنها بالتأكيد الحركة العلمية مما هيأ لظهور شخوص حملوا أوزار مهمة البناء الفكري في العراق .
والى ذلك ، كان كتابنا إفصاح واقعي عن شخصية كمال مظهر الإنسانية المندمجة بتوجهاته العلمية الموظفة صوب خدمة الحقيقة التاريخية ، وهذا ما يمكن تلمسه لمن زامله ومن كان يعيش بمعيته ممن أتحفونا بكتابات أوضحت ما ذهبنا إليه . وعليه فقد عولنا على بيان تلك الملامح بدراسة سيرته ، مستفيدين مما وقفنا عليه من كتابات ضمنية ومن مقابلاتنا للعارفين به ومنه شخصيا ، إلى جانب ما اطلعَنَا عليه من بعض مَن عاصره سواء من الأساتذة أو من طلبته ، إلى جانب معرفتي البسيطة به ، وكل ذلك شكل لدينا مادة تاريخية استفدنا منها في كتابة سيرته وبالتالي الاطلاع على توجهاته ورؤاه إزاء بعض القضايا والظواهر الاجتماعية التي بمضمونها أفصحت عن فكر ثاقب امتلكه هذا الرجل [3].
والى ذلك ، خصصنا مساحة واسعة للإفصاح عن آثاره من خلال بيان ما تصدى له من موضوعات وقضايا ، سواء الوطنية أو الإقليمية أو الدولية إلى جانب دراسة مستفيضة لمنهجه في كتابة التاريخ وبيان إسهامه في إضافةٍ منهجيةٍ عززت ما يمكن أن يسمى بـمنهجية كتابة التاريخ في العراق .

تمهيد

على وفق ما حصل في العراق أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، من متغيرات طرأت على البنى التحتية للمجتمع العراقي عموماً ، إثر بقائه لأكثر من بضعة قرون ، يئن تحت طائلة التخلف العثماني ، برزت فئة مثقفة في العراق ، يمكن القول أنها نتيجة لتفاعل أكثر من عامل ،عنيت بمحاولة تغيير ما الفته من واقع مترد ٍ . وبشكل أو بآخر تمخض عن هذا التفاعل الالتفات صوب ما حصل من متغيرات إقليمية إبان تلك المرحلة ، كما هو الحال في مسألة (المشروطة)[4] في إيران وإعادة العمل بالدستور في الدولة العثمانية ، إلى نهاية تلك الدولة بمؤسساتها التي كانت ترقى إلى مرحلة العصور الوسطى ، وما شهدته تركيا من جراء هذا التحول من تغيير جوهري في كيانها ، ولا سيما بعدما أقرت الخلافة العثمانية من آلية مزجت من حيث لا تدرك ، بين السلفية ومبعثها توجهات وتوجيهات شيخ الإسلام العثماني ، وبين التماهي مع الضغوطات الغربية المقننة لمعروفة بـ (بالإصلاحات الهميونية)، بالأخص بعدما أطلق عليها القيصر الروسي (نيقولا الأول) مصطلح الرجل المريض ، وما نتج عنه من تكالب للدول الكبرى عليها . ولعل من أهم تلك المتغيرات ، هو مجيء (مصطفى كمال)[5] ، فكانت العلمانية بديلاً عما سبقها من آلية لمسار الحكم في تركيا .

---

(3) يعرف المثقف بأنه من امتلك موقفا إزاء قضايا بلاده .

(4)هي إعلان النظام البرلماني في الدولة العثمانية وبموجبه أصبحت الوزارة مسؤولة أمام البرلمان وليس أمام السلطان، كما أن صلاحية تشريع القوانين أصبحت من اختصاص البرلمان، وقد أعلن السلطان عبد الحميد المشروطة مرتين ، مرة عند بداية حكمه وهي المشروطة الأولى في 19 آذار 1877، وفي 23 تموز سنة 1908 أعاد المشروطة والدستور مرة أخرى فيما سمي بـ (المشروطة الثانية). ، علي شاكر علي: تاريخ العراق في العهد العثماني 1638-1750، (الموصل، 1985)، ص 21-26..

(5)ولد في 19 مايو 1881 في مدينة سلانيك اليونانية وكانت تابعة للدولة العثمانية وقتئذ ، توفي في 10 نوفمبر 1938. أطلق عليه اسم الذئب الأغبر، واسم أتاتورك (أبو الأتراك) وذلك للبصمة الواضحة التي تركها عسكريا في الحرب العالمية الأولى وما بعدها وسياسيا بعد ذلك وحتى الآن في بناء نظام دولة تركيا الحديثة.

وليس بخافٍ على أحد ما شهدته تركيا من طفرة نوعية في بنيتها إثر خروجها من ربقة الهيمنة اللاهوتية[6] العثمانية . فكان طبيعياً وأمام هذا المتغير النوعي لدولة مجاورة ، أن تتحفز الفئة المثقفة من أبناء البلد ، على الاندراج في هذه العملية من التغيير ، فنادت بضرورة التعليم ، وتوجه أبناء الطبقة الميسورة إلى الالتحاق بالمدارس التركية والغربية ـ على فرض أنها مدارس ليست عثمانية متخلفة ـ وازداد اهتمام الدولة بالتعليم في العراق ، وازداد معها نسبة المتعلمين وتطورت المناهج ، وبدأ التوجه نحو البعثات العلمية إلى خارج العراق . وكانت نتيجة هذا التفاعل ، ظهور طبقة مثقفة أثّرت بشكل فاعل في مجريات الحياة في العراق ، بما فيها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية . ومن ذلك، فان العراق يكون قد دخل مرحلة جديدة من الخضوع لدولة استعمارية ، إلا أنها كانت أكثر انفتاحاً وأشد وطأة. ولعل هذا الأمر كان بداية لمرحلة تغيير في بنية الحياة في العراق ، ولاسيما أن هذه المرحلة شهدت تدفق رؤوس الأموال بتنامٍ واضحٍ في السوق العراقية ، وهو بالتأكيد ما مهد لبروز ما عرف بـ (البرجوازية الوطنية)[7] وتطور العلاقات الرأسمالية ، إلى جانب النمو الملحوظ للفئة المثقفة التي أسهمت البرجوازية الرأسمالية المنظمة ، في إشراكها بتنظيم الإنتاج . وذلك ما مهد الى ظهور الانتلجنسيا[8] البرجوازية، بوصفها قوة ذات تأثير واضح في المجتمع من خلال صياغة أفكار تلك الطبقة وتوظيف فلسفتها على ارض الواقع . وقد شكلت تلك التحركات من لدن المثقفين العراقيين ، حركة منظِرة ومؤثِرة في الواقع الاجتماعي للشعب ، فكان من ضمن انجازاتها ، التفاعل مع سياسة الحكم والتأثير في بنية المجتمع في ضوء المتغيرات الاقتصادية .

وفي عشرينيات القرن العشرين ، أرسيت الدعائم الأساسية لمؤسسات التعليم العالي في العراق ، حين صدر أول نظام لكلية الهندسة سنة (1924) . ومن خلال تبوء تلك الفئة المثقفة لمراكز ومناصب حساسة في الدولة ، فقد انسحب تأثير هذه المواقع على الحياة العلمية للشعب ، وهو ما يمكن تلمسه بعد سنة (1932) ، حين أصبح العراق عضواً في عصبة الأمم وبروزه دولة يحظى بعلاقات شبه متوازنة مع دول العالم الأخرى ، ما مكنه من الاطلاع على ما يرى وما يدور من تحديثٍ في بنيتها العلمية والتربوية . وفي مطلع الثلاثينيات تم افتتاح دار المعلمين العالية سنة (1935) وتطوير الدراسة فيها ، وما تبع ذلك من صدور نظام رقم 43 لسنة (1938)، إذ أصبحت الدراسة بموجب هذا النظام أربع سنوات . وفي هذه السنة صدرت لائحة لتنظيم الدراسة في كلية الصيدلة وبعد خمس سنوات تأسست كلية الآداب والعلوم ، وضمت الفروع العربية وآدابها والاجتماعيات والفلسفة والطبيعيات والرياضيات ، وراحت تنمو بخطوات واسعة لاسيما في مجال تنويع الدراسة .

وبعد أن تجمعت لدى وزارة المعارف ، مقترحات منطقية من مختلف الجهات المعنية بتأسيس جامعة في بغداد بصيغتها النهائية ، أُقرت لائحة المقترحات تلك ، وتم قبولها من قبل

---

[6] اعتمدنا مصطلح ـ لاهوت ـ لتقريب المعنى بين ما كانت عليه المؤسسة الدينية العثمانية من تأثير في سياسة الدولة ، وبين ما كانت تعنيه المؤسسة الدينية في مرحلة العصور الوسطى .

(7) وتمثل البرجوازية الوطنية فئة أصحاب العمل المحليين الذين لهم مصلحة في التطور الاقتصادي والسياسي المستقلين لبلدانهم .

Intellectual(8) الانتلجنسيا تعني النخبة المثقفة وهي تسمية أطلقت في القرن التاسع عشر على المثقفين الذين انتقدوا النظام القيصري الروسي، وهي .فئةٌ اجتماعية تتألف من أناس يمارسون نشاطا فكريا، بحكم مهنهم . ومنهم رجال العلم والفن والمهندسون والتقنيون والأطباء والمحامون والمعلمون والجزء الأكبر من الموظفين. وهم ليسوا طبقة منفصلة، ذلك أنهم لا يشغلون مكانا مستقلا في نظام الإنتاج الاجتماعي. وفي المجتمع الاستغلالي يتألف المثقفون وتنمو صفوفهم من أوساط الفئات الغنية .

المجلس في 25 أيار (1946) . وكان من بين التوصيات الهامة التي تقدم بها المستر مورغن. (A . E .Morgan) رئيس القسم التربوي في المعهد البريطاني ضمن تقريره في حزيران (1947) بخصوص وضع خطة للتعليم الجامعي في العراق ، أن تكون الخطوة الأولى التي يجب أن تتخذ في تأسيس الجامعة ، هو إنشاء كلية الآداب من أقسام علمية وعلوم مجردة . وفي سنة (1951) ، افتتح معهد للآثار والحضارة بالتعاون مع مديرية الآثار القديمة ، وأُلحق المعهد بعد ذلك بالكلية . وفي أيلول سنة (1956) شرع قانون جامعة بغداد إلى الوجود ، ونصت المادة الخامسة من القانون (60) الخاص بالتعليم العالي ،على أن تعنى الجامعة بالدراسات العليا وبتشجيع البحث العلمي والعمل على نشر الدراسات العلمية والأدبية والفنية والاهتمام بالفضائل الخلقية وبالحضارة العربية والإسلامية[9].

ومن الواضح أن هذا التوجه من لدن الدولة ، كان حافزاً لمن امتلك عقلية علمية ، ودعوة له لتفعيل تلك الإمكانات وبالتالي العمل على توظيفها لتأسيس شخصية علمية أكاديمية ، تمثل بوجودها عطاء ثراً للأجيال المتعاقبة .

وإزاء ذلك ، تأسست في العراق إبان العهد الملكي مروراً بالعهد الجمهوري ، مدرسة تاريخية قوامها علماء ومفكرين ، كان من بين أهم منجزاتهم العلمية تهيئة جيل متحفز ، يأخذ بعهدته التنظير للأجيال التالية له ، ويرسم لهم منهجاً علمياً لترصين الحركة العلمية والتربوية ، وكان من بين أولئك :

الدكتور كمال مظهر أحمد وسواه من الدارسين للتاريخ في ذلك الوقت ، إذ كان يستشعر ، بل يتحسس القصور الذي اكتنف الباحثين في التصدي لموضوعات سياسية ساخنة ، من خلال معالجات فكرية ، وآراء جريئة من شأنها تجسيد حقيقة التاريخ أكثر من طرح تلك الحقائق مغلفة بآراء ومفاهيم ، ليس من السهل إدراك مغزاها .

إن ما شهده الوطن العربي بل والعالم في النصف الأخير من القرن العشرين من متغيرات سياسية ، شملت نظم الحكم ، وظهور تيارات فكرية جديدة ، وسياسات عمدت إلى إيجاد مواقع وطنية بعيدة عن التكتلات الدولية أدى بالدراسات التاريخية أن تعتمد منحى ينسجم مع ظروف تلك المرحلة . فالنظرة إلى الماضي كانت تُخفي وراءها طرحاً سياسياً غير معلن ، والبحث في العصور القديمة ، يعني تهيئة الحاضر من خلال احترام الماضي ، ودراسة العهد الإسلامي يعني التعريف بالفضيلة الواجب الالتزام بها من قبل أبناء هذا الجيل ، بينما تقدم دراسة التاريخ المعاصر فهماً وطرحاً مقبولاً لتاريخ المجتمع والدولة الوطنية في العراق ، وهكذا لبثت موضوعات تلك الحقب ، بعيدة عن التناول الفكري لها ، بوصفها لا تشكل سوى حقباً استوفت مدلولاتها ، لا تقدم شيئاً يمكن أن تفيد من الطروحات السياسية والاجتماعية المعاصرة . وقد برز المؤرخ الدكتور كمال مظهر أحمد، بوصفه أحد أهم من تصدوا لمثل هذا النمط من الكتابات التاريخية ، جاهدا نفسه في تناولها من منظار فكري ، وان هيأ في ذلك لنفسه نقادا وردودا إزاء بعض ما تصدى له من موضوعات .

---

[9] للمزيد عن هذا الموضوع : ينظر جمال أسد مزعل ، نظام التعليم في العراق ، جامعة الموصل ، 1990 ، ص88 .

الولادة والنشأة العلمية :

ولد كمال مظهر احمد الحاج رسول في قرية (اخجلر) ، وهي ناحية تابعة للواء كركوك سنة (1937) ، وقدر له أن يمضي جل حياته في بغداد . وعن تاريخ ولادته يقول : ((إن الأهالي في ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين ، لم يبدوا اهتماماً بقضية الميلاد ، الأمر الذي أوحى للبعض من الأهل بأن الولادة كانت في السليمانية في حين أن الصحيح هو في اخجلر))[10]. ولأن والده كان ضابط شرطة ويعمل في تلك الناحية ، فقد تحققت الولادة فيها ، لا في السليمانية ولكن جرت العادة هكذا ، إذ يكتب في الوثائق الرسمية دائماً أنه من مواليد (السليمانية) أما الأسرة فجميعها من (السليمانية) [11].

ينتمي الدكتور كمال مظهر احمد إلى عائلة متوسطة مهنية ، فكان جده الأكبر ضابطا في الجيش العثماني . وقد تلقى تعليمه الأولي والثانوي في السليمانية . وما أن أكمل دراسته الإعدادية ، حتى قاده حسه التاريخي إلى قراءة المزيد من الكتب التاريخية ، ووجد ضالته في بعض الكتب مما كانت تحتفظ بها الأسرة ، التي لاحظت شغفه هذا ، وأرادت أن توجهه وجهة علمية ، فأهدته مجموعة من الكتب ، شكلّت انطلاقة له في باب التثقيف الذاتي . وقد صادف أن انتقل مع عائلته إلى بغداد بحكم وظيفة والده ، واكتشف طريقه إلى شارع المتنبي[12] وسوق السراي ،إذ تعرف على المكتبات الغنية بمقتنياتها ، وبخاصة مكتبة المثنى لصاحبها قاسم الرجب ، ومكتبة إبراهيم الأعظمي في مدخل سوق السراي ، ومكتبة البيان لعلي الخاقاني ، والمكتبة العصرية لمحمود القاموسي ، في وسط هذا الشارع تقريباً . ومن هذه المكتبات وغيرها ، أخذت تنمو مكتبته الشخصية ، فصار من مقتنياتها في ذلك العمر المبكر، الكثير من كتب التاريخ وفروعه .

وفي سنة (1959) ، تخرج كمال مظهر في قسم التاريخ كلية الآداب / جامعة بغداد ،إذ حصل على بكالوريوس تاريخ بمرتبة الشرف . وعمل مدرساً لمدة سنة واحدة بعد تخرجه من أيلول وحتى آذار (1960) . وراح يسعى إلى مواصلة دراسته العليا ، حين وجد نفسه مضطراً للبحث عن فرصة جديدة للدراسة ، فسافر هذه المرة إلى الاتحاد السوفيتي ـ سابقا ـ وانتسب الى معهد الاستشراق ـ أكاديمية العلوم السوفيتية[13] ـ واختار التاريخ الحديث مجالاً لدراسته ، فحصل على الدكتوراه في التاريخ الحديث سنة (1963) وتعرف هناك على أساتذة أجلاء وسعياً منه إلى بناء شخصيته العلمية ، التحق وبعد ست سنوات بمعهد الاستشراق مرة أخرى ليحصل سنة (1969) على شهادة الدكتوراه ناوك علوم (D. S . C) .

عاد بعد ذلك إلى العراق ، ليعمل تدريسياً في قسم التاريخ كلية الآداب / جامعة بغداد منذ تموز سنة (1970). وفي 29 تموز من السنة نفسها ، حصل على لقب مدرس ، وبعد ثلاث سنوات يكون قد حصل على لقب أستاذ مساعد وتحديداً في الأول من نيسان سنة (1973) ، وعلى درجة أستاذ سنة(1981) .

---

(10) كمال مظهر احمد : من مذكراته ، كتابة على الآلة الطابعة ، نسخة موجودة لدينا ، ص2 .

(11) المصدر نفسه ، ص2

(12) يقع شارع المتنبي في وسط العاصمة العراقية بغداد بالقرب من منطقة الميدان وشارع الرشيد. ويعد السوق الثقافي لأهالي بغداد حيث تزدهر فيه تجارة الكتب بمختلف أنواعها ومجالاتها وينشط عادة في يوم الجمعة. ويوجد فيه مطبعة تعود إلى القرن التاسع عشر. كما يحتوي على عدد من المكتبات التي تضم كتباً ومخطوطات نادرة إضافة إلى بعض المباني البغدادية القديمة، وكانت مباني المحاكم المدنية قديماً والمسماة حالياً بمبنى القشلة، وهي المدرسة الموفقية التي بناها موفق الخادم، وكانت هذه المدرسة في مبنى القشلة الحالي (الذي كان موضع مديرية العقاري (الطابو) ووزارة العدل في العهد الملكي)، وحالياً هو سوق لبيع الكتب والمجلات القديمة والحديثة.

13 لم نعثر ولم يتيسر لنا توضيح لتلك العلاقة بين المسميين : معهد الاستشراق ـ أكاديمية العلوم السوفيتية ـ وما إذا كان المراد فيه الإشارة إلى منطلقات إستشراقية أخذت فيما بعد إطارها المعروف .

وبسبب نشاطه العلمي المميز ، أعيرت خدماته الى المجمع العلمي الكردي وشغل منصب الأمين العام ومساعد رئيس المجمع للشؤون العلمية بين سنتي (1971 و1975) . وقد ترجم له الأستاذ حميد المطبعي في موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين (الجزء الأول ، بغداد ، 1995) ، فضلا عن كتابات أخرى من ضمنها رسالة ماجستير في جامعة بابل .

في سيرته العلمية :

مع أدائه المميز لواجباته العلمية ، اغتنم الدكتور كمال فرصة وجوده في أوسع مؤسسة علمية في العراق وهي جامعة بغداد بما تحويه من مكتبات عريقة ، فأفاد من الكتب والمخطوطات الكثيرة الموجودة في مكتبة هذه المؤسسة . وفي هذا السياق من نشاطه العلمي ، ألقى محاضرات على طلبة البكالوريوس في المراحل الثانية والثالثة والرابعة في مواد تاريخ العراق المعاصر وتأريخ الكرد الحديث والمعاصر وتاريخ تركيا الحديث والمعاصر وتاريخ إيران الحديث والمعاصر ، فضلاً عن تدريس مادة منهج البحث التاريخي . وعلى الرغم من بُعد بعض هذه المواد عن اختصاصه الدقيق، فإنه تعمد تدريسها ليوسع من نطاق ثقافته التاريخية .

والى ذلك ، يبقى من الضروري الإشارة إلى أن كمال مظهر ، لم يتحدد في نشاطه العلمي وسعيه على التدريس في جامعة بغداد ، إنما امتد عطاؤه إلى ابعد من ذلك الأفق ، ليلقي محاضرات على طلبة الدراسات العليا (دبلوم عالي وماجستير ودكتوراه) في معهد شعوب الشرقين الأدنى[14] والأوسط التابع لأكاديمية علوم أذربيجان السوفيتية ومعهد البحوث

---

14 أو الشرق القريب ، وهو مصطلح يستخدمه علماء الآثار والجغرافيون والتاريخيون، ويستخدم بدرجة أقل من قبل الصحافة، ليشير إلى منطقة الأناضول (تركيا الحالية)، والهلال الخصيب الذي يقسم بدوره إلى بلاد الشام وتقسم أي الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين وإسرائيل، وبلاد ما بين النهرين وهي العراق وشرق سوريا حالياً، ومصر .

والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية والمعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية ومعهد التاريخ والتراث العلمي العربي وكلية الدفاع الوطني بجامعة البكر في مواد دراسات في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ودراسات في التكوين الاجتماعي والتطور الاقتصادي في العراق أواخر القرن التاسع عشر ـ بداية القرن العشرين ، وخصائص العلاقات الدولية المعاصرة والفكر الأوروبي في عصر النهضة ومنهج البحث التاريخي والفكر النازي والفاشي وأصول التحليل التاريخي وخصائص تاريخ إيران الحديث والمعاصر وإيران في العهد القاجاري ودراسات في تاريخ تركيا الحديث والمعاصر وغيرها .

وفضلاً عن ذلك ، ألقى محاضرات عامة في شتى الموضوعات التاريخية والثقافية في معظم الكليات الإنسانية التابعة للجامعات العراقية ، وفي العديد من المؤسسات العلمية والثقافية مثل " اتحاد المؤرخين العرب " و "اتحاد الأدباء في العراق" و" جمعية حقوق الإنسان " و" جمعية الثقافة الكردية " و "دار الثقافة والنشر الكردية " و" نادي الأرمن " و " الجمعية الأرمينية الخيرية " ومركز آشور بانيبال الثقافي ونادي صلاح الدين ومؤسسة عبد الحميد شومان الأردنية[15] وغيرها .

وعلى مدى سنوات تواجدي في كلية التربية / ابن رشد ، حين كنت طالبا في الدراسات الأولية ومن ثم العليا ، وحتى بعد تخرجي في هذه الكلية ، لم انقطع عن التواصل مع أساتذتي ، وكنت ارقب عن كثب الدكتور كمال ، وكأنه كتب على نفسه أن يسجل حضوراً في معظم المؤتمرات التي تعقدها الجامعات العراقية ، ولاسيما جامعتي المستنصرية وبغداد . وهو أمر اعتاد عليه مسبقاً ، ولم يكن وليد الثمانينات اذ كنت طالباً في الكلية . والى ذلك ، يكون قد حضر جميع المؤتمرات والندوات التاريخية التي عقدت في موسكو وباكو في أثناء دراسته في الاتحاد السوفيتي في المدة بين عامي (1960 و1970) .

وواضح انه بمشاركاته تلك ، يكون قد أسس لنفسه شخصية علمية ، حققت حضوراً واضحاً في الوسط العلمي والأكاديمي ، مما شكل تواجده في أي ندوة أو مؤتمر علمي ، ثقلاً لتلك النشاطات العلمية . ففي آذار سنة (1973) عقد المؤتمر الدولي للتاريخ في بغداد ، ووجهت له الدعوة ، ليس بوصفه باحثاً مشاركاً ، إنما مقرراً للجنة الامبريالية وحركات التحرر الوطني ، وعضواً في لجنة صياغة مقررات المؤتمر ، إلى جانب اشتراكه ببحث ألقاه في المؤتمر بعنوان " الأبعاد والملامح الأساسية لحركة التحرر الوطني للشعب الكردي " . وفي تموز من السنة نفسها، عقد في باريس مؤتمر الاستشراق الدولي ، فاشترك ببحث حمل في طياته هموم شعبه وهواجس خوف شديدة على تراثه الحضاري المهدد بالضياع ، حين كانت السياسة وقتذاك ترسم للباحثين لديها ، كيف للتاريخ أن يدّون، وقد كان عنوان بحثه " حول مشكلات دراسة تأريخ الشعب الكردي ، ومهمات المجمع العلمي الكردي " وهي دعوة كان يوجهها للرواد من المثقفين الكرد ، أن يأخذوا بزمام المبادرة ، في حفظ تراث شعبهم ، وتدوين تاريخهم . ورغبة منه في أن يسهم المثقف في قضية العرب المركزية وقتذاك ، فقد اشترك في الندوة التي أقامها مركز الدراسات الفلسطينية لمناقشة واقع حال الحركة الصهيونية ، في

---

[15] مؤسسة تعنى بالشأن الثقافي أنشأها البنك العربي عام 1978 وحملت اسم مؤسس البنك- عبد الحميد شومان، وتسعى الى تحقيق أهداف عديدة منها :الإسهام في تشجيع الأجيال الجديدة من العلماء والمختصين والمبدعين، من خلال نشر وتعميم أبحاثهم، وتخصيص جوائز سنوية لتحفيزهم على الابتكار وتوفير مناخ البحث اللازمة لهم بإنشاء مكتبة متطورة، وإنشاء بنك للمعلومات يسهم في إيصال الباحث العربي بالمستجدات الكبرى المتسارعة في عصر انفجار المعلومات العلمية والتقنية، وتتبع ما ينشر من أبحاث في العالم العربي وفي العالم.

نيسان سنة (1974) . واشترك ببحث في المؤتمر الدولي لأفرام وحنين بن اسحق ألعبادي الذي عقد في بغداد سنة (1975) . وحين ساءت العلاقات بين العراق وإيران ، بعد تسلم (صدام حسين) للسلطة في بغداد سنة (1979) ، وإعلان الحرب بينهما بعد عام ، تفاعلت الساحة السياسية في العراق ، ولأنها كانت مؤثرة على بقية جوانب الحياة للعراقيين ، بل وراسمة ومخططة لما يجب أن تصير إليه الأمور في هذا البلد ، فقد عقدت ندوة تحت عنوان " إيران الحاضر والمستقبل " نظمها المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية في نيسان (1981) . ووجهت الدعوة إلى الدكتور كمال ، فاشترك ببحثين علميين اتصفا بالحيادية والعلمية الدقيقة هما " المؤسسة الدينية في إيران" ولاسيما أن تلك المؤسسة لم يمض على ظهورها في الساحة السياسية بتلك القوة سوى أشهر . وهي مؤسسة لم تفهم بعد من الآخرين ، أو تعرف أبعاد السياسة التي حملتها . أما البحث الآخر ، فهو " العلاقات الإيرانية السوفيتية " وهو بيان لأخطر ما يواجه الشرق الأوسط من تحديات التدخل الأميركي في منطقة الخليج .

وبعد سنة من تاريخ انعقاد هذا المؤتمر ، نظم المعهد نفسه ندوة حملت عنوان " تركيا الحاضر والمستقبل " اشترك فيها الدكتور ببحث تطرق فيه إلى واقع العلاقات السياسية بين العراق وتركيا ، وبيان مدى التجاوز التركي على الحدود الشمالية العراقية ، والتدخل في شؤونه الداخلية، ولاسيما ما يصفه بوضع التركمان في العراق.

وتماشياً مع نهجه المؤسس على التجاذب الفكري مع المثقفين والمؤسسات العلمية العربية ، التي كانت بدورها تسعى الى مد جسور العلاقة معه ، بوصفه احد أهم المثقفين والأكاديميين العراقيين ، فقد أجاب الدعوة التي وجهتها إليه " المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون" التابعة لجامعة الدول العربية في تونس في السابع والعشرين من حزيران سنة (1985) ، إذ اشترك ببحث بعنوان " الرأسمالية وتجارة الرق " .

وفي أيلول سنة (1995) ، اشترك في ندوة أقيمت في الدوحة بعنوان "العلاقات العربية ـ الإيرانية" إذ رفعت شعار الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل . وبعد سنة سافر إلى باريس ليشترك في مؤتمر الكرد والمدينة ، فكان له دور مميز في بيان الحضور الكردي في المدينة ، ودورهم في رفد الحركة العلمية .

والى جانب ذلك ، فقد ألزم نفسه ببرنامج عمل يومي ، أسبغ عليه صفة التقنين في عطائه . فهو إلى جانب مشاركاته المتعددة في المؤتمرات والندوات ، لم ينسَ ولو للحظةٍ واحدةٍ ، أنه معني بكتابة التاريخ ، فقد كان مواكباً لكل ما يرد على هذه الحركة من تطوير وتحديث ، غير متناسٍ ما يفرض عليه واقع مجتمعه من ضرورة أن يكون منتمياً إلى وطنه ، ملتزما التزاما شديدا بقضية شعبه وبهويته التي نذر نفسه في الدفاع عنها في أحلك الظروف وأقساها .

واشترك في لندن مع الدكتورة هالة منذر فتاح[16] والدكتورة آن ألكساندر الباحثة في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في الندوة الحوارية في الأربعاء (16تموز 2008) في الساعة الخامسة والنصف مساءا وعلى قاعة الخليلي في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بعنوان ((خمسون عاما على الثورة العراقية في 14 تموز 1958)) وأدار الجلسة البروفيسور (تشارلز تريب)الأستاذ في قسم العلوم السياسية في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية . وكانت هناك ترجمة جزئية لمداخلات المتحدثين .

أما محاور تلك الندوة ، فتمثلت بعدة تساؤلات بما فيها :

وبعد خمسين عاما من قيام الضباط الأحرار بالإطاحة بالعائلة الهاشمية المالكة، ما زالت أهمية ذلك الحدث التاريخي محط نقاشات حادة . فهل كانت تلك الثورة انتفاضة شعبية ضد فئة من أصحاب الامتيازات تتمتع بدعم بريطاني ؟ أم أنها مجرد مؤامرة عسكرية واستبدال

---

[16] مؤرخة وباحثة عراقية .

للجماعات الحاكمة في أعلى هرم السلطة ؟ هل كانت تلك الثورة هي فعلا مسؤولة عن نهاية حقبة سياسية ليبرالية وتعددية ؟ وما التركة الحالية للثورة وأحداثها؟

أما بخصوص مطبوعاته ، ففي بداية السبعينيات ، وحينما كانت القضية الكردية تتفاعل بشكل تصاعدي في منهج حكومة بغداد البعثية التي غمطت حقوقهم ، ارتأى الدكتور أن يُسّخر قلمه في بيان حركة تاريخ شعبه محاولة منه لإثبات الذات الملاحقة من حكومة بغداد ، فجاء كتابه " كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى " والى جانب ذلك ، ولأنه كان مثابراً وجاداً في عمله ، فقد أدرك بروية حين كان طالباً في الاتحاد السوفيتي ، طبيعة تعامل المفكرين السوفيت مع أحداث ووقائع التاريخ العربي ، فكتب سنة (1977) ، كتابه " ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي" وبعد سنة واحدة ، أصدر كتابه الآخر " تيكه يشتنتي راستي ، وموقعها في الصحافة الكردية ، وهو يسير في ذات الاتجاه الهادف إلى إثبات العطاء الكردي في تاريخ الحركة العلمية في العراق .

ومن الملفت للنظر ، أن الدكتور إعتاد على أن يصدر أكثر من كتاب في سنة واحدة ، بل تعدى ذلك في ذات مرة ليصل إلى ثلاثة كتب . وفي اعتقادنا ، أن مجمل ما أصدره من الكتب ، بحيث تصدر متزامنة في بعض الأحيان ، هي مضامين لمؤلفات كان قد هيأ لها قبل صدورها بسنوات ، مما يؤكد أن نشاطه العلمي والبحثي ، كان سابقا لعمره . ففي سنة (1978) ، انتهى الدكتور من كتابة مؤلفه " أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط " إذ جاء بواقع (296) صفحة ، وصدر عن وزارة الثقافة العراقية ، وهو من القطع المتوسط ، جاء إدراكا منه لما كان يدور من تفاعلات سياسية وفكرية في العالم ، ومقدراً انعكاس ذلك على بلاد المشرق ، الأمر الذي دفعه إلى البحث في موضوعات تتعلق بحقبة زمنية حساسة من تأريخ هذه المنطقة ، إستناداً الى ما تعنيه من أهمية بالغة الخطورة في تاريخ العالم بمختلف مراحله ، ولا سيما ما يعنيه الموقع والثروة فيه من دوافع استعمارية للدول الكبرى . وأمام ذلك ، كان لا بد من أن يستقرا المدلولات التاريخية لمنطقة الشرق الأوسط مع بيان أهميته ، فجاء كتابه بياناً واضحاً لتلك المفاهيم مع الإشارة لتاريخيتها ، والكشف عن الجهود الغربية المبذولة لإقرار هذه الحالة في تلك البلاد . وفي السنة نفسها ، يكون قد انتهى من إصدار كتابه "دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية " الذي صدر في بغداد ، وبواقع (197) صفحة من القطع المتوسط وكان بمثابة محاولة لتأكيد هوية الكرد العراقية ، وما يكتنفهم من شعور مشترك إزاء قضية بلادهم ، وتمسكاً بأحقية الكرد من خلال إسهامهم في بناء تاريخ العراق ،فقد أشار إلى مقدمات الثورة في المنطقة الكردية، والى الانتفاضة الكردية الأولى ضد الانكليز في منطقة زاخو أواخر شهر آذار (1919) ، ورد فعل الإنكليز إزائها . إلى جانب ذكره لانتفاضة الشيخ محمود في السليمانية[17]، وإلى ما حدث في (باه دينان) وانتفاضة تلعفر ، ملتفتاً إلى الجانب التنظيمي لتلك التحركات من خلال بيانه أهم الجمعيات التي تأسست إبان تلك الحقبة في المنطقة الشمالية ، مثل جمعية العهد فرع الموصل . وفي كل ذلك ، عول على ما تيسر له من وثائق ، أكدت أن أحداث كردستان ، وجدت شيئاً من الانعكاس العملي بين الوسط الثقافي العربي في مدينة الموصل ، فضلاً عن بيان اثر ما نشرته الصحف والجرائد المحلية من أنباء كردستان ، والتعريف بنشاطهم المسلح ضد قوات الاحتلال البريطاني ، ولاسيما حركة الشيخ محمود ، وهو بذلك يكون قد هيأ صورة جسدت نضال الكرد ضد الوجود البريطاني على ارض بلادهم .

ولأنه كان يعي أن أزمة بلاده هي أزمة فكر وثقافة ، وجدناه لا يتوانى في البحث عن أنجع الطرق وأسهلها لبيان فوائد نمو الفكر وانعكاسه على الشعوب ، فأصدر كتابه" النهضة الأوروبية " سنة (1979)، في بغداد ، وفي مجمل ما أودعه من موضوعات ، كانت تمثل سيرة الانجاز الأوربي وفلسفة هذا المجتمع في توظيف إمكاناته الاقتصادية والعسكرية . وبعد

---

[17] ثورة السليمانية بقيادة الشيخ محمود الحفيد البرزنجي في سنة (1918-1919) م ، وقمعت من الحكومة البريطانية .

سنتين أردفه بكتاب آخر يسير بالاتجاه نفسه ، مع تأكيده أهمية الطبقة العاملة وما يجب أن تصير إليه ، بوصفها من مكونات المجتمع الرئيسة ، وقد حمل هذا الكتاب الذي تجاوزت صفحاته (281) صفحة من القطع المتوسط ، وصدر سنة (1981) في بيروت بعنوان " الطبقة العاملة العراقية.. التكون وبدايات التحرك " إذ كان عزوف الباحثين عن التصدي لتاريخ الحركة العمالية الهامة في تاريخ العراق المعاصر ، سبباً دفع بالمؤرخ كمال مظهر احمد إلى البحث في تاريخها ، ولاسيما بعد أن تبين له أهمية دورها في بلورة الوعي الثوري في العراق . ووجد أن عمر هذه الطبقة يتحدد بمراحل ثلاث امتدت من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى ثورة 14 تموز (1958) [18].

ومن ذلك يبدو أن كمال يحاول أن يربط بروز واندماج هذه الحركة الجديدة على الساحة السياسية العراقية ، ببروز المد الشيوعي ومناصرته للحركات العمالية . فكان ذلك ، مدعاة له لبيان مراحل تطور هذه الحركة ، ومنوهاً بما شهدته في تاريخها من متغيرات ، فبحث في مراحل التكوين أواخر القرن التاسع عشر ، وعرج على الكشف عن جذورها التاريخية ، ولا سيما كشفه عن أهمية التغلغل الرأسمالي الأوروبي والتوجهات الاستعمارية في منطقة الشرق الأوسط .

والى ذلك فهو لم ينسَ ما للمرأة من دور يضاهي دور الرجل في تقدم المجتمعات ، فكتب باللغة الكردية كتابه المهم (ئافرتله ميزوودا) المرأة في التاريخ . وهو بحث تأريخي اجتماعي موجز ، أصدره سنة (1981) في بغداد أثبت من خلاله أحقية المرأة في أن تتبوأ مكاناً مرموقاً في مجتمعها ، مستشهداً بانجازاتها ، مما تؤهلها لمكان ريادي يضاهي الرجل في قيادة المجتمع .

وفي سنة (1984) أصدر كتابه (مكيافيللي والمكيافيلية) [19]، عرج فيه على الفلسفة المكيافيلية موضحاً طبيعتها وتوجه معتنقيها ، والغاية من كتابته .

وفي سنة (1986) وفي سياق عنايته بتاريخية الحركة العاملة في العراق ، أصدر كتابه باللغة الكردية " جيني كويكاراتي عيراق (الطبقة العاملة العراقية) ، إذ جاء تتويجاً لمساعيه الأولى للإفصاح عن دور الحركة العمالية في العراق ، ولا سيما في ربوع المنطقة الكردية . ولأنه مؤرخ معني بحركة تاريخ بلاده ، فقد وجد أن الكشف عن حركة التاريخ عند البلدان المجاورة والمرتبطة منذ عهود بعلاقات مصيرية مع بلاده ، أمر لامناص منه ، إذ إن تاريخ الشعوب ، في حركته مرتبط بشكل أو بآخر ، بتاريخية الشعوب المعاصرة له . وعلى وفق ذلك ، جاء كتابه (دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر)، الذي صدر في بغداد سنة (1985) ، بواقع (332) صفحة من القطع المتوسط ، وهو تعبير عن اهتمامه بتاريخ هذه الدولة الذي رافقه منذ الستينيات استناداً الى تخصصه بهذا التاريخ وفيه كشف عن حقبة من تاريخ

---

[18] من نضالات الطبقة العاملة على سبيل المثال لا الحصر إضرابات عمال البلدية في عام 1931 وكان من ضمن مطالبها إطلاق سراح السجناء السياسيين . هذا قبل أكثر من سبعة عقود. وبعد الأول من أيار من عام 1958 عندما قال ممثلو العمال لعبد الكريم قاسم في الرد على كلمته في الاتحاد العام لعمال العراق الذي طلب التعاون بين العمال والبرجوازية بحجة أنها وطنية وليست أجنبية. رد العمال: ليس هناك تعاون بين البرجوازية والعمال! فزج قادة العمال في المعتقلات ونفي قسما آخر منهم . وبعد مجيء البعث إلى السلطة، فتحت النار بعد أربعة أشهر من سلطتهم على إضرابات عمال الزيوت النباتية ، ليستمر هذا المشهد ، حتى تلاشت تلك الروح الوثابة لدى أبناء هذه الطبقة مع موت التوجهات الديمقراطية في العراق .

[19] نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلّي (dei Machiavelli Niccolò di Bernardo)، ولد في فلورنسا 3 مايو 1469، وتوفي فيها في 21 يونيو 1527، كان مفكرا وفيلسوفا سياسيا إيطاليا إبان عصر النهضة. أصبح الشخصية الرئيسة والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، الذي أصبحت فيما بعد ، عصب دراسات العلم السياسي. أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، الذي كان عملاً هدف منه أن يكون كتيب تعليمات للحكام، نُشرَ الكتاب بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، التي كانت صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية. ولقد فُصلت نظريات مكيافيلي في القرن العشرين.

الحروب الإيرانية الروسية ، بوصفها تمثل صفحة من العلاقات الدولية في الشرق الأوسط قبل ظهور الامبريالية . ووجد في التحدث عن أهم الأحداث التي شهدتها إيران في تاريخها المعاصر ، بيان لتركيبة المجتمع الإيراني ، إلى جانب تأكيد ما كان عليه هذا الشعب من خصوصية ، ألزمته بتعاملٍ خاصٍ مع الأزمات وما كان يواجهه من تحديات . ولتوضيح أدق لهذا الطرح ، وجدناه يُرّكز على الإفصاح عن المؤسسة الدينية في إيران ، وكأنه يروم القّول بما كانت عليه هذه المؤسسة من دور فاعل ومؤثر في تاريخ إيران الحديث والمعاصر .

وفي سنة (1985) ، صدر للدكتور كتاب باللغة الكردية بعنوان (جه ند لابه ره يه ك ميزووي كه لي كورد) (صفحات من تاريخ الشعب الكردي) إذ صدرت طبعته الأولى في بغداد ، والطبعة الثانية في ستوكهولم بعد ست سنوات . وفي الإطار نفسه، جاء كتابه " صفحات من تاريخ العراق المعاصر، دراسات تحليلية " سنة (1987) ، متناغماً مع ميل الدكتور ورؤيته الفكرية في سياق تصديه للموضوعات السياسية ، إذ صدر هذا الكتاب محللاً وبعمق تاريخ التفاعلات السياسية للعراق ، حين تناول جوانب أساسية ومهمة من تاريخ العراق الاجتماعي والسياسي . وقد برز اجتهاده في كثير من مفاصل الكتاب ، بما تضمنه من موضوعات خطيرة . فعلى سبيل المثال ، تطرق فيه وبدراسة مستفيضة ومعمقة لواقع الإقطاع[20] في العراق ، مع تحديد الإطار الشامل لتاريخيته ، فتصدى لبيان مراحله المختلفة بما فيها مرحلة الميلاد أو التكوين ، ثم مرحلة النمو ، وأخيراً مرحلة الانحلال والانهيار مما يهيأ ـ في تقدير المؤلف ـ إلى إلقاء الضوء على جوانب عديدة خافية عن ماضي البلاد .

وفي تقديمه هذا ، يرى الدكتور كمال أن ذلك أمر لا بد منه في دراسة الإقطاع في العراق ، بوصفه قد شكل الخطوط العامة للإقطاع كنظام وكمرحلة تاريخية ، لابد منهما حين دراسة العلاقات الإقطاعية لأي بلد ، فهي تسهم في التأسيس لقاعدة دراسة شاملة ومقارنة لهذا الموضوع ، خصوصاً وانه يرى أن التركيز على الإقطاع في مرحلة الانحلال والانهيار من شأنه أن يكشف جملة قضايا سياسية واجتماعية مهمة رافقت بروز وخفوت الإقطاع[21].

وقد انسحبت عنايته تلك إلى التحدث عن البرجوازية ومراتبها وسبل التعاون معها . كما تناول بالشرح والتحليل مجمل ما شهده العراق من أحداث ، مثلت إنعطافة خطيرة في مجرى أحداث العراق ، بما فيها ثورة العشرين وحركة مايس سنة (1941) ، ولم يغفل الإشارة ، بل والإسهاب في بعض الأحيان في التحدث عن شخصيات برزت إبان تلك الحقبة ، كان لها الدور الفاعل في تاريخ العراق المعاصر ، من أمثال الملك فيصل الأول ونوري السعيد ، إلى جانب إشارته لرموز السلطة البريطانية المحتلة للعراق ، وبيان أدوارها ، على قدر ما تسنى له معرفة تلك الحقائق على وفق ما تهيأت له من الوثائق .

وفضلاً عما اشرنا إليه من آثار الدكتور كمال ، فهناك كتابه المثير للجدل ، والذي جاء تحت عنوان (كركوك وتوابعها ، حكم الضمير والتاريخ) والذي صدر سنة (2004) وبواقع (223) صفحة من القطع المتوسط . وهو محاولة من الدكتور لاستقراء أصول تاريخية ، بغية إثبات الانتماء الكردي لكركوك . ويبدو أن الوضع العالمي المتأزم إزاء هذه المدينة قد شكل هماً مزمناً لديه ، فوجد في نفسه ميلاً واضحاً للكشف عن تاريخية هذه المدينة . فجاء كتابه هذا دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق " والذي صدر عن وزارة الثقافة بحكومة

---

[20] **Feudalism** مأخوذ من كلمة لاتينية متأخرة بنيت على أساسها في أوروبا الغربية ، مسألة اقتطاع الأرض وانتقالها إلى أيدي أخرى حسب أسس وشروط معينة . وقد جاء في المنجد في اللغة والإعلام: الاقطاعة جمع أقطاعات : وهي قطعة من الأرض الخراج يقطعها الجند فتجعل لهم غلتها رزقا . وجاء في " لسان العرب الجزء العاشر ، ص153" : والقطيعة ما اقتطعه مني واقطعني إياها . و قال ابن الأثير سأله أن يجعل له إقطاعا يتملكه ويستبد به وينفرد والإقطاع يكون تمليكاً وغير تمليك . يقال استقطع فلان الإمام قطيعة فاقطعه إياها إذا سأله ان يقطعها له ويبنيها ملكاً فأعطاه إياها . نقلاً عن كمال مظهر أحمد ، صفحات من تاريخ العراق المعاصر ، ، دراسات تحليلية ، بغداد ، 1987 ، ص9 .

[21] المصدر نفسه ، ص17

كردستان . وفيه كشف عن تقديره لأهمية البحث في تاريخ المدن ، وفي تاريخ مدينة رئيسة مثل كركوك التي استشف ما أفرزته التقلبات السياسية من غمطٍ لحقوق أهلها . فوجدناه لا يستهدف استثارة ذكريات محببة ، أو إشباع فضول أبناء هذا الجيل بما كانت عليهم مدينتهم في زمن ماض ، وإنما لأن هذه المدينة كما يراها " تمثل البؤرة التي ترتكز فيها معظم النشاطات الإنسانية في المنطقة[22] ، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية وقد اعتمد مؤرخنا لإتمام كتابه "كركوك وتوابعها " على ما لا يقل عن مائة وخمسين كتاباً ، كان منها أكثر من خمسة وسبعين كتاباً عربياً ومعرباً ، وأكثر من خمسين كتاباً باللغة الانكليزية ، وحوالي عشرين كتاباً باللغة الروسية، وما لا يقل عن عشرة كتب باللغة الكردية، وثلاثة كتب باللغة التركية ، ومثلها باللغة الفارسية ، مع عدد قليل بلغات أخرى ساعده زملاؤه في ترجمة ما يهمه من موضوعات وردت فيه . وجميع هذه الكتب مستخدمة بدرجات متفاوتة ما لا يقل عن ثلاث عشرة وأربعمائة مرة في تأليف الجزء الأول فقط من " كركوك وتوابعها" كما مبين في هوامشه المنهجية ، فضلاً عن استفادته من المذكرات الشخصية لأشخاص ، شهدوا وأسهموا في صنع أحداث ما بعد الحرب العالمية الأولى وبدرجات متفاوتة ، كما هو الحال في مذكرات رفيق حلمي الذي كان قريباً من الشيخ محمود ومن منطقة كركوك تحديداً ، إذ نشر منذ العام (1956) ستة أجزاءٍ من مذكراته باسم "يادداشت" أي مذكرات . كما ينبغي الإشارة إلى الجزء الأول من مذكرات رئيس الوزراء البريطاني المعروف (دافيد لويد جورج D . L . G) المطبوع في لندن سنة(1937) بعنوان " الحقيقة عن معاهدات الصلح " التي ورد في الجزء الثاني منها اسم كردستان تحديداً وثروتها النفطية في سياق المراسلات السرية بينه وبين نظيره الفرنسي كليمنصو ، إلى جانب أنواع أخرى استفاد منها كمال في تقديم رواياته التاريخية في هذا الكتاب . ومع أنه يعترف ضمناً بتاريخية العنصر التركماني ، وانه أحد أهم مكونات المدينة ، إلا انه لم يشر إلى ذلك ، ولم يلتفت إلى صراع هؤلاء لإثبات وجودهم على أنهم من السكان الأصليين للمدينة ، على أن ما حصل بعد سقوط نظام صدام سنة 2003من سياسة موجهة ضد العناصر من غير الاكراد ، إنما يدعو الدكتور إلى إعادة النظر في رأيه بأحادية الانتماء الكردي لمدينة كركوك .

أما أبحاثه ومقالاته ، فهي كثيرة تجاوزت المئات ، كتبها باللغة العربية والكردية والروسية . وقام إلى جانب ذلك بتقويم العديد من الكتب التاريخية باللغة الروسية ، منها كتاب الهلالي ، المسألة العمانية ، وقد نشر التقويم في مجلة " آسيا وأفريقيا اليوم " بعددها السابع سنة (1963) في موسكو ، وكذلك عمد إلى تقويم كتاب عبد الله الفياض " الثورة العراقية الكبرى " والتي نشرته المجلة نفسها في عددها الخامس سنة (1964) فيما نشرت مجلة " شعوب آسيا وأفريقيا " الصادرة في موسكو بعددها الثالث سنة (1968) ، تقويمه لكتاب محمد مهدي كبه، مذكراتي في صميم الأحداث . ونشرت المجلة نفسها في عددها الخامس والصادر في (1967) ، تقويمه لكتاب الدكتور محمد سلمان حسن ، تطور الاقتصاد العراقي ، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي (1864 - 1958) ، والمنشور في بيروت سنة (1965) . وفي عددها الأول الصادر في (1967) ، نشرت مجلة آسيا وأفريقيا اليوم ، تقويمه لكتاب نعمان ماهر الكنعاني ، ضوء على شمال العراق ، المنشور في بغداد سنة (1965) ، في حين نشرت هذه المجلة في السنة نفسها ، تقويمه للكتاب الثاني للدكتور محمد سلمان حسن، دراسات في الاقتصاد العراقي ، الصادر في بيروت (1966) ، وكذا الحال بالنسبة لتقويمه لكتابي عبد اللطيف الشوّاف ، حول مسألة النفط في العراق المنشور في بيروت سنة (1969) وأمين سامي الغمراوي ، المشكلة الكردية في شمال العراق ، الصادر في القاهرة (1967) . وفي سنة (1970) نشرت مجلة شعوب آسيا وأفريقيا ، تقويمه لكتاب ك . ب. ما تفييف (بارمتاي) وي . مار يوحنا ، القضية

---

[22] آثرنا أن نقول بهذا الرأي انسياقا وما قد يفكر به الدكتور كمال من الأهمية الاقتصادية التي تشكلها هذه المدينة استنادا لثروتها النفطية على فرض النظر إلى أهمية العامل الاقتصادي في حركة التاريخ .

الآثورية في أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى(1914- 1918) باللغة الروسية والصادر في موسكو سنة (1968). وعمد إلى ترجمة بحث للبروفسور ف . مينورسكي " الأكراد أحفاد الميديين " من اللغة الروسية إلى اللغة العربية، والتعليق عليه ، وقام المجمع العلمي الكردي بنشره في مجلته سنة (1973) . وترجم كتاب أ . شاميلوف ، حول مسألة الإقطاع بين الكرد ، من اللغة الروسية إلى اللغة العربية وقدمه وعلق عليه ، وقد صدرت طبعته الأولى في بغداد سنة(1977) والثانية سنة (1984) . وبعد ذلك ، ترأس لجان قامت بترجمة خمسة كتب دراسية تاريخية من اللغة العربية إلى اللغة الكردية .

ولأنه مؤرخ ومفكر ، فقد كان لما يضعه من كلمات وما يصوغه من عبارات ، تتصدر الكتب والمؤلفات أهمية علمية تزيد من الكتاب الذي قدّم له رصانة . فضلاً عن مراجعته للكتب وقوله رأيه إزاء موضوعة بحث الكتاب ومنهج الباحث في كتابته ، إنما يجعل من هذا الكتاب ، مادة يعول عليها علمياً . فقّدم وراجع العديد من الكتب ، كما هو الحال في كتاب شرفخان البدليسي (شرفنامه) ، الذي ترجمه عضو المجمع العلمي الكردي الشاعر (هزار) وصدر في النجف سنة (9172). وراجع أيضا كتاب البروفيسور (كوردوييف) ، آراء غير علمية في اللغة والتاريخ الكرديين ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن معروف ، وهو من إصدارات المجمع العلمي الكردي لسنة (1973) في بغداد . وكتب عن المكيافيلية حتى صار مدركاً لجذورها ، إذ راجع كتاب مكيافيللي ، الأمير الذي ترجمه حسين عارف ، وصدر في بغداد سنة (1982) ، وقدم أيضا لكتاب الدكتور كاوس قفطان ، بابان ، سوران ، بوتان بغداد ، (1985) ، وكتاب أرشاك سافراستيان ، الكرد وكردستان ، الذي ترجمه محمد أمين شوان . والى جانب ذلك ، قدم وراجع عدد من الكتب العربية كما في كتاب (سياسة إيران الخارجية في عهد احمد شاه (1909- 1925) لمؤلفه أسعد محمد زيدان الجواري والمنشور في بغداد سنة (1987) .

وعلمت من خلال أحاديث اقتطفتها منه ، وسمعتها في سياق ترددي عليه وبعض طلبة الدراسات ، أنه يحترم شخصية نوري السعيد ، إذ يرى من ايجابياته ، ما تسوغ أحيانا سيئاته وسلوكه السياسي، وكأنه يجيز له اعتماد النظرية المكيافيلية ، وهذا ما دعاه على ما نعتقد الى التقديم لكتاب عبد الرزاق النصيري (نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام (1923) . وكذا الحال لكتاب الدكتورة سعاد رؤوف (نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية) . وقدم أيضا لكتاب الدكتور محمد كامل ، (سياسة إيران الخارجية في عهد رضا شاه (1921 ـ 1941)، وكتاب محمد كاظم علي (العراق في عهد عبد الكريم قاسم ، دراسة في القوى السياسية والصراع الأيديولوجي) . وتناول بالتقديم كتاب (الحركة العمالية في العراق 1932- 1945) ، لأميرة حسين محمود ألكريمي وكتاب الدكتور علي عبد شناوة ، (الشبيبي في شبابه السياسي) وكتاب (محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي حتى العام 1932)،فضلاً عن كتاب أمير الحلو (شخوص في الذاكرة) الى جانب تقديمه لكتابين للدكتور عادل تقي البلداوي ، وغير ذلك .

أما في مجال الأشراف على الرسائل والأطاريح ، فهو حديث يطول فهو الأستاذ المطلوب عند البعض ، وغير المرغوب به عند البعض الآخر . فقد تزاحم البعض لأن يحظى بإشرافه عليه ، لأنه سيسهم من خلال هذا الإشراف على إخراج مشروع كتابة علمية رصينة لا تقبل أي جدال ، وإن ثمن هذا التميز هو بالتأكيد تحمل أسلوبه الذي لا يحتمل أن يكون تلميذه متماهلاً ، أو متردداً ، أو غير منتج ، أو معتذراً عن تقصير . وبخلاف ذلك ، فإن الدكتور سيرفض الإشراف عليه ولا يثنيه عن ذلك أي وسيط أو مؤثر .

وعليه ، فمن لا يرى في نفسه طاقة تحمل وثبات أمام شروط الدكتور ، يبقى عليه أن يجد مشرفاً آخر . وقد اشرف الدكتور كمال على العشرات من الرسائل والأطاريح وناقش عدد من رسائل الدبلوم العالي في كلية الدفاع الوطني ـ جامعة البكر ومعهد البحوث والدراسات العربي

التابع لجامعة الدول العربية ، فضلاً عن اشتراكه في مناقشة الكثير من الرسائل والأطاريح[23]، وفي مختلف الجامعات العراقية .
وأمام هذا الكم الهائل من الإنجازات العلمية والفكرية ،التي أغنت المكتبة العربية والإسلامية بجليل ما كتبه عن تاريخ بلاده ، فإن شخصيته أصبحت مرموقة ، يتشرف بذكرها من أدرك كنه هذا العالِم ، ووعى غايته من وراء انجازاته الكثيرة .فقد قومت الجرائد والمجلات العراقية والكردية ، مؤلفاته لمرات عديدة . فذكرته جريدة الثورة والجمهورية والتآخي والثقافة الجديدة و(هاوكاي) و(بيري نوي) و(عيراق) و(ره نكين) و(دره نكين) و(كزنكين) عشرات المرات ، وهي تثني على ما يقدمه من مؤلفات وما يكتبه من مقالات و(كاروان) و(كزنكي) و(كاروان) ووعي العمال وغيرها . وهذا الأمر ينسحب أيضا على الصحف العربية ، إذ عمدت إلى تقويم بعض مؤلفاته ، كما هو الحال في التقويم الذي جاء في صحيفة (كل العرب) و(الدستور) و(الوطن العربي) و(الحياة) ، كما نشرت الصحيفة الأردنية (الرأي) و(الدستور) و(الشعب)، خلاصة لمحاضرته التي ألقاها يوم التاسع عشر من تشرين الثاني (1994) في مؤسسة عبد الحميد شومان بعنوان " ماذا حصل في الاتحاد السوفيتي ولماذا ؟" .
وفضلاً عن ذلك ، فقد قومت الأوساط العلمية في الاتحاد السوفيتي جهده ، ونشرت هبربن ايفانس (H. Evans) مقاله عن كتابه الصادر باللغة الروسية سنة (1967) في London 'Middle Eatern Studies' ، Vol. 4 ، No. 2 ، January 1968 ، pp173-178
ونشرت المستشرقة الايطالية الدكتورة ميريللا كاليتي (Morella Kaleti) مقالة عن كتابه (كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى) في مجلة (الشرق الحديث) روما ، العددان التاسع والعاشر - تشرين أول (1977) ، ص486-488 . واختار السيد سيامند عثمان ((الكرد والدم الأرمني المراق ، تأليف كمال مظهر أحمد ، تحليل عام للنص والموضوع)) موضوعة لرسالته لنيل شهادة الماجستير، وقد أعد الرسالة بأشراف بول فييل (Poll Feel) وناقشها سنة (1981) في معهد الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس . والى جانب ذلك ، قوّم العديد من المؤرخين والمستشرقين والكتّاب والصحفيين جهده العلمي ، كما هو الحال فيما قاله السيد عبد الرزاق الحسني ويوسف إبراهيم يزبك ومحمد جميل الروز بياني وعبد المجيد لطفي وحلمي علي شريف والبروفيسور كوردوييف وعاره بي شامو والبروفيسور لازاريف وايفانس والبروفيسورة جويس بلو والدكتور عز الدين مصطفى رسوا والدكتور جليلي جليل والدكتورة كاليتي والدكتور هلكوت حكيم ومحمد الملا عبد الكريم المدرس والدكتور فؤاد حمه خورشيد وعبد الغني علي يحيى وخسرو الجاف والدكتور عبد الفتاح علي يحيى والدكتور علاء جاسم محمد وممتاز الحيدري والدكتور جليل كمال الدين ومصطفى صالح كريم وكامران قره داغي وعبد الله عباس وسامي شورش وطالب روستم ومحمد صالح برزنجي وحسين فيض الله الجاف ووزير بلال إسماعيل وحسين ألجليلي وحميد المطبعي وحسين احمد الجاف وإبراهيم القيسي وإبراهيم باجلان وفؤاد مجيد ميسري وعبد الله مردوخ وفاروق عمر وأحلام منصور والمؤرخ الكردي عبد الرقيب يوسف أرزهم والدكتور خليل إبراهيم العلاف .
ووجهت له عمادة كلية الآداب / جامعة بغداد وعمادات كليات إنسانية أخرى ، العديد من كتب الشكر تقديراً لجهده العلمي ، كما منحته مؤسسات علمية وثقافية وإعلامية مختلفة ، أوسمة وشهادات تقدير للغرض نفسه . واشترك كمال مع مثقفين بارزين في بغداد في الدعوة إلى إنشاء متحف يعرض مخلفات الحقبة المنصرمة بوصفها من صنف الوثائق التاريخية لذلك الماضي البغيض . وتأتي هذه الدعوة في اثر حملة بدأت بوادرها بإزالة النصب والتماثيل التي

---

[23] كان قد ترأس لجنة مناقشة أطروحتنا لنيل شهادة الدكتوراه سنة 1999 .

أُنتجت خلال الحقبة الدكتاتورية البائدة ، من الأماكن العامة ، حيث رفع نصبان ، أحدهما من أعمال النحات (خالد الرحال)[24]، مما يثير الخوف أن يفضي الرفع الى تحطيمها .
جاء ذلك في بيان حمل عنوان " إحفظوا شواهد الدكتاتورية .. للعبرة ! " واستهل بسؤال : (هل يعقل أن يختار الحاضر محو معالم الماضي سبيلاً لإثبات وجوده ؟ وهل ذلك ، وهو واقع ، إلا دليل فوضى مستشرية ومبعث قلق وخشية ؟) . ووصف البيان الأعمال الفنية المنتشرة في ساحات بغداد وشوارعها بالوثائق وأنها " ليست ملك ضحاياها الأحياء وحدهم ، بل كذلك هي حق للأجيال الآتية التي يهمها معرفة الماضي بمعطياته الأصلية ." وأضاف البيان :" ومن الوفاء لأنفسنا ولأبنائنا وأحفادنا أن نجعل من تلك الكتل مرآة شاخصة لإحدى أسوأ مراحل تاريخنا السياسي وأكثرها مأساوية ، مرآة تُذكّر بحالة رعب جماعي من السلطة ، واستسلام لفروضها الغاشمة ، وقدر غير قليل من التنصل من المسؤولية الإنسانية . وفي الوقت الذي أكد البيان بأن ساحات بغداد والمدن الأخرى لا تصلح مكاناً لـ" أعمال فنية " من هذا النوع ، فإنه دعا إلى تأسيس متحف لها " لغاية تربوية تحصّن العراقيين إزاء إرهاب سلطة شمولية هيمنت ثلاثة عقود ونصف العقد من الزمن ، وتحذر من السماح بتكرار الخسارات الإنسانية الباهظة لشعبنا العراقي " . هذا وحمل البيان إمضاءات مفيد الجزائري رئيس لجنة الثقافة والإعلام والسياحة في الجمعية الوطنية د. كمال مظهر أحمد ، الشيخ جلال الحنفي[25]، د. مالك المطلبي ، لطفيه الدليمي محي الدين زنكنه ، ناجح المعموري ، فهد الاسدي ، عريان السيد خلف[26]، فاضل ثامر رئيس اتحاد أدباء العراق، ألفريد سمعان الأمين العام لإتحاد أدباء العراق ، شهاب التميمي نقيب الصحفيين ، حسين البصري نقيب الفنانين ، عبد الكريم الصراف رئيس تحرير جريدة 14 تموز ، سافرة جميل حافظ مدير قاعة حافظ الدروبي ومؤيد الحيدري عن الجمعية العراقية لدعم الثقافة.
وفي سياق الإشارة إلى مكانة الدكتور كمال العلمية ، قال السيد زهير كاظم عبود[27] في مقال له نشر على الموقع الالكتروني (البوابة العراقية) يوم 14 تموز(2005) ((ان الدكتور كمال

---

[24] خالد الرحال (1926 - 1980) نحات من العراق . حصل على دبلوم النحت من معهد الفنون الجميلة عام 1947. انتمى الى جماعة بغداد للفن الحديث عام 1953 وشارك في معارضها عام 1962.تخرج في أكاديمية الفنون الجميلة بروما عام 1964 ونال شهادة التخصص . صمم نصب الجندي المجهول.نفذ نصب المسيرة ببغداد.ساهم في الإشراف والتنفيذ على بانوراما القادسية في المدائن .نفذ العديد من التماثيل داخل العاصمة.

[25] الشيخ جلال الدين الحنفي البغدادي فقيه وعالم أدبي وإسلامي موسوعي وكاتب وصحفي ومؤرخ و لغوي، ولد في بغداد عام (1914م) وتوفى فيها يوم 5 آذار من عام (2006م) . أكمل دراسته عام (1930م) . ودرّس بكلية الإمام الأعظم الدينية في جامع أبي حنيفة. التحق في عام (1939م) بالأزهر الشريف في القاهرة. وعمل في مجال التعليم الديني وفي الوعظ في الجوامع ، إذ بدأ حياته خطيبا في جامع المرادية في بغداد عام (1935). سافر إلى الصين لتدريس الدين والدعوة الإسلامية ، قام بتدريس اللغة العربية في معهد اللغات الأجنبية في بكين و شنغهاي في الصين عام (1966). قام بتدريس علم التجويد في معهد الفنون الموسيقية في بغداد. أجرى في علم العروض تصحيحات كثيرة و نشرها في كتاب واوجد نماذج للعروض . أما كتبه ومؤلفاته فهي التشريع الإسلامي تاريخه وفلسفته عام (1940). معاني القرآن عام (1941م). آيات من سورة النساء عام(1951م). ثلاث سنوات في جوار الميتم الإسلامي عام (1955م). صحة المجتمع عام (1955م).الروابط الاجتماعية في الإسلام عام 1956م. الحديث من وراء الميكرفون عام(1960). المرأة في القرآن الكريم عام (1960). الأمثال البغدادية عام (1964م). المغنون البغداديون والمقام العراقي عام (1964). رمضانيات عام (1988م) . شهر رمضان عام (1988م). مقدمة في الموسيقى العربية عام (1989) . شخصية الرسول الأعظم قرآنيا عام (1997)، المنار (جريدة) عدد يوم 6آذار، (2006) ، بغداد

[26] ولد في قلعة سكر على ضفاف العراف . بدأ النشر مطلع الستينيات . اصدر أكثر من ستة مجاميع شعرية . الكمر والديرة - كبل ليله - أوراق ومواسم - شفاعات الوجد - صياد الهموم - تل الورد . عمل في الصحافة العراقية وفي الإذاعة والتلفزيون . منح وسام اليرموك من جامعه اليرموك في الأردن عضو نقابة الصحفيين العراقيين واتحاد الصحفيين العرب ومنظمة الصحافة العالمية حاصل على شهادة دبلوم صحافه . عضو جمعية الشعراء الشعبيين ، طريق الشعب (جريدة) ، العدد71، 2005 ، ص12 .

[27] قاضي وباحث عراقي

مظهر احمد ليس صاحب تجربة كبيرة في الدراسات التاريخية ، وإنما صاحب تجربة فكرية وسياسية خاضها ضمن تفاصيل العمل السياسي العراقي)) . ويرى أن الدكتور كمال يتلمس بحق تمسكه الوطني من خلال اعتزازه القومي بالكورد والذي يشكل رافدا من روافد النسيج الوطني العراقي .

والى ذلك ، تم تكريم الدكتور كمال مظهر في العراق من بيت الحكمة وهو مؤسسة فكرية كبيرة (تشرين الثاني 2002) مع نخبة من المفكرين والعلماء والمبدعين أمثال الدكتور عبد الصاحب حسن علوان (الدراسات الإقتصادية) والدكتور فاضل زكي محمد (الدراسات السياسية) والأستاذ حكمت عبد الله البزاز (الدراسات التربوية) .

من سجاياه :-

اتصف كمال بخاصية التواضع والتسامح ، فهو يقول :أنا إنسان متواضع وينبغي على الإنسان أن لا يتحدث عن نفسه . ومع ذلك فهو يعتز بتواضعه وبحبه لاختصاصه ، ويرى أن وراء انزوائه في صومعته وإنتاجه العلمي في مجال كتابة التاريخ ودراسته ، رغبة ملحة في إبراز الحقيقة التاريخية . فهو بلا شك يعرف ذاته أكثر من غيره ، وهو دليل على ثقته بنفسه . وفي سنوات التسعينيات ، انتقل الى كلية التربية بسبب تقاطعه مع الدكتور نزار الحديثي عميد كلية الآداب / جامعة بغداد وقتذاك ، وراح يلقي محاضرات على طلبة الدراسات العليا ، فكان تواجده في تلك الكلية فرصة نادرة لطلبة الدراسات فيها ، وكذا الحال للدراسات الأولية للالتقاء به والتزود من علمه . ونادراً ما تجد مكاناً شاغراً في غرفته التي كان يلقي فيها محاضراته . ولم اشعر طوال تواجدي إلى جانبه بأنه يتململ أو يتغاضى أو يعزف عن إجابة أحد .

وفي إحدى المرات ، وبعد مناقشة أطروحتي ، وكان حينذاك رئيساً للجنة المناقشة ، مررت عليه فوجدت في غرفته طالبة دكتوراه ، وهي صحفية، وقد أثقلت في تساؤلاتها ، بل شعرت حينها أنها كانت تحاول أن تستدرج الدكتور إلى موضوع يخص الأكراد وموقفهم من السلطة وقتذاك ، ولأنه واضح في طرحه ، فقد فاجأ تلك الباحثة باستماعه الكلي لها ، وقبل ان يجيبها صارحها بأنه يتحسس منها شيئاً مريباً ، فإذا كان ذلك حقيقة ، نصحها بأن تعزف عنه ، لأنها باحثة في التاريخ ، وهذا لا يجيز لها أن تكون بهذا المستوى من التعامل مع الحقائق التاريخية . وأعلمها أن الصحفية البارعة ، هي من تضع في حسابها قبل أن تتعامل مع أي موضوع ، أنها معنية بكشف الحقائق ، لا بتزييفها . وأخيراً تمنى أن يكون تصوره بغير محله . وما كان أمام تلك الباحثة والصحفية المغرضة سوى الانسحاب ، وبهمس اعتذرت من أستاذها الذي دعاها لزيارته مرة أخرى ، وبحلِةٍ غيرها .

ومن جانب آخر ، كان الأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد يؤكد باستمرار أهمية الأخوة العربية الكوردية ليس على مستوى الوطن فحسب وإنما على المستوى القومي . ومما كان يصرح به باستمرار أن الكرد كسبوا بعد دخولهم الدين الإسلامي الشيء الكثير فقد ((تحولوا إلى عنصر مهم من عناصر بناء الحضارة العربية الإسلامية والشواهد في هذا المضمار أكثر من أن تحصى ، مستشهدا بجيش صلاح الدين الأيوبي، ومنوها بأن المؤرخ ابن الأثير الذي قلما يلتقي مع عماد الدين كاتب صلاح الدين الأيوبي في هكذا قضايا ، يؤكد أن نحو نصف

جيش صلاح الدين الأيوبي كان من المتطوعين الكرد وهناك شواهد أخرى كثيرة في هذا السياق...)) .
ومع اعتزازنا بقوة شعور مؤرخنا بقضيته ، بوصفه كرديا صاحب قضية ، نرى أن توظيف كل إمكاناته البحثية في مجال التاريخ الكردي لربما سيحجم من امتداد عنايته نحو تاريخ بلاده العراق بصورة عامة ، بحيث تتيح الإفصاح عن مكامن القوة والضعف في مسار تاريخ هذه البلاد .

كمال مظهر والميل لكتابة التاريخ .... البدايات:-

يؤكد كمال مظهر أحمد على أهمية ودور المكان في شخصيته العلمية إذ يقول : للمكان والزمان دور كبير في كل شئ في أبحاث التاريخ والتكوين الفكري لشخصية الباحث في التاريخ . وإزاء ذلك أكد أن مدينة السليمانية ـ وهي محل ولادته ـ كانت قد ورثت الإمارة (البابانية) التي كانت من الإمارات الكردية الهامة التي تمتعت بنوع من الاستقلالية داخل الإمبراطورية العثمانية ، موضحا أن العديد من الرحالة تحدثوا عن الإمارة (البابانية) ، فضلاً عما أورده الباحثون وما أشارت إليه رسائل الماجستير .
ومن المعلوم أن مدينة السليمانية مدينة تميزت دائماً بالحيوية ، فهي مدينة الشعراء والمفكرين والحركة الثورية ، وهذا بطبيعة الحال ينعكس على التكوين الفكري لأي شخص كان . ولاسيما إذا كان هذا الشخص قد استبق عمره في التعلق بالتاريخ وما يروى فيه من روايات الماضين . فقد عشق كمال مظهر ، دراسة التاريخ منذ البواكير الأولى من حياته ،حين كان طالباً في الصف الثاني من الدراسة المتوسطة ، إذ تأثر إلى حد بعيد بمدرس التاريخ في مدرسته (محمد حويبس)[28]. وكان هذا الشخص يلقي يومياً مادة التاريخ بأسلوب مشوق للغاية ، فكان أول أستاذ تأثر به ، وكانت تلك بداية حبه للتاريخ ، ومن أحب شيئاً أبدع فيه .. إلى جانب ذلك ، كانت الكتب المدرسية في ذلك الوقت على مستوى رفيع للغاية ، على سبيل المثال في الصف الخامس ثانوي كانت المدارس تدرس كتاب التاريخ الحديث للمرحوم د. تركي صالح ، المرحوم (نجيب خدوري) . وإزاء ذلك يقول ، الدكتور كمال : إنه كتاب رائع ومشوق إلى أخطر درجة ، والأكثر من ذلك ، انه في عام (1929) وحين عمد المرحوم علي حيدر سليمان ، وهو دبلوماسي كبير ومعروف ووزير سابق للأعمار ،إلى تأليف كتاب عن المدنية الأوربية في الصف الثالث متوسط. ولأهميته ، فإن وزارة الثقافة والإعلام أعادت طبع هذا الكتاب المقرر في عشرينيات القرن العشرين للصف الثالث المتوسط للقراء بصورة عامة دون الإشارة إلى كونه مقرراً للمدرسة المتوسطة وهذا ما جعل من كمال عاشقاً لدراسة التاريخ . والى جانب ذلك فما شهده مؤرخنا من أساتذة أجلاء في المرحلة الجامعية ، كان له بالغ الأثر في بناء شخصيته العلمية ، وعشقه للبحث في التاريخ .

---

[28] من لواء (كوسنجق) وللدلال كانوا يسمونه (حماـ رش) اصبح عضو في المجلس التشريعي وأمين عام له فيما بعد .

ما قاله العارفين به :-

. إسماعيل إبراهيم سعيد / الثلاثاء 2007/2/13

يذكر أحد تلامذة الدكتور كمال ، وهو الدكتور إسماعيل إبراهيم أنه وتحديدا في سبعينيات القرن العشرين ، حين كان طالبا في المرحلة الدراسية الجامعية الأولية في قسم اللغة الكوردية بكلية الآداب في جامعة بغداد ، كانوا يسمعون بوجود أستاذ اسمه الدكتور كمال مظهر ، له شعبية لا توصف بين الأساتذة والطلبة على حد سواء. ويذكر إبراهيم أن احد زملائه ، وهو عربي في قسم التاريخ واحد تلاميذ الدكتور كمال في القسم المذكور تحدث له عن إبداعات الدكتور كمال وغزارة معلوماته وتعامله اللطيف مع المحيطين به. وكان يتمنى الحضور في إحدى محاضراته وبخاصة بعد أن قرأ بعض نتاجاته القيمة . ويتذكر إسماعيل انه في ذات يوم في شهر آذار 1974 جاءه ذلك الزميل العزيز واخبره بان ألأستاذ الفاضل غاب بشكل مفاجئ... نعم انه التحق بالثورة ولبى نداء أصحاب الحق .

وبعد سنين من تلك الحركة ، وعودته الى سلك التعليم ، ازدادت شهرة الدكتور كمال مظهر احمد العلمية في الداخل والخارج وأصبح معَلماً من معالم الثقافة وأحبه المثقفون العراقيون بدون استثناء . وشاءت الصدفة أن يجده طلبة الدراسات العليا في قسم اللغة الكوردية بكلية التربية ـ ابن رشد ـ نهاية التسعينيات اذ كان يختار زاوية في مكتبة القسم الكوردي المتواضعة ، بعد أن رفض العمل في كلية الآداب بسبب موقفه المشهود في تلك الظروف[29] رغم محاولات وزير التعليم العالي وديوان الرئاسة آنذاك والتي أدت فقط بعدم تقديمه الاستقالة من الوظيفة ورغم اعتزازه الشديد بأساتذة وطلاب قسم التاريخ بكلية الآداب ، اختار كلية التربية لكونه تخرج فيها والقسم الكوردي لكونه يجمع محبيه . ويذكر الدكتور إسماعيل ، انه وزملاء له بدؤا معه أحلى أيام الدراسة عندما كان معظم الطلبة يواكبون الحضور لمحاضراته القيمة في منهج البحث العلمي إذ حقق حلم الثقافة الواسعة ومعه ازدادوا ضبطا واحتراما للوقت والدرس واللطف والعفه والموقف وكبرياء النفس ، حيث كانوا يعلمون أنه في ذلك الوقت ، قد تم عرض مختلف المناصب عليه ومنها درجة الوزير وربما أكثر ، إلا انه وجد في نفسه اكبر من تلك المسؤوليات وكان على استعداد أن يضحي ليس بكل تلك الإغراءات ، وإنما بحياته أيضا بدل أن يظهر موقفا ضعيفا لا سمح الله .

وأمام ذاك يذكر الدكتور إسماعيل ، أن كل الطلبة ممن تعرف إليه ، راح يتمنى الاقتداء به . ورغم كل شيء كان يفاجئ من لا يعرفه بتواضعه اللامحدود .. ولعل من أروع ما اعتاد عليه من أمور ، هو حضوره الدوام قبل بدء المحاضرة بساعة ، وكان يستقبل محبيه من الطلبة والأساتذة ، فكانت تلك الجلسات الصباحية المبكرة تفوح منها رائحة المسك والعنبر وكذلك جلسات منزله ، وخاصة في آخر أيام العيدين (الفطر والأضحى) إذ يستقبل محبيه وضيوفه من مختلف الشخصيات الثقافية والجامعات العراقية .

ولا بأس من الإشارة إلى موقف زملائه من أساتذة قسم التاريخ في كلية الآداب الذين حافظوا على كرسيه الخاص ولم يسمحوا لأحد أن يجلس عليه ، لأنهم اعتبروه موجوداً معهم وانه سيعود . وبالفعل وبعد تغيير الجهاز الإداري في الكلية عاد إلى مكانه في قسم التاريخ بكلية الآداب ، بعد مكوثه عدة سنوات في كلية التربية.. وكان دوماً يعتبر بموقف زملائه أولئك الذين احتفلوا بعودته.

---

[29] نعتقد أن الأصح في انتقال الدكتور كمال من كلية الآداب إلى كلية التربية / ابن رشد يعود لاختلاف في وجهات النظر حول آلية تدريس طلبة الدراسات العليا ، بينه وبين الأستاذ نزار ألحديثي عميد كلية الآداب وقتذاك ، ولا علاقة لهذه المسالة بموقف الدكتور كمال وتقاطعه من سلطة حاكم بغداد وقتذاك . (المؤلف)

لقد كانت جلسات العلامة الدكتور كمال مظهر احمد ، عبارة عن فسيفساء عراقية ، شخوصها من الكورد والعرب ومن مختلف المناطق والمحافظات تكريت، نجف، أنبار، بصرة، موصل وغيرها.

وينتهي الدكتور إسماعيل إلى القول والتذكير بحاجة الشعب إلى تلك النفحات التي تسودها النفس العراقي الأصيل في ظل الظروف الصعبة التي نعيشها ، وفي غياب دور المثقف العراقي ، موجهاً تحيته إلى أستاذه بقوله :

وسلاماً إلى أستاذي الفاضل الدكتور العلامة كمال مظهر احمد ، وكل مثقف عراقي شريف يسير على خطاه للحفاظ على وحدة أبناء الوطن العزيز.

إبراهيم العلاف[30] / أستاذ التاريخ الحديث -جامعة الموصل -العراق

الدكتور كمال مظهر احمد وحركة كتابة التاريخ في العراق المعاصر .

3 مارس, 2010 .

يذكر العلاف أن الدكتور كمال يعد من المؤرخين العراقيين المعاصرين المتميزين .. له حضور فاعل على الساحة الثقافية العراقية منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي .. أستاذ جامعي ومؤرخ وباحث من الطراز الأول . له كتابات ودراسات نشر بعضها في الصحف العراقية والعربية والأجنبية . ويؤكد العلاف أن حديثا قد دار بين الطرفين كما دار بينهم حوارات صحفية كانت معظمها تدور حول القضية الكوردية ولكونه كورديا ، كان يؤكد باستمرار على مبدأ ثابت عبر عنه أكثر من مرة وملخصه انه ((إذا لم أكن كرديا أصيلا فلن أكون عراقيا أصيلا)) .

ويشير إلى أن للأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد مؤلفات عديدة وخاصة باللغتين العربية والكوردية . ومن مؤلفاته المطبوعة:

- **كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى (طبعتان 1977 - 1984)**
- **ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي 1977**
- **أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط 1978**
- **دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية 1978**
- **النهضة 1979**
- **الطبقة العاملة العراقية 1981 .**
- **مكيافيلي والمكيافيلية 1984 .**
- **صفحات من تاريخ العراق المعاصر 1987 .**

بيت الحكمة تكرم كمال :

كُرّم الدكتور كمال مظهر في العراق من بيت الحكمة وهو مؤسسة فكرية كبيرة (تشرين الثاني 2002) مع نخبة من المفكرين والعلماء والمبدعين أمثال الدكتور عبد الصاحب حسن علوان (الدراسات الاقتصادية) والدكتور فاضل زكي محمد (الدراسات السياسية) والأستاذ حكمت عبد الله البزاز (الدراسات التربوية) ومما قالته جريدة الثورة (البغدادية) في حينه (24 تشرين الثاني 2002) : وتظهر الشخصية العلمية الكوردية المعروفة الأستاذ الدكتور كمال مظهر الحاج رسول لتسلم جائزته بتواضع العلماء وقد مضى على حصوله على شهادة

---

[30] مقابلة معه ، جامعة الموصل ، 2006.

الدكتوراه أكثر من خمسة وثلاثين عاما وهو لا يزال طالبا وأستاذا فهو يقرأ بقدر أو أكثر مما يقرأ طلاب العلم وفي ذات الوقت عمل أستاذا في كلية الآداب ـ جامعة بغداد وجامعة اربيل ، اشرف على عشرات الرسائل والأطاريح وناقش المئات منها .. ولا يزال يعتقد انه في بداية طريق العلم)) .

ـ مام جلال يشيد بدور الدكتور كمال مظهر في إثراء التأريخ العراقي :

التقى مام جلال الأمين العام للإتحاد الوطني الكوردستاني في العراق ورئيس الجمهورية العراقية الاثنين 11/2 في مدينة السليمانية ، البروفيسور الدكتور كمال مظهر المعروف على مستوى العراق ككل وعقيلته . وخلال اللقاء أشاد مام جلال بدور البروفيسور كمال في المجالين الفكري والتاريخي مثمناً تأثير كتبه ودراساته التاريخية في إثراء التأريخ العراقي والكوردستاني.

ـ كمال في كتاب جديد للكاتب والإعلامي مازن لطيف

: مثقفون عراقيون – حوارات نخبوية ، ثلاثون كاتباً وأديباً ومؤرخاً عراقياً يجعل المؤلف منهم شخوص كتابه وصولا إلى ما أطلق عليهم بـ ((النخبة السادسة – المؤرخون)) ومنهم المؤرخ الدكتور كمال مظهر احمد الذي بين أهمية دور المستشرقين في نشر الثقافة ولولاهم ما كنا نعرف أشياء كثيرة .

ـ الدكتور كمال مظهر ومواقفه المشرفة :

ـ زميله ومعاصره **الأستاذ الدكتور هاشم التكريتي**[31]

كفاءة علمية نادرة ومخزون قل نظيره من القيم والأخلاق ،وفيُ لأصدقائه ومعارفه متسامح مع من يخاصمه وقور في تعامله مع أصدقائه رقيق في مشاعره يحدب على الصغير ويحترم الكبير كثير الوفاء شديد الكبرياء حازم ضد الخطأ شديد في الحق صريح جريء في قول ما يؤمن به دون خوف أو وجل لا يجامل في الحق ولا يضعف أمام المال أو المنصب طيب أصيل حليم عفيف اللسان نقي السريرة متواضع دون استخذاء مترفع دون استعلاء محب لوطنه وشعبه ذلكم هو غيض من فيض ما يتصف به العالم الجليل والإنسان الكبير الأستاذ الدكتور كمال مظهر .

ـ الأستاذ الدكتور حسن ألسبتي[32]:ـ

<u>كمال مظهر ومسارات التاريخ :</u>

هل سارت بكمال مظهر المسارات أم سارت به المسارات ، مسارات الفكر والتجربة الحسية والسياسية . كان كمال مظهر يساريا دون تطرف وأمميا وواقعية الانتماءات الفرعية ، وطني دون إلغاء الجذور الاجتماعية ، عايش الظروف الصعبة فكان عصيا عليها كما كانت عسيرة عليه في مجال التعامل مع الأنظمة السياسية ، كان صعب المراس يعطي ما يريد ولا يأخذ ما يعطى له .

---

[31] مقابلة معه ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، 2009 .

[32] مقابلة معه ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، 2009 .

عايش في مجال التدريس الجامعي كأن النظرة القائمة ، أن خريجي الأنظمة الاشتراكية مجرد أبواق للفكر الماركسي أشكالا دون محتوى ، وأثبت هو ومع قلة أخرى أنهم لا يساوون بل قد يفوقون أمثالهم من خريجي الجامعات الغربية .

وإذا أثبت قدرته المعرفية في مجال الحقل العلمي ، فقد عايش المخالفين في الرأي والسلوك الاجتماعي ، وبعد أن وصلت نظرة أحد الأساتذة وهو أستاذ كبير أيضا أنه كلما صادف كمال مظهر في طريقه ، غيره إلى ممر آخر ولم يعامل كمال مظهر ذلك الأستاذ بالمثل بل سارع إليه في إحدى الممرات ليخبره أنه هو الذي سيغير طريقه لكي يتحمل هو جهد تغيير الطريق وليس الأستاذ الآخر .

كانت علاقته بالفكر متشعبة فهو الصحفي كما هو المؤرخ والسياسي كان هم كمال مظهر المؤرخ والمفكر والإنسان ، التعبير عن رأيه بغض النظر عن الوسيلة فقد كتب الكثير من المقالات الصحفية والفكرية والابحاث والدراسات عبر فيها عن كونه عراقيا كرديا أمميا وكان فيها مدرسة للتعلم ومربيا للكثير من طلبة التاريخ ليس في العراق بل أمتد إلى أماكن مختلفة من الوطن العربي بل ربما أجزاء مختلفة من الوطن العربي .

ألأستاذ الدكتور عبد الله شاتي[33]:-

لعل التصاق بعض من تتلمذ على كمال مظهر احمد ، قد دفع به هذا الالتصاق إلى الغلو في وصف أستاذه بأوصاف علّها تجلب عليهم نقمة الآخرين أو نقدهم في اقل الأحوال . ولعل واحد من أشد هؤلاء الملتصقين بكمال مظهر ، هو الأستاذ الدكتور عبد الله شاتي عبهول الذي راح يصور أستاذه بمثابة إمامه المقدس . ولكي لا نذهب بعيداً في مطارحتنا لما أودعه شاتي بحق شيخه سنورد بأمانة ـــ ونحن متحفظين ـــ عما قاله حين صدر قرار من مجلس الوزراء العراقي ـــ عهد حكومة المالكي الأولى ـــ بشأن إحالة بعض الأساتذة على التقاعد وكان من ضمنهم شيخه مظهر :

ـنص المقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس تحرير جريدة "الصباح" الغراء المحترم	د.عبد الله شاتي عبهول
الى السيد رئيس الوزراء المحترم	الجامعة المستنصرية
وكل الحريصين على العلم والعلماء	بغداد في 2008/11/24

" الناس موتى وأهل العلم أحياء"

يؤكد شاتي أنه لم يبالغ إذا ما قال أنه شعر بأسى وحزن بالغين ، كحال الكثيرين من العراقيين، عندما سمع بالقرار الفاجع الذي اخرج الأساتذة الذين واكبوا العلم على مر السنين الطويلة ، ممن تجاوزت أعمارهم السبعين "أمد الله بأعمارهم إلى آخر يوم في أعمارنا جميعا".

ويؤكد : أن أمانة الكلمة وشرف التلمذة قد دفعاه إلى الحديث عن اثنين من الأساتذة المشمولين بذلك القرار الصادر من بيروقراطية لا تقيم وزنا ولا اعتبارا لأي شيء ، قرار لو اسمع الحجر لتفجر وتفتت ، ربما لا يعلم البعض أن القرار المذكور سيء الصيت ، أصاب الكثيرين من طلاب الأساتذة المعنيين وأصدقائهم باضطراب عقلي لامس حدود الجنون.

ويلتفت شاتي صوب أستاذ له وصفه بالعظيم هو الدكتور كمال مظهر أحمد ، مؤكدا أن تلك التسمية كان أول من أطلقها هو الأستاذ الدكتور صادق حسن السوداني على زميله كمال بقوله : فهو الأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد صاحب أطول هامة علمية تقطر ارفع القيم للإنسانية ، وهو نموذج من نماذج الإنسان الموهوب ، ومثال لا يداني للعطاء والشعور العالي بالمسؤولية فمثلا انه استطاع خلال مدة علاجه في لندن التي استمرت سنتين أن يشرف على أكثر من ست رسائل جامعية كانت قمة في كل شيء وشرفت العلم والمكتبة العربية . ولم يكن الدكتور كمال

---

[33] مقابلة معه ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، 2009 .

علما من أعلام الفكر التاريخي فحسب ، وإنما هو أكثر المؤرخين شرفا ونزاهة وموضوعية ، وهو أفضل من يمثل التفكير الموضوعي في وقت انشغل الآخرون بالتزوير والتحريف . فضلا عن ذلك روى الدكتور كمال وبإخلاص نادر شجرة العلم في نفوس أجيال من المؤرخين . ولا أبالغ إذا ما ثبت هنا أن معظم نتاجاته العلمية قد حملت سمات الريادة ، وان ما يكتبه كان ولا يزال يباع بميزان الذهب . كما انه يعد من أهم ممن غرسوا وبإخلاص واضح جذورا عميقة للتآخي العربي _ الكردي ، حين أسدى إلى العرب قبل الكرد ثمار قلمه الخلاق، لدرجة أن نسبة الكرد ممن اشرف عليهم الدكتور كمال أو قرأ لهم أو راجع كتاباتهم لا تتعدى 4% .

والى ذلك يرى شاتي وبشكل لا يخلو من المغالاة ، أن الدكتور كمال هو رائد الموضوعية لا في العراق فقط ، وإنما في العالم أيضا ، ويلمح إلى أن كتابته عن أستاذه لم يكن بمحظ صدفة ولا سيما الإشارة إلى موضوعيته وبالذات لديه أكثر من دراسة علمية معتبرة في جامعة السوربون ويكرر أنه حقا نوع فريد من المؤرخين ، فلا غرابة أن يحمل منذ عقود رغم انف كل المنافقين والفاشلين أوسمة الصلابة والشجاعة وتقديس الحقيقة مهما كانت . فكان من الطبيعي جدا أن يحتل طلابه أماكنهم المرموقة في الجامعات العراقية .

ويفصح شاتي أكثر عن مزيات أستاذه حين وجد أن تمرده الذي يحمل كرامة شخصية وإباء اكبر من جبال الهملايا على سلطان المال والجاه والنفوذ ، جاء من اجل إقامة صرح الموضوعية التي يحبها حبا جما ، وأكثر من ذلك يرى في أستاذه تجسيد حي للجبين العالي للتاريخ في العراق .

وينتقي شاتي موقفا مشرفا لأستاذه حين انتهى من كتابة رسالته للماجستير في نهاية ربيع عام 1983 ، مؤكدا أن أستاذه كان قد نفخ من روحه الراقية السامية في كل حرف من رسالته تلك ، إذ وافق على كل صغيرة وكبيرة ، وقبل أن يسلمه الرسالة ليوافق عليها بشكل نهائي أضاف شاتي عبارة في نهاية المقدمة من عدة كلمات ، مؤكدا أنه في ذلك الموقف نافق النظام ، حين قال أن هذه الدراسة ((مجلس الأعمار في العراق)) جاءت خدمة للثورة وبرامجها التنموية وكان يعتقد أن أستاذه سيقبلها . وفي اليوم التالي لتسلم رسالته ، فوجئ بأستاذه وهو ينهرني بقوة قائلا في وضح النهار وأمام الكثيرين ((تريد أن يقولوا عني أني أنافق النظام)) .
حينها تمتم شاتي بهمس وهو يقول : يا الهي أنا أمام عملاق كبير ، وأستاذ متميز في كل شيء قال ذلك ، وقد سيطر على مشاعره لكي لا يهتف عاليا إكبارا واحتراما لمثل تلك المواقف المبدئية .

وواضح أن شاتي ومنذ تلك اللحظة أيقن أن الدكتور كمال عملة صعبة في زمن الإفلاس والمفلسين . ولم يتردد شاتي عن القول : ((أنني وان كنت الأول على دورتي وبمعدل جيد جدا كنت قبل التعرف على الدكتور كمال كمشرف ، امشي على الأربعة)).

وعن جرأة أستاذه أكد أنه لم يأت بجديد إذا ما لاحظ المرء أن قاعات المناقشات في الجامعات العراقية شاهدة على جرأة الدكتور كمال ودفاعه عن العلم الحق ، وقوله الذي يراه حقا رغم كل الظروف ، مشيرا الى أنه لطالما أكد ومن على رؤوس الأشهاد في مناقشاته لطلبة الدكتوراه ، أن كل فكرة قومية هي تعصبية وعدوانية ، كان هذا في وقت كان الصراخ القومي عاليا ، وكان النظام قد أسال انهارا من الحبر على تلال من الورق تسبيحا بالقومية ، وان مؤرخين اتخذوا من بنادق النظام أقلاما ومن ضحاياه مدرارا ، لترسل الحقائق إلى رمال الصحراء
أما الموقف الثاني الذي يستذكره شاتي عن أستاذه ، فهو رفضه المشاركة في الندوة التي أقامتها جامعة بغداد في نهاية ربيع 1982 وبأمر من رئيس النظام ، الذي كان يغرس أنيابه البغيضة في الجسد العراقي، فاهلك من الناس أكثر مما اهلك جنكيزخان واستحق بذلك لقب بطل العالم في قتل البشر. ويلخص الموقف ، بأن الدكتور ألنعيمي رئيس جامعة بغداد آنذاك أرسل تدريسيا إلى الدكتور كمال يدعوه للمشاركة في ندوة كان عنوانها " العدوانية في الشخصية الإيرانية" ، وبعد أن قدم له الأستاذ اسمه وتحيات الدكتور ألنعيمي ورغبته في المشاركة في تلك الندوة ، وبعد استفسار الدكتور كمال عن الندوة وطبيعتها وعنوانها أجاب الرسول جوابا سيبقى بلا أدنى شك

محفورا في ذاكرة الشجعان والمبدئيين حين قال : ((لا اشترك في هذه الندوة، لأنه لا توجد عدوانية في الشخصية الإيرانية ، إنما العدوانية موجودة في الشخصية العراقية ، فان أي خلاف بين اثنين في الباب الشرقي يتحول إلى دماء خلال لحظات)) .

لم يعرف شاتي بتفاصيل هذا الموقف الذي عرفه بـ (المُشرّف) وإنما تعرف إليه من واحد من اقرب المقربين أليه منذ بداية الثمانينيات وبالصدفة عندما التقى في سنة 1998 بمدينة طرابلس في ليبيا بالدكتور ريكان إبراهيم الدليمي " وسأله عن أستاذه كمال ، فأجابه انه : الدكتور كمال مظهر ـــــــ أعطاه صفة مقدسة ـــــ !! فرد عليه الدكتور ريكان : قال والله صحيح ما تقوله عنه. فقص على زميله شاتي ّ تفاصيل ذلك الموقف الذي كان هو فيه المرسل بين رئيس جامعة بغداد والدكتور كمال . وقال : اللهم أحفظ الدكتور كمال درة في تاج الرجولة ، والذي خلق من طين الطبيعة والأصالة والسؤدد ، أنت قريب مجيب الدعاء .

ووجد شاتي ان من مفيد القول بل ولزاما لزاما عليه أن يقول إنه ومنذ العام 1985 اعتبر الدكتور كمال بمثابة (إمام) وقدوة له بمعناه الاعتباري . وقد شاع ذلك في أكثر من وسط ، وحين سمع بعض العلماء في النجف الاشرف غضبوا عليّه ، غير أنهم عندما قرؤوا نتاجاته وسمعوا عن بعض مناقشاته ومواقفه سكتوا.

ـ النص الثاني ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

برقية

في شباط عام 1997 وأثناء عمله في الجماهيرية الليبية أرسل الدكتور عبد الله شاتي هذه البرقية إلى أستاذه الدكتور كمال بمناسبة احتفالية الوفاء التي أقامها طلابه له وجاء في هذه البرقية : ((أعطر التحيات واصدق الأمنيات إلى الذي أوحى ، بوفائه واحترامه للعلم وطلابه وإخلاصه للحقيقة، بهذا الاحتفال ، إلى قبلة طلبة التاريخ الحديث وباحثيه ، إلى الذي لم يفرّق في تقديم النصيحة والتوجيه العلميين ، ولم يكل أو يمل منهما ، إلى عمود الإخوة العربية – الكردية الصلب ، إلى من شق طريق الموضوعية وسط غابات التحيز والمحاباة والتكسب ، إلى الدكتور كمال الذي أحياني بعد مماتي في الجهل وبعث فيّ روح العلم ، هنيئا لكم يا طلابه بهذا الاحتفال الذي (تحجون) فيه إلى كمال العظيم ، وتعسا وبئسا للزمان الذي منعني من ان (أحج) أليه معكم ، فتحية لكمال أبي الإبداع كله ، وتحية لكم ، بعد تقبيل الأقدام والأيدي والعيون)) .

خادم كمال الصغير والمطيع دائما
عبد الله شاتي عبهول
طرابلس – ليبيا
شباط 1997

النص الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

برقية

برقية بعثت بها الدكتور شاتي من طرابلس بليبيا في آذار 1999 بمناسبة منح أستاذه لقب العالم الأول في التاريخ .

((الى العظيم كمال ... إلى أكثر المؤرخين (شرفا) وموضوعية ونزاهة ، إلى الذي أعطى لوطنه عطاء باقيا خالدا ، إلى من صاغ أكثر الأفكار تألقا ودقة ، إلى القادر على التفكير بصورة موضوعية خارج إطار القناعات والتفسيرات ، إلى صاحب القامة العملاقة الخبيرة المتميزة الشريفة ، تحية إعجاب وتقدير ومودة بعد التهنئة الصادرة من أعماق أعماقي لكم بمناسبة منحكم

عن جدارة لقب العالم الأول في التاريخ ، أمد الله في عمركم وأسبغ عليكم ثوب الصحة والعافية ، وحفظ قلمكم الخلاق من كل سوء ، انه سميع قريب مجيب الدعاء)) .

خادمكم وتلميذكم عبد الله شاتي عبهول
طرابلس – ليبيا
آذار 1999

الدكتور فليح حسن[34]/ كلية الآداب ـ جامعة الكوفة

تحدث الدكتور فليح عن طبيعة علاقة أستاذه الدكتور كمال مظهر احمد العلمية بطلبته مؤكدا انه يعيش موضوعة طالبه الذي يشرف عليه بضمير علمي ، متابعة تفصيلية وتوجيها صحيحا، ويعيش حالة الطالب بضمير أبوي إنساني لا تخرج من دائرة الحرص الشديد على مستقبله ، فيا لها من معادلة .

ومن مواقفه يشير إلى أيام كتابته لأطروحة الدكتوراه إذ كانت بإشرافه ، مذكرا انه قدم استقالته من التدريس لأسباب علمية ومواقف مبدئية ، ولم يكن الدكتور فليح يعلم بأمر الاستقالة إلا لاحقا ، وإزاء ذلك قرر زيارته على غير موعد زياراته العلمية له . وكان بمعيته بعض الزملاء من طلبة الدراسات العليا في حينها ومنهم الأخ نذير جبار (الدكتور) ، وبعد انتهاء الزيارة ، أشار إلى إن أستاذه لم يودعهم بل أبى إلا أن يستأجر لهم سيارة موصيا سائقها بعدما أعطاه أجرته ، الاهتمام بهم وإيصالهم إلى المكان ألذي يريدون قائلا له : أنهم أبنائي وأريد الاطمئنان عليهم ، على الرغم مما كان يمر به من ظروف المرض وإشكالية الاستقالة حينها ، أمد الله في عمره .

دراسة في آثاره :ـ

سنعرض هنا لنماذج من مؤلفات الدكتور كمال ، لبيان طبيعة تعاطيه مع أحداث التاريخ ، في الوقت الذي نسعى فيه إلى الإفصاح عن تلك الجهود ، مع تأشير منهجه في كتابة التاريخ . ويبدو أن عزوف الباحثين عن التصدي لتاريخ الحركة العمالية الهامة في تاريخ العراق المعاصر ، كان سبباً دفع بالمؤرخ كمال مظهر احمد إلى البحث في تاريخها ، ولا سيما بعد أن تبين له أهمية دورها في بلورة الوعي الثوري في العراق . ووجد أن عمر هذه الطبقة يتحدد بالمرحلة التي سبقت ثورة 14 تموز(1958) ، مصنفاً ثلاث مراحل أساسية في عمر تلك الحركة ، هي مرحلة التكوين وتبدأ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والثانية وتبدأ مع بدايات التحرك العمالي ، وتعود للحقبة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، أما المرحلة الثالثة ، فتتمثل ببروز الطبقة العمالية على المسرح السياسي ، قوة فاعلة في مجمل حركة التحرر الوطني للشعب العراقي . ومن ذلك فإن كمال يحاول أن يربط بروز واندماج هذه الحركة الجديدة على الساحة السياسية العراقية ، ببروز المد الشيوعي ومناصرته للحركات العمالية فكان ذلك مدعاة له لبيان مراحل تطور هذه الحركة ، والتنويه بما شهدته في تاريخها من

[34] مقابلة معه ، كلية الآداب / جامعة الكوفة ، 2009 .

متغيرات ، فبحث في مراحل التكوين أواخر القرن التاسع عشر ، وعمد الى الكشف عن جذورها التاريخية ، ولا سيما كشفه عن أهمية التغلغل الرأسمالي الأوروبي والتوجهات الاستعمارية في منطقة الشرق الأوسط .

ولتسهيل تصور التوجه الأوربي صوب هذه المنطقة ، ولاسيما العراق ، عمد إلى الكشف عن مجمل الظروف والأحداث المتسارعة التي مثلت ظرفاً رحباً لهذا التوجه ، منوهاً بما عمدت إليه القوى الاستعمارية من تنافس ، أفرزت وضع العديد من المشاريع ،بما فيها طرق المواصلات ووسائل النقل . ولا شك في أن في هذا ، بيان لأثر الرأسمال الأجنبي في بروز الطبقة العمالية في العراق ، من خلال استقطاب تلك المشاريع لأعداد كبيرة من العمال . وليس ذلك فحسب ، بل انه حاول رسم الآلية التي من خلالها برزت الطبقة البورجوازية الوطنية[35]، مشيراً إلى المشاريع التي ولدتها تلك الأموال المستثمرة من قبل الملاكين والمستثمرين ، وما شهدته من تطوير ولاسيما في مجال النقل والإنتاج الحرفي وتأسيس المطابع ، مثنياً على جهود الوالي مدحت باشا[36] في هذا المجال . وبالمقابل ، فإن كمال لم يغفل الجانب المهم من سيرة هذه الطبقة الحيوية في المجتمع ، بما فيها معاناتها ومواجهتها للظروف الصعبة التي وجدت في طريقها ، مقدراً أن هذه الظروف هي التي هيأت لهذه الطبقة أن ترتقي بمكانتها من خلال التحولات التي طرأت على مسيرتها . ومع ذلك ، فهو يأخذ عليها قلة الوعي، إلا أنه وجد في التحولات الرأسمالية ، نقطة مهمة في تاريخ الحركة العمالية العراقية ففيها ، تكونت نواتها وقشورها الأولية ، وفيها أرست حالة استقطاب الفلاح صوب المدينة ، إلى جانب ما شهدته تلك الحركة من تحولات اجتماعية واقتصادية برزت بوضوح في سنوات الحرب العالمية الأولى وما بعدها . وأمام هذه الصورة للعامل في سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية ، ارتأى أن يعطي صورة عن العمل والعمال في سنوات تلك الحرب ، وما نتج عنها من وقوع العراق تحت الاحتلال البريطاني ، وما رافق هذا الاحتلال من وضع السلطة المحتلة لمشاريع وجدت في إدامتها سبباً لبقائها في العراق . ومن هذه المشاريع تمكنت من أن تنفذ كما يرى ، إلى الارتباط بقوى محلية لها نفوذها ، حين أقاموا دائرة خاصة بإمرة ضباط بريطانيين ، ارتبطوا بتلك القوى المحلية . وهو بإشارته تلك يحاول أن يوضح ولو بصورة غير مباشرة ، ما كانت تعمد إليه السلطة المحتلة للعراق وقتذاك ، من خلال وضع العراقيل التي تحول دون توحد صفوف العمال ، بما في ذلك الأساليب المالية والتمييز بين العمال . والعمل بشكل لا يقبل الشك على تردي المستوى العلمي والتعليمي لأبناء الشعب ، لإدراكهم أن هذا الأمر من شأنه أن يقتل الفكر ويحول دون تفعيله[37].

ومع ذلك ، وجد أن هذا السلوك قد مثّل دافعاً حيوياً لكي يحرك العمال أنفسهم في نطاق حركتهم العمالية . ولأجل توضيح أكثر لهذا التوجه ، ارتأى كمال أن يلتفت إلى ذكر ما كان العامل يعانيه من ظروف عمل قاسية ، لاسيما السنوات (1918- 1932) ، مدركاً ما للآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على بنية المجتمع ، بخاصة بعد أن استشعرت السلطة المحتلة الأبعاد الإستراتيجية والسياسية بضرورة تفعيل وجودها وتثبيته ، حين وجدت طريقها سالكاً صوب منابع النفط العراقي وصناعته ، ومن ثم انتقال رؤوس الأموال الإنكليزية إليه لاستثماره . وما نتج عنه من تأسيس لمعامل النسيج ومطاحن ومعامل طابوق ومكائن لتوليد الكهرباء . وبالنتيجة فان تلك المؤسسات ، استوعبت أعدادا كبيرة من العمال ، مما شكل تبلوراً واضحاً لعملية تكّون الطبقة العمالية العراقية خلال سنوات الاحتلال والانتداب ، لدرجة أنها

---

[35] أصحاب رؤوس الأموال ممن يستثمرون في البلد، وتصب استثماراتهم في الصالح العام

[36] (أكتوبر 1822م اسطنبول - 8 مايو 1884م الطائف) سياسي عثماني تولى مناصب عديدة في الدولة العثمانية. منها الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) ووزارة العدل وخدم قبلها واليا لولاية بغداد وولاية دمشق وولاية سالونيك.

[37] أحمد ، كمال مظهر ، الطبقة العاملة العراقية ، التكون وبدايات التحرك ، دار الرشيد للنشر ، 1981 .

شكلت فئة اجتماعية مهمة ضمن فئات المجتمع العراقي . فكان أن أثرت البيئة العمالية في المدن على وضع الفلاح في الريف ، الذي ما لبث أن تأثر إلى حد ما ، بما حصل لأقرانه ممن سبقوه إلى الهجرة صوب المدن ، وما وصلوا إليه من تحسن في ظروف أحوالهم . وبذلك فإن كمال قرر وعلى وفق منهج مادي صارم ، أن العامل الاقتصادي كان دافعاً حيوياً دفع بمجموعات كبيرة من سكان الريف إلى الهجرة نحو المدن . مشيراً إلى تداعيات هذا الحراك وتبادل الأماكن بعد الاندماج المتزايد بالسوق الرأسمالية ، حين أدت هذه الظروف إلى انحلال الإنتاج الحرفي العراقي وبوتائر متسارعة ، بما في ذلك من تداعيات السياسة الضريبية الموضوعة من قبل الحكومات المتعاقبة ، في مقابل الأجور الزهيدة التي كان يتقاضاها العمال ، ولاسيما النساء والأطفال الذين امتلأت بهم معامل النسيج والجوارب في بغداد ، التي عدت من أكثر ما كان يتعرض له العمال من إجحاف في العراق . ووجد أن هذا الأمر انسحب بقوة على السجون العراقية ، حين تم استغلال السجناء استغلالا كبيرا ، ليعده أسوء صفحة في تاريخ العمل العراقي خلال سنوات الاحتلال والانتداب ، مشيراً إلى عمل السخرة ومؤثراته السلبية .

وأمام ما شكلته تلك الصورة من أبعاد ، وجد كمال أن الذي يتحمل هذا الوزر ، هو الحكومة التي كانت مطيعة لما تعهد به إليها سلطة الاحتلال ، منوهاً بنص البند الثاني من بنود العقد الخاص الذي أبرمته إدارة السكك مع العمال العراقيين قبل تشغيلهم، إذ رأى فيه إفصاح حقيقي لواقع المعاناة التي أقحم فيها العامل العراقي ، وهو مجبر على تقبلها استناداً لواقعه المعيش.

ولترصين ما ذهب إليه ، أورد عدداً من الشواهد التي تتحدث عن تلك المأساة ، بما فيه الاستغناء الكيفي عن العمال ،مما أسهم إلى حد بعيد في زيادة عدد البطالة والعمال الأجانب في سنوات الاحتلال والانتداب[38].

وفي سياق بيانه التشققات التي حصلت في جسد الريف ، بما كان يشكله من ثقل في وزن الدولة العراقية ، وما شكلته أيضا من ضعف لإنتاج المدينة التي أصبحت ملجأ لجموع البطالة الوافدة إليها من المناطق الريفية . أشار إلى أسباب الهجرة إلى المدينة وانحلال عملية الإنتاج الحرفي وضعف وتائر نمو الصناعة الوطنية ، مؤكداً الآثار المباشرة التي تركتها الأزمة العالمية (1929 / 1933) لارتباط العملة العراقية بالجنيه الإسترليني .

ولعل من أخطر وأدق ما أشار إليه كمال من أهداف كان البريطانيون يعملون للتمهيد إليها والعمل على إيجادها هو تأسيسهم لجماعة من الجيش والشرطة تأتمر بإمرتهم[39]بما فيها تشكيلات الليفي[40] والشبانة[41]، في وقت تعمدت فيه إهمال المؤسسات الحيوية الأخرى ، بل تركتها بحالة بائسة . فكان من الطبيعي أن تديم هذه السياسة ، الوجود البريطاني الذي يجد في تحسين أحوال البلاد الإقتصادية والإجتماعية والفكرية ، تقاطعاً مع وجودها المسوغ بعدم استقرار الوضع في العراق . وأشار إلى السلوك الخطير الذي وجد أن البريطانيين قد لجأوا إليه في إطالة عمر وجودهم في العراق ، هو ما عمدوا إليه من تهيئة الفنيين والمهرة من العمال من خارج البلاد ، والحيلولة دون تطوير قدرات العامل العراقي . معززاً رأيه هذا بما اعتادت عليه الشركات الأجنبية من التملص من التزاماتها بتطوير الكادر العمالي العراقي العامل لديها

---

[38] المصدر نفسه، ص88 .

[39] كان من ضمن ممن انتمى إلى هذه المؤسسة ، أعداد كبيرة من الأميين .

[40] في عام 1915 وعندما كانت القوات البريطانية في طريقها لإكمال احتلال الأراضي العراقية،باشرت بتشكيل قوة مماثلة أطلق عليها اسم قوات الليفي . كانت هذه القوة التي بلغ تعدادها عام 1920 سبعة آلاف وخمسمائة رجل تضم عناصر من المتطوعة المجندة والمرتزقة.

[41] قوات (الجندرمة) التي عرفت باسم (الشبانة) فقد ظلت تطبق الأوامر تحت إشراف الضباط السياسيين، وتمارس مختلف الخدمات في المدن الصغرى والأرياف الواقعة على ضفاف الأنهار . كانت قوات الشبانة في منطقة العمارة نفسها قد تألفت من الشيوخ البارزين أنفسهم. أما في القرنة والاهوار فلم يكن أفراد الشبانة هؤلاء من أبناء العشائر. وفي الناصرية وسوق الشيوخ أضيفت إلى قوات الشرطة فيهما تشكيلات من الخيالة العشائريين بإمرة القيادة العسكرية.

والعمل على إثارة التنافر والتقاطع مع العمال الهنود وما أدته من إثارة حملة ضدهم ، مشيرا إلى التحايل على القانون الدولي الذي لجأ إليه البريطانيون من أجل ديمومة مصالحهم في العراق ، إذ ذكر التشريع العمالي في ظل الاحتلال والانتداب . وعرض إلى التقرير البريطاني الذي قدم بهذا الشأن إلى العصبة في (1926) في محاولة لإقناع الرأي العالمي ، بأن العراق ليس بحاجة إلى تشريع عمالي ، لكونه بلد زراعي . وقد ساندهم في هذا الطرح المسؤولون العراقيون . ومع ذلك ، وجد كمال أن العمال لم يخضعوا لهذه الممارسات ، إنما استمروا في مطالبتهم بضرورة سن تشريع للعمال .

أما بعد سنة (1932) ، انضمام العراق إلى عصبة الأمم ، فكان للدكتور كمال تصوره إزاء تلك الحقبة ، على فرض أنها صفحة جديدة في عمر الحركة العمالية في العراق ، تمثلت بالاحتكاك بالعملية السياسية ، حين تمت مناقشة مشروع العمل في مجلس النواب . فأورد النقاط التسع التي تضمنها المشروع ، وما أفرزته من تحركات خارجية أفضت إلى قبول اللوائح التي تقدم بها المسؤولون العراقيون إلى مكتب العمال الدولي .

وواضح من تلك البيانات أن كمال حاول رسم الخط البياني المتنامي والمتصاعد لتحركات العمال العراقيين ، بدءاً بتكوين قواعدهم ، مروراً بالتأسيس لها ومن ثم الإنطلاق إلى تحسين أحوالهم ، كناية عن بروز الحركة الوطنية العمالية . وهو ما أدى به إلى الرجوع في حديثه عن البدايات وبروز الوعي الطبقي بين العمال ، حين وجد أن الحاجة للتحرك قد دفعت بهذه الطبقة إلى تأسيس قاعدة أو آلية عمل ، تندرج في سياقها مجمل تحركاتهم . فظهرت بوادر التحركات العمالية الوطنية ، في أيام ثورة العشرين ، ولاسيما وان أول شهيد وقع ينتمي إلى هذه الطبقة[42].

والى ذلك ، وجد أن أول مؤشر مبكر لبوادر إدراك العامل لذاته ، كان في تأسيس نادي عمالي مستقل في بغداد ، وما تبع ذلك من تأسيس الجمعيات العمالية والحرفية ، مشيراً إلى ما لخصه محمد صالح القزاز القائد النقابي المعروف ، بما يتعلق بطبيعة تأسيس الجمعيات العمالية وتوجهاتها ، مؤكداً أن التدقيق في تحليل بنيان هذه الجمعيات ، سيعطي دليلاً على أنها جمعيات حرفية صرفة ، وذات قيادة حرفية وقاعدة عمالية . وهو ما أدى إلى تفعيل دور تلك الجمعيات وتكثيف نشاطها[43].

وتحدث عن جمعية أصحاب الصنائع ، بوصفها أنموذجا لما برز إبان تلك المرحلة من جمعيات . فتناول طبيعة توجهاتها وأشار إلى هيئتها الإدارية ، مورداً عدداً من أسماء إدارتها ، وعامدا إلى ذكر أهم أهدافها وأدوارها في حياة العمال العراقيين ، ولاسيما في مجال محو الأمية والبطالة وقيادة نضال وتحركات الحرفيين .

ولبيان الموقف النضالي لهذه الحركة ودورها التاريخي ، أشار إلى تقاطعاتها مع المحتل البريطاني ، الذي بدوره عمل على افتعال الأزمات والعراقيل للحيلولة دون تطوير مجال عملهم وتحجيم أدوارهم في قيادة الحركة العمالية المتنامية في العراق[44].

ولم يغفل كمال أن يشير إلى ما أداه الإعلام والصحافة العمالية من أدوار في رفد تلك الجمعيات وإبرازها ، حين عرض لسيرة جرائد المعارضة ، بوصفها وسيلة اتصال بين تلك الجمعيات والأوساط المختلفة للشعب ، منوهاً بما أصاب هذا الرافد من تطوير بدءاً من سنة (1929) ، عندما برزت أولى المحاولات العمالية لإيجاد صحافة مستقلة مستعرضاً بالتتابع ، السنوات التي شهدت صدور المجلات والجرائد العمالية والتذكير باهتماماتها ، بما فيها جريدة العامل ونداء العمال . وهو بذلك يحاول القول : إن الحركة العمالية ، كادت أن تخرج من ركودها ، حين دخلت مرحلة هامة من تاريخها ، بناء على ما شهدته السنوات (1929-

---

[42] نجار اخرس استشهد في بغداد عشية الثورة .

[43] كمال ، المصدر السابق ، ص 138 .

[44] المصدر نفسه ، ص154 .

1932) من متغيرات ، وما حصل من جرائها من انعكاسات على اقتصاديات البلدان بعد الأزمة الإقتصادية العالمية . وبالمقابل فإن كمال حين صّور لنا هذا الواقع المأساوي لحالة العامل في العراق ، التفت إلى تأثير ذلك على الوضع العام وما شكله من رد فعل العمال إزاء هذه التحديات ، فقاده هذا التفاعل الجماهيري إلى القول بتنامي الفكر النضالي للعمل ، حين امتدت مطالب الحركة العمالية من مطلب تحسين وضع العمال ، إلى مطلب سقوط الحكومة ، منوهاً بما أضافته الحكومة من إجراءات تعسفية بحق العمال وما شكّله من دافع لهم لإيجاد البدائل لتلك المعاناة، ولاسيما الموقف الذي اتخذته إزاء فرض قانون رسوم البلديات ، حتى بادرت إلى مساندتها والعمل على دفعها باتجاه سياسي لتحقيق أهدافها.

وبعد أن أدلى الدكتور بدلوه في بيان تاريخية الحركة العمالية في العراق ، نراه يعمد إلى تقييم مواقف المعارضة من الحركة العمالية وإضراباتها ، وبيان دور القوى البرجوازية الوطنية ووقوفها إلى جانب تلك الحركة،منتقياً نماذج تمثل واقع تلك الحركة ، كما هو الحال في تقييمه لجعفر أبو التمن[45]، والفئات المثقفة الوطنية ، وفي مقدمتها الشباب الثوري في العاصمة .

ومن ذلك حاول كمال الكشف عن تلك التوجهات التي أظهرتها الطبقة العمالية ، بوصفها تعبيرا ومؤشرا على تمتع العمال العراقيين بقوة إجتماعية جديدة ، فرضت نفسها على حياة المجتمع اليومية ، ليدشن بذلك بداية ضرورية للانتقال إلى مرحلة جديدة في تاريخ الحركة العمالية ، أعقبت السنة التي أعلن فيها استقلال العراق بدخوله عصبة الأمم .

لقد كان مؤرخنا مدركاً لما يدور من تفاعلات سياسية وفكرية في العالم ، ومقدراً انعكاس ذلك على بلاد المشرق ، الأمر الذي دفعه إلى البحث في موضوعات تتعلق بحقبة زمنية حساسة من تأريخ هذه المنطقة، استناداً الى ما تعنيه من أهمية بالغة الخطورة في تاريخ العالم بمختلف مراحله ، بسبب ما يمثله الموقع وغناه بالثروة ، من أهمية استعمارية للدول الكبرى . وأمام ذلك ، كان لا بد من أن يستقرأ المدلولات التاريخية لمنطقة الشرق الأوسط مع بيان أهميته ، فجاء كتابه " أضواء على قضايا دولية في الشرق ألأوسط " والذي صدر ببغداد سنة (1978) ، وبواقع (296) صفحة ، بياناً واضحاً لتلك المفاهيم مع الإشارة لتاريخيتها ، بما فيه الكشف عن الجهود الغربية المبذولة لإقرار هذه الحالة في البلاد .

فأشار إلى المغزى من بروز المصطلحات التي تم تداولها في الأدبيات الحديثة كما في مفهوم "الشرق الأدنى" و"الأوسط والأقصى"[46]، مقرراً أنها مفاهيم سياسية حضارية ، برزت استناداً الى عوامل مختلفة على مر العصور متوقفاً عند مفهوم الشرق ، مؤكداً انه نتيجة

---

[45] ولد محمد جعفر- بن محمد حسن بن الحاج داوود (ابو التمن) في بغداد عام 1881 من عائلة عريقة عربية مسلمة، تنحدر من قبيلة ربيعة. وهي عائلة معروفة في أوساط بغداد الثقافية والسياسية والتجارية. سافر والده الى ايران على اثر خلافات عائلية، لذا ترعرع جعفر في دار والده الحاج داوود، وهو تاجر معروف اشتهر بتجارة الحبوب لاسيما (الرز) وقد كان يملك مستودعاً كبيراً للحبوب يعرف (بخان داوود) في سوق بغداد المركزي - قرب سوق الصفافير- ، لذا لقب بأبي التمن. وقد كان يسكن محلة (ضبابيع الآل) على الضفة الشرقية من نهر دجلة في بغداد .

[46]حتى القرن التاسع عشر كان يطلق اسم «الشرق» على الأراضي الواقعة تحت الحكم العثماني، وأدى دخول أوروبا إلى الصين في نهاية القرن التاسع عشر إلى اختراع مفهوم "الشرق الأقصى» الأمر الذي أفضى بمثابة رد فعل إلى نشوء عبارة «الشرق الأدنى» بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى أدخل الانكلوسكسونيون في مطلع القرن العشرين مفهوم ((الشرق الأوسط)) للدلالة على المناطق التي تمتد من البحر الأحمر حتى الإمبراطورية البريطانية في الهند . وبعد الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية،عمموا تسمية الشرق الأوسط لتشمل مجمل الدول العربية متخلين بذلك عن عبارة الشرق الأدنى.وفي الولايات المتحدة يطلق الكثير من الكتاب اسم الشرق الأوسط على مجال إقليمي شاسع يمتد من المغرب إلى باكستان. في المصطلح الفرنسي تستعمل عبارة الشرق الأدنى والأوسط من دون أي تمييز، ولكن من غير ان تشملا شمال أفريقيا «أو المغرب» وتغطي هاتان العبارتان المجال الجغرافي الممتد من وادي النيل إلى وادي الهندوس, يشمل الشرق الأدنى والأوسط المشرق العربي والعالم التركي - الإيراني (تركيا ، إيران،أفغانستان)

عوامل وممارسات سياسية مختلفة ، لا تخلو من اعتبارات عنصرية مشيراً إلى ما ورد من آراء مختلفة تسعى إلى تحديد الإطار الجغرافي للشرقين الأدنى والأوسط ، مع محاولة عدم إغفال الإشارة إلى ما يعنيه الشرق الأوسط من أهمية خطيرة في قاموس الدول الكبرى . وهو بذلك يسعى إلى بيان تاريخية تلك الثوابت ، إلى جانب الحديث عن التغلغل الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ، منوهاً عن قصد بالبنود الأربعة عشر للرئيس الأميركي ولسن ، وما لها من علاقة بهذا التغلغل إذ مثلت في حينها الصياغة الرسمية الرفيعة الأولى للتغلغل الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ، مدركاً تأثير الانعكاسات العميقة لتلك البنود على عدد كبير من زعماء المنطقة . وهو أمر أكد أن كمال أتاتورك[47] قد أدركه . ومن ذلك ، حاول الدكتور الإشارة إلى أن معظم التقييمات التي وردت لتقييم بنود ولسن ، قد جانبت الحقيقة في طرحها. مؤكداً أن العامل الاقتصادي، كان يكمن وراء إصدار ولسن لبنوده .

وفي هذا السياق من تناوله لموضوعة هذه البنود ،وما تعنيه في سياسة الدولة الأمريكية إزاء الشرق الأوسط ، بما فيه السلوك الأمريكي وتغلغلها في هذه المنطقة ، يلقي ضوءا على أحداث لاحقة يرى ضرورة التصدي لها . فتحدث عن المراحل الأولى للتوجه الأمريكي صوب منطقة الشرق الأوسط أواخر القرن الثامن عشر ، موضحاً بجلاء دور المؤسسات التبشيرية والخيرية الأميركية في الإمبراطورية العثمانية ، وما أدته من ادوار خطيرة في التمهيد لهذا التغلغل،ملتفتاً إلى السبل والأساليب التي اتبعتها في التدخل في الشؤون الاقتصادية للدولة العثمانية إبان القرن العشرين ، حين مهدت لشركاتها أن تحذو حذو الشركات الغربية الأخرى ، لا سيما فيما يتعلق بينابيع النفط ولا سيما تلك الموجودة في الموصل[48].

وحين نعلم أن قرارات المرء هي انعكاس لتوجهاته ، فقد عمد إلى استقراء طبيعة حياة ولسن وعهده واتجاهاته الفكرية . مستنتجاً أن الغاية من تلك البنود في اقل تقدير محاولة لتحجيم أي انتصار يبرز لأي من الأطراف المتحاربة . وراحت تعمل على هذا السياق ، حتى دخولها الحرب . وهو بذلك يريد التنويه الى ما حصلت عليه الولايات المتحدة الأمريكية ، من جراء ما عمدت إليه من التزامها الحياد المبطن ، من مكاسب سياسية ومادية . ووجد أن هذه السياسة تعد طفرة نوعية في حياة هذه الدولة ، حين برزت قوة عسكرية واقتصادية انعكست على مكانتها السياسية في العالم ، مما هيأ لها أن تتبوأ مكانة خطيرة بين الدول الاستعمارية . ويبدو أن هذا الأمر دفع بمؤرخنا الى البحث عن توضيح ما تحمله من دوافع وما تهدف إليه هذه الدولة من أهداف حين أطلقت الحملة الإعلامية للتأثير على الشعوب . وعلى وفق ما طرحت من آراء وتلميحات تخص الشعوب التي تعاني من هيمنة الاستعمار ، أورد كمال اعترافات مسؤولة وصريحة إزاء هذا الدافع نفسه ، فأشار إلى ما شهده العراق من تجدد حالة الاستعمار وخضوعه بشكل كلي لهيمنة دولة استعمارية أخرى ، وكأنه يروم القول بما كانت قد تضمنته تلك البنود من دسائس وما هيأته من أجواء لتغلغل الاستعمار إلى منطقة الشرق الأوسط الهامة ،مشيراً إلى ما نوهت به الصحافة وما أثارته من ضجة كبيرة ضد هذه البنود ، وأكثر من ذلك عمد إلى ترجمة مضامين هذه البنود ، إلا انه استدرك ما اكتنف البند الثاني عشر من تلك البنود من غموض ، مؤكداً على حقيقة عدم احتوائه كلمة استقلال الشعوب غير التركية ، بل أن كل ما ورد فيه هو كلمة "الأوتو نومي" أي الاستقلال الداخلي أو الحكم الذاتي[49].

---

(47) في 29 تشرين أول أعلنت الجمهورية وانتخب مصطفى كمال باشا بالإجماع رئيسا لها .

(48) كمال مظهر : أضواء على قضايا دولية في الشرق ألأوسط ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، 1978 ، ص27 .

(49) المصدر نفسه : ص77 .

وأسهب بعد ذلك في بيان ملامح التغلغل الأمريكي إلى داخل البنية السياسية التركية[50] ، ولاسيما بعد ظهور وتبلور الاتجاه الفكري للجناح القوي المؤيد للانتداب الأمريكي داخل الحركة القومية التركية مشيراً إلى ما شكلته مضايق البوسفور[(51)]والدردنيل[(52)] من أهمية في نظر أصحاب المشاريع الاستعمارية نحو تركيا . وعلى خلفية هذا السجال السياسي ، برز إلى الوجود ما عرف بالمسألة الارمنية[53]، مشيراً إلى الدور الفرنسي في استغلال هذه المسألة

---

[50] دخلت أنقرة في شراكة إستراتيجية طويلة المدى مع الغرب والولايات المتحدة بشكل جعلها بمثابة "حجر زاوية" في أي سياسة أمريكية تجاه الشرق الأوسط ومنذ نهاية الحرب الباردة راجت أطروحات عديدة حول تراجع الأهمية الإستراتيجية لتركيا، خاصة من المنظور الغربي، وذلك عطفاً على انتهاء الخطر الشيوعي وعدم الحاجة لسياسة "سد المنافذ" التي وفرت لتركيا دوراً مهماً طيلة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق. إلا أن التاريخ أثبت لاحقاً عدم صحة هذه الأطروحات، ليس فقط بسبب تغير ديناميات البيئة الدولية في مرحلة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول 2001، وما فرضته من أدوار جديدة للقوى التقليدية ومنها تركيا، وإنما أيضا بسبب إدراك الأتراك أنفسهم لطبيعة هذا التغير وسعيهم للتعاطي معه وفق رؤية مغايرة وأدوات مختلفة زادت من حضورهم ورفعت من حظوظهم الإقليمية والدولية . وعلى عكس ما كان مطروحاً سلفاً من احتمال تراجع أهمية تركيا وافتقاد دورها الحيوي، بدا لاحقاً أن ثمة حاجة غربية وأمريكية ملّحة للدور التركي خاصة في ظل تعقد الأوضاع في الشرق الأوسط، ودخول الولايات المتحدة للمنطقة بكل ثقلها تحت ذريعة "الحرب على الإرهاب" التي أفقدتها كثيراً من حضورها الرمزي، وأثقل كاهلها بالعديد من المشاكل التي لا تزال آثارها باقية حتى الآن .

[(51)] مضيق يصل بين البحر الأسود وبحر مرمره، ويعد مع مضيق الدردنيل الحدود الجنوبية بين قارة آسيا وأوروبا، ويبلغ طوله 30 كم، ويتراوح عرضه بين (550 متر و 3000 متر)، وحسب المعتقدات اليونانية القديمة، فإن تسمية المضيق تعني ممر البقرة. ومياه مضيق البوسفور مصنفة ضمن مجال الملاحة الدولية.

[(52)]ممر مائي دولي يربط بحر إيجة ببحر مرمرة. ويفصل المضيق ما بين شاطئ آسيا الصغرى وشبه جزيرة جاليبولي في الجانب لأوروبا وهما من الأراضي التركية، يبلغ طول مضيق الدردنيل حوالي (61) كم، وعرضه يتراوح بين(1.2) إلى 6 كم ويصل عمقه من 50 إلى 60 متراً. وقد اعتنت الدولة العثمانية بعد امتلاكها للقسطنطينية ، بتحصينه فبنت القلاع على جانبيه حتى أصبح منيعاً يستحيل على أكبر أسطول أن يقتحمه بدون أن يتعرض لأكبر الأخطار. ومن تاريخ هذا المضيق أن أسطولاً انكليزياً مؤلفاً من اثنتي عشرة بارجة وعدد كبير من المدفعيات والحراقات اقتحم الدردنيل في 20 شباط سنة (1807م) تحت قيادة الأميرال دوكودث ووقف أمام الآستانة فرآها قد استعدت حصونها لمقابلته فاضطر للرجوع ، فكان الترك قد أسرعوا إلى تحصين جزء منه فلما هم الأسطول الإنكليزي بالرجوع ومر بتلك الحصون ، أصيب بأضرار عظيمة . ولما صار الأميرال الإنكليزي ببحر إيجة قابله أسطول روسي ،فعرض عليه أميراله أن يتحدا معاً على اقتحام الدردنيل وإلزام تركيا بالشروط المطلوبة فأبى لأميرال الإنكليزي لتحققه من الخطر. وفي سنة (1809)م أي بعد هذه الحادثة بسنتين اتفقت إنكلترا وتركيا على ضرورة إقفال الدردنيل في وجه السفن الحربية الأجنبية. وفي سنة (1823)م اتفقت روسيا مع تركيا على إقفال الدردنيل في وجه كل دولة تطلب روسيا إقفاله في وجهها وكان ذلك في مقابل مساعدة روسيا للباب العالي في صد هجمات إبراهيم باشا بن محمد علي باشا عن الأناضول. هذا الاتفاق شغل بال إنكلترا شغلاً كبيراً فتوصلت لحمل روسيا وبروسيا والنمسا على الاتفاق معها على وجوب إقفال تركيا للدردنيل في وجه جميع الدول على السواء وكان ذلك سنة (1840)م. ثم انضمت إليهم فرنسا سنة (1851)م وأبدل هذا الاتفاق باتفاق البوغازات ونص فيه على هذا الإقفال في مادتيه الأوليتين. ولما عقدت معاهدة باريس سنة (1856)م نص على هاتين المادتين فيها. وجاءت معاهدة سنة (1871)م ناصة على ذلك الإقفال أيضاً. ولما انتصرت روسيا على تركيا سنة (1876)م وعقدت معها الصلح جعلت لنفسها حقاً ممتازاً في الدردنيل فلما التأم مؤتمر برلين لتنقيح شروط الصلح ، ألغى هذا الحق الممتاز وأيد مبدأ الإقفال .

[(53)] انتهجت السلطات العثمانية سياسة التتريك تجاه الأرمن والعرب لكبح جماح انطلاقتهما، والحد منها وإخمادها في النهاية. فأقدمت هذه السلطات على قتل القادة والزعماء الأرمن، بدءاً من 24 نيسان-أبريل (1915)، ثم اتبعتها بعد أسبوعين، وبالتحديد في 6 أيار- مايس (1915) بنصب المشانق للزعماء العرب في دمشق وبيروت، وبدأ إرهاب الطرفين معاً حين أخذ جمال باشا السفاح بالنسبة للعرب، وطلعت باشا السفاح بالنسبة للأرمن، وزملاؤهما أعضاء الاتحاد والترقي بسفك الدماء الأرمينية-العربية على حد سواء، حتى شهدت الأراضي الأرمينية في أرمينيا الغربية والأراضي العربية في سوريا ولبنان والعراق الكثير من الحوادث

لغرض تحقيق بعض المكاسب السياسية ، في وقت أشار فيه إلى السخاء البريطاني في هذه القضية . وأمام ذلك ، أكد أن هذه الدراما السياسية من قبل الدول الاستعمارية ، انسحبت بكل حيثياتها ، على المشرق العربي حين راحت تلك الدول الاستعمارية نفسها تحيك المؤامرات في عواصمها وضمن محادثات ومقررات باريس وفي إطار بنود ولسن الأربعة عشر ، ولاسيما البند الثاني عشر الذي يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط[54] .
والى ذلك أسهب كمال في تتبع تحركات الساسة العرب إزاء قضية بلدانهم ، فتحدث عن فرض الحماية البريطانية على مصر والعراق وما رافق ذلك من مشاكل إدارية وسياسية . ومع ذلك ، فإنه لم يقتنع بأن ما أورده من حقائق وثوابت تاريخية، يمكن أن تعطي الصورة المتكاملة لطبيعة البنود دون ربطها بالقضية الصهيونية ، فعرض لهذا الموضوع ضمن رؤيته لشخصية الرئيس ولسن والصهيونية ، موضحاً مواقف حكومته إزاء الصهيونية ، ومشيراً إلى إعلان ولسن الذي أكد فيه مساندة حكومته المطلقة لوضع أساس الدولة اليهودية في فلسطين .
وتطرق لمساعي بعثة "كنك ـ كرين"[55] بشأن القضية الفلسطينية ، منتهياً إلى القول بأن ما أورده من حقائق بشأن دور الرئيس ولسن في قيام الدولة اليهودية ، تعطي إمكانية التوصل إلى عدد من الاستنتاجات التاريخية الهامة حول بدايات التغلغل الأمريكي في الشرق الأوسط ، إلى جانب بيان طبيعة بنود ولسن الأربعة عشر ، مؤكداً أنهما موضوعان مترابطان عضوياً فيما بينهما ، منوهاً بما أسبغت على تلك البنود من صفات التبجيل والتأييد مما دفع عنها كل شك . وهذا بالتأكيد ما يجعل من مهمة الباحث ، مهمة صعبة بحيث تتطلب سبر أغوار الأحداث والتوصل إلى استنتاجات ، تكمن فيها الغاية من دراسة التاريخ .
ونظراً لما شكلته معاهدة سايكس بيكو[56] من أهمية في تاريخ الشرق الأوسط ، فقد تصدى لمناقشتها على ضوء الوثائق الروسية ، لأنها المسؤولة عن فضح ما تضمنته تلك المعاهدة من بنود ، مؤكداً أن جوانب عديدة من جوانب تلك المعاهدة الخطيرة ، ما تزال بحاجة لمن يتصدى لها ويكشف عن مفرداتها وتحديد أبعادها . وفي هذا السياق من بحثه ، التفت إلى البحث في جذور الصراع بين الجبهتين المتحاربتين ، وبيان توجهاتهما في السيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية ، وما شكلته المضائق من أهمية ، فضلاً عن الدور الروسي ومصلحته في المحافظة على تلك الدولة ، مما دفع الروس الى الدخول إلى جانب الحلفاء وتحقيق انتصار أجاز لها دخول إيران والتوغل في داخلها .

الدامية. للمزيد انظر د. دعد بو ملهب عطا الله ، المسألة الأرمينية في النظام الدولي المعاصر ، القضية الارمنية :تحديات و تطلعات ، بيروت1996 -

[54] ضمان سيادة الأجزاء التركية وإعطاء الشعوب الأخرى غير التركية التي تخضع لها حق تقرير المصير، وحرية المرور في المضائق لجميع السفن بضمان دولي.

[55] (King-Crane Commission) لجنة تحقيق عيّنها الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون في أثناء انعقاد مؤتمر الصلح في باريس عام 1919 للوقوف على آراء أبناء سورية وفلسطين في مستقبل بلادهم. وقد اختار ولسون لرئاسة هذه اللجنة هنري كينغ, رئيس كلية أوبرلين بولاية أوهايو, وتشارلز كراين, وهو رجل أعمال بارز من شيكاغو. وبعد أن طافت هذه اللجنة في مختلف المدن السورية والفلسطينية, ما بين 10 حزيران و 21 تموز وضعت تقريراً أعلنت فيه أن الكثرة المطلقة من العرب تطالب بدولة سورية مستقلة استقلالاً كاملاً, وترفض فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

[56] بينما كان نشاط الصهيونية يتزايد في فلسطين بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني سنة (1908)، وبسبب الفساد والرشوة في الإدارة العثمانية، كانت الدوائر الاستعمارية الأوربية ترسم الخطط السرية فيما بينها لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية التي كانت مظاهر تدهورها وانهيارها بادية للعيان. وهكذا فقد توصلت كل من بريطانيا وفرنسا في 16 أيار "مايو" (1916)، إلى عقد معاهدة سرية لاقتسام المشرق العربي فيما بينهما، بينما كانت نيران الحرب العالمية الأولى مستعرة بين بريطانيا وفرنسا وحلفائها من جهة والدولة العثمانية وألمانيا وحلفائهما من جهة أخرى .

وأمام ذلك ، كان لا بد من أن تتغير الرؤى وتتقاطع الأفكار ، ولاسيما بعد حدوث انقلابات فكرية مثل الثورة البلشفية وما أدته من تغيير في روسيا ، وقلبتها رأساً على عقب . فتناول معاهدة سايكس بيكو في آذار (1916) بوصفها واحدة من نتائج تلك الثورة .

وعلى خلفية تناوله لهذا الموضوع ، وجد كمال ضرورة الإشارة إلى ما عمدت إليه القيادة الشيوعية من الكشف عن جملة الوثائق التي كشفت النقاب عن طبيعة تلك المعاهدة .ملتفتاً إلى لويد جورج[57] بوصفه المنُظّر الرسمي للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط ، فتطرق إلى دوره في معاهدة فرساي[58]، وكشف عن سيرته السياسية مع الإشارة إلى مساعيه لتوسيع مناطق نفوذ بريطانيا في الشرق الأوسط على حساب الفرنسيين.

وعلى هامش تطرقه للقضية السورية ، أشار إلى أهم العوامل التي وجدها قد أثرت فعلاً على تلك المسألة.وبما للموضوع من أهمية ، تحدث عن شخصية ساطع الحصري[59]، ولا سيما انه قد أسهم في الأحداث السورية وراقبها عن كثب . وكذا الحال بالنسبة لما أورده سليمان موسى ، موضحا ما اتخذه الأمير فيصل من إجراءات لشل الحركة الوطنية ، حالت دون تعبئة الجماهير في سوريا .

وأمام ذلك أشار كمال إلى الإنذار الذي وجهه الجنرال (غورو)[60] إلى الأمير فيصل وحكومته وما أدى إلى التقاطع معه ، منوهاً بطبيعة علاقة الحكومة بسلطة المحتل التي لم تتوانَ عن استكمال دخولها إلى دمشق ، وإنهاء حكومة فيصل في سوريا . ولم يغفل أن يشير إلى السجال السياسي الذي دار بين الساسة البريطانيين والفرنسيين بشأن ما حصل من متغيرات سياسية في سوريا ، مؤكداً ما لوح به لويد جورج من رؤية بلاده إزاء تلك المسألة وإلقائه تبعة الأحداث على عاتق بعض الضباط الفرنسيين متخطياً بذلك الطبيعة الاستعمارية لكل الخطط التي نفذت، متجاهلاً دور حكومته المدانة فيها[61].

وأمام ذلك ، توصل كمال إلى عدة استنتاجات عرض إليها ، مؤكداً أن هذا الموضوع يستحق وقفة خاصة بحكم تشابه الظروف إلى حد كبير وتطابق الزمن كلياً بين ما حدث في تركيا وما حدث في سوريا ، في وقت أتت الأحداث فيهما بنتائج متباينة للغاية ، مؤكداً أن الملك فيصل كان يمثل الجناح اليميني للتحرك الوطني المستعد للمساومة ابداً . بل ووجد انه يمثل الفكر

---

[57] أدى اندلاع الحرب عام (1914م) إلى تحول لويد جورج من رجل رافض للجوء إلى العنف في حل النزاعات إلى مؤيد قوي للحرب ضد ألمانيا. وقد استطاع وهو وزير للعتاد الحربي عام (1915م) أن يتغلب على العجز في الذخيرة. وفي يوليو (1916م)، خلف لويد اللورد هوراشيو كتشنر وزيرًا للحرب، وفي ديسمبر (1916م) حل محل هيربرت أسكويث رئيسًا لمجلس وزراء ائتلافي. وبصفة عامة، يُعد لويد واحدًا من أشهر القادة العسكريين في بريطانيا؛ ارتفعت في ظل قيادته الروح المعنوية للمدنيين. وقد نجح أثناء مؤتمر باريس للسلام عام (1919م) في التوصل إلى حل وسط بين مثالية الرئيس الأمريكي وُدرو ولسون من جهة ، والشروط المتعنتة للسلام التي كان ينشدها رئيس الوزراء الفرنسي جورج كليمنصو من جهة أخرى.

[58] وقعت معاهدة السلام في فرساي بتاريخ 28 حزيران (يونيو) (1919) .

[59] يوم احتل الفرنسيون دمشق، غادر الحصري سورية مع ملكها المبعد عن العرش (فيصل الأول) في رحلاته بين العواصم الأوروبية وبعد أن توج فيصل ملكاً على العراق استدعى ساطع الحصري الذي كان وقتها في مصر يطّلع على الأوضاع التربوية والتعليمية فيها، ليعمل مستشاراً لشؤون المعارف في الدولة العراقية الجديدة، اذ تسلم طيلة ما يقارب العشرين عاماً عدة مناصب تربوية في بغداد حتى وفاته عام 1968.للمزيد عن شخصية الحصري ، يراجع: وليم كليفلاند ، ساطع الحصري : من الفكرة العثمانية إلى العروبة ، بيروت : 1983 .

[60] احتل الجيش الفرنسي دمشق في 23 تموز 1920 بقيادة الجنرال غورو، الذي ذهب في اليوم الثاني الى ضريح صلاح الدين الأيوبي في الجامع الأموي، من أجل أن يناديه قائلا " ها نحن يا صلاح الدين قد عدنا " وكان هذا رداً على صلاح الدين الذي قد قال للصليبيين " إنكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا إليه .

[61] كمال مظهر ، أضواء على قضايا دولية في الشرق ألاوسط، ص179.

الإقطاعي الليبرالي المشوب ببدايات[62] الفكر البرجوازي النامي . ولم يبلغ شأو العديد ممن سبقوه في هذا الميدان وعلى رأسهم الأمير عبد القادر الجزائري[63].

وتحدث عن مؤتمر شعوب الشرق في باكو[64]، فأشار إلى منطلق هذا المؤتمر الفكري ، مستعرضاً شخصية لينين[65] الفكرية بوصفه من دعا إلى عقد هذا المؤتمر ، مشيراً إلى أفكاره الجديدة حول المسألة الكولونيالية[66] وأثرها على الكومنتيرن[67] الذي تأسس في آذار 1919 لغرض صياغة شعارات نهائية للنضال في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى . وتحدث عن الظرف الذي أدى إلى إعلان الشيوعية لشعارهم الجديد " يا عمال العالم اتحدوا "إلى جانب ما علق عليه لينين .

وفي سياق حديثه عن المؤتمر ، وعن الحضور العربي فيه ، لاسيما بعد ثورة العشرين ، نوه بعاملين أسهما في تعزيز الموقف العربي في هذا المؤتمر ، تجسدا بعامل الزمن فضلاً عما اتخذه الاستعماريون من موقف متشدد إزاء هذا المؤتمر[68] الذي أشار إلى أهم ما تمت مناقشته فيه من قضايا مهمة وحساسة تخص الوضع الدولي ومهمات جماهير الشرق الكادحة ، إلى جانب المسألة القومية والكولينيالية والزراعية .

ولأهمية الوثائق[69] في عمل الباحث في التاريخ ، التفت كمال إلى البحث فيما صدر عن المؤتمر الأول لشعوب الشرق من وثائق عرفت ببيان المؤتمر إلى شعوب الشرق وموضوعات في المسألة الزراعية ونداء مؤتمر شعوب الشرق إلى عمال أوربا وأمريكا واليابان . فأشار إلى الأهمية التاريخية التي مثلها هذا المؤتمر ولاسيما في مجال فضح وعزل الأفكار الخاطئة للماركسيين اليساريين الشرقيين ، بخاصة فيما يتعلق بنضج ظروف انتصار الثورة الاشتراكية

---

[62] في عام 1915 وعندما كانت القوات البريطانية في طريقها لإكمال احتلال الأراضي العراقية،باشرت بتشكيل قوة مماثلة أطلق عليها اسم قوات الليفي . كانت هذه القوة التي بلغ تعدادها عام 1920 سبعة آلاف وخمسمائة رجل تضم عناصر من المتطوعة المجندة والمرتزقة.

[63] مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورائد مقاومتها ضد الاستعمار الفرنسي بين 1832 و 1847. كما يعد أيضا من كبار رجال التصوف والشعر وعلماء الدين .

[64] في سبتمبر 1920 ، أكثر من 2000 ناشطين من جميع أنحاء آسيا الوسطى وروسيا السوفيتية والبلدان الامبريالية الكبرى وجدوا أنفسهم في باكو ، عاصمة جمهورية الاشتراكية الوليدة في أذربيجان. أعلن مؤتمر شعوب الشرق أن تحالف البروليتاريا في البلدان الصناعية والشعوب الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية أو المضطهدة من جانب الامبريالية ، يمكن انقاذها من النظام الرأسمالي لبناء عالم مستدام للمقهورين.

[65] فلاديمير ايليتش لينين (1870 - 1924) . مؤسس الحزب الشيوعي للإتحاد السوفيتي والدولة السوفيتية .

(66) الكولونيالية ينطبق هذا التحديد على كل الأبحاث والدراسات والتقارير التي أنجزها باحثون أوروبيون(ضباط، مخبرون، ودارسون متخصصون) حول المغرب وباقي مجتمعات شمال إفريقيا، والهدف هو ضبط هذه المجتمعات ومعرفتها من الداخل بغية تأمين وتسهيل عملية السيطرة الاستعمارية عليها ، لا سيما أننا قد عرفنا أن الأسلوب العسكري التقليدي قد كلف فرنسا الشيء الكثير في أثناء احتلالها للجزائر منذ عام 1830م .

(67) إختصار لعبارة تعني الشيوعية الأممية، وكثيرًا ما يطلق عليها اسم الأممية الثالثة .وقد أسسها الزعيم الشيوعي ف. إ. لينين عام 1919م، وذلك لتنظيم الثورات عن طريق الأحزاب الشيوعية في كل دولة. وبعثت الجماعات الشيوعية من مختلف الدول مندوبين عنها لحضور المؤتمرات التي عقدت في مدينة موسكو. وقام الاتحاد السوفييتي السابق بحل الكومنتيرن عام 1943م دليلاً على الصداقة والنوايا الطيبة تجاه حلفائه في الحرب العالمية الثانية (1939- 1945م) .

[68] كمال مظهر ، أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط ، ص209 .

[69] ان إبراز أهمية الدراسات الوثائقية ونشرها يفيد الدراسات التاريخية ويساعد على النمو الحقيقي للدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية والتعرف على ملامح الأعراف والتقاليد التي تكمن بين السطور. ان الجمع والحصر المنظم للوثائق في العهود التاريخية المختلفة في اماكن وحوافظ خاصة بها ومن ثم نشرها، يؤدي الى إضاءة الجوانب المتعددة لتلك العهود، سواءً أمام العامة او بشكل خاص امام الباحثين، وهذا بدوره يمكنهم من التعرف على حقيقة وأهمية الدراسات التاريخية، كونها دراسة لأحداث الماضي من اجل فهم وقائع الحاضر .

في بلدان العالم الثالث . وأكد على وجود شواهد تاريخية كثيرة ، تشير إلى الآثار التي تركها هذا المؤتمر ، في إطار التأثير العام للانقلاب الفكري الجديد ، الذي انتقلت إشعاعاته إلى مناطق شتى من العالم . وأورد حيال ذلك ، رؤيته إزاء تقرير " مجلس الدعاية والعمل "الذي قدم إلى الكومترن في نيسان 1921، وما ذهب إليه سوركين .

وفي هذا السياق من تعرضه للتجاذب والتفاعل السياسي في منطقة الشرق الأوسط ، عرض كمال إلى بيان أهم ما طرأ من تطورات على العلاقات السوفيتية الإيرانية والعلاقات التركية السوفيتية ، إلى جانب العلاقات الحجازية السوفيتية والسوفيتية اليمانية، اعتماداً على وثائق وزارة الخارجية السوفيتية القديمة ، بوصفها في تقديره ، تمثل إشارات لاتصالات وقعت بين ممثلي المنظمات الوطنية المصرية والفلسطينية والسورية ، بوزير الخارجية السوفيتي (جيجيرين) ولأكثر من مرة[70] .

وفي سياق بيانه للعلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبين دول الشرق الأوسط ، نوه بالاعتراف السوفيتي لحكومة الانقلاب السعودي في شباط (1926)، لاسيما وان السوفيت كان يرقب ويتابع مجرى الأحداث السياسية في شبه الجزيرة العربية قبل سقوط النظام الهاشمي في الحجاز . والى جانب ذلك ،أشار إلى مسيرة العلاقة بين الاتحاد السوفيتي وبين اليمن ، ووجد أن عملية الكشف عن تلك الصفحات من تاريخ العرب المعاصر ، يستحق عناية أكثر من جانب الباحثين لسبر أغوارها ، ففيها تكمن تجارب ودروس تاريخية ، لا تخلو من أهمية كبيرة . وبحث في نشوء حركة التحرر الوطني العربي ، من خلال دراسة سوفيتية ، مؤكداً أن العديد من العلماء والمفكرين السوفيت تصدوا وبأسلوب علمي إلى مسألة نشوء هذه الحركة وموقعها التاريخي وتطورها وتأثيرها الكبير على تناسب القوى ، ولاسيما على الصعيد العالمي ، مؤكداً أن ثمة دراسات وبحوث لعدد من المؤرخين السوفييت من أمثال ليبيدريف ولوتسكي وليفين وميرسكي ولاندا ودانتسك ، فضلاً عن العشرات غيرهم ، تعد نقاطاً مضيئة في عالم الاستعراب إذ وجدها تحدد أولا وقبل كل شيء ، وعلى أساس مادي ، الطبيعة العادلة للنضال العربي ، كأي نضال تحرري ، وتعطي الجماهير حقها في خلق وتطوير أحداث ذلك النضال . ولترصين ما يذهب إليه عمد إلى مناقشة ما قدمه المستشرق " ل . ن . كاتلوف " من نتاجات تاريخية ، ولا سيما كتابه " الجمهورية العربية اليمنية " مستعرضاً مباحثه، ومشيراً إلى توجهاته ، مؤكداً أنه يعد أنموذجاً حياً لدراسة حركات التحرر للشعوب ، بأسلوب علمي موضوعي مجرد[71].

وفي سياق بحثه في نضال الشعوب ضد التوجهات الاستعمارية،وجد أن الشعب العراقي يعد واحداً من تلك الشعوب التي عانت من السيطرة الاستعمارية،ليجعل من إشارته تلك بياناً واضحاً لمسوغات مقاومة العراقيين للاحتلال البريطاني لبلادهم . وجعل من حدث ثورة العشرين أنموذجا لتلك التحركات الوطنية ، مؤشراً ما أسهم به عموم فئات الشعب في هذا التحرك المصيري . ومع أنه أقر بتصدي الكثير من الباحثين لموضوعة الثورة ، بيد أنه نفى أن يكون واحداً من الباحثين، قد اعتمد منهجاً علمياً في تلك الدراسة . ونراه يثني على ما أوردته جريدة الأهالي في عدد لها ، صدر سنة 1952 ، أكدت فيه ضرورة وجود مؤرخ يتمتع بحس سياسي وتاريخي ، يجعلانه ينظر إلى الثورة العراقية ، نظرة العالم إلى الظاهرة الطبيعية ، مما يلجئه إلى اعتماد منهج علمي واضح[72]. فبدأ ببحث العوامل المحركة لهذا الحدث ، وجاء على بيان المقدمات التي هيأت لهذا الحدث ، مصنفاً العوامل إلى داخلية وخارجية ، متحدثاً عن اثر

---

[70] المصدر نفسه : ص236

[71] كمال ، المصدر نفسه ، ص295 .

[72] الأهالي ،(جريدة) ،عدد 27،حزيران ، بغداد ، 1952 .

العامل الاقتصادي المتدهور في تأجيج روح الثورة ، وما كان للانكليز من دور في تردي هذا الوضع[73].

وفي سياق بحثه في موجودات الخزينة ، وجد أن ارتباط العراق وقتذاك ببريطانيا وبعملتها الجنيه الإسترليني هو الذي أدى إلى تدهور الدينار . واستكمالا للواقع المأساوي الذي كان يعيشه الشعب ، أشار إلى طبيعة التعامل المجحف الذي كان يتعامل به الضباط الإنكليز مع المواطنين سواء في الجنوب أو في الشمال . مشيراً إلى جملة أمثلة كشواهد على ذلك . ووجد أن هذه العوامل تعد مؤثرات خارجية ، بما فيها تنامي دور الحركة الوطنية في إيران وبلاد الشام والحجاز . إلى جانب بروز الحركة الكمالية[74] في تركيا . وأشار إلى وجود وثائق ومعلومات مختلفة توضح أن الحركة الكمالية التي جابهت جيوش دول استعمارية ، تركت بصماتها واضحة على فكر المثقفين العراقيين ، منوها بتقارير سرية بريطانية ، أشارت إلى دور علماء النجف وكربلاء في بث الدعاية للحركة الكمالية ، مما انعكس إيجابا على نفسية الكرد في بلادهم ، على انه لم يغفل الإشارة إلى مؤثرات الثورة البلشفية وما أدته بنود ولسن الأربعة عشر التي صدرت في الثامن من كانون ثان سنة (1918) ، من تأثيرات في أبناء المنطقة الكردية .

وتمسكاً بأحقية الكرد من خلال إسهامهم في بناء تاريخ العراق ، أشار الى مقدمات الثورة في المنطقة الكردية، والى الانتفاضة الكردية الأولى ضد الانكليز في منطقة زاخو أواخر شهر آذار 1919 ، ورد فعل الإنكليز إزائها ، إلى جانب تطرقه لانتفاضة الشيخ محمود في السليمانية . وكذا الحال في إشارته إلى ما حدث في (باهدينان) وانتفاضة (تلعفر) . وبعد أن هيأ صورة جسدت نضال الكرد ، ضد الوجود البريطاني على أرض بلادهم ، أشار إلى موقفهم في أحداث ثورة العشرين . فعرض إلى ما تطرقت إليه صحافة الثورة من تلك النشاطات ، إلى جانب إشارته إلى بعض الشخصيات التي تطرقت إليها تلك الصحافة .

والى ذلك أسهب في توضيح ما قام به الكرد من ادوار وطنية ، تجسدت في المشاركة الفعلية في أحداث الثورة ، ولاسيما عشائر منطقة خانقين ، وما حصل في منطقة كفري واربيل ، وبالمقابل أشار إلى ما اتخذته السلطة البريطانية من إجراءات تعسفية بحق المناضلين الكرد ، التي انسحبت على مجمل مناطقهم حين شهدت إجراءات تعسفية بحق أبنائها . ولبيان الترابط العضوي بين تحركات الساسة في العراق ، أشار إلى مساعي جمعية العهد / فرع الموصل بفضح الممارسات الاستبدادية بحق الكرد . وهو ما هيأ في نفوس أبناء تلك المناطق ، أن يديموا روح التمرد والانتفاضة ضد الاستعمار البريطاني في بلادهم[75].

وفي سياق تصديه للموضوعات السياسية ، جاء كتابه " صفحات من تاريخ العراق المعاصر ، محللاً وبعمق ، تاريخ التفاعلات السياسية لبلاده ، حين تناول جوانب أساسية ومهمة من تاريخ العراق الاجتماعي والسياسي ، موظفاً اجتهاده في كثير من مفاصل الكتاب ، بما تضمنه من موضوعات خطيرة كما في تطرقه وبدراسة مستفيضة ومعمقة لواقع الإقطاع في العراق ، مع تحديد الإطار الشامل لتاريخيته، فدرس مراحله المختلفة بما فيها مرحلة الميلاد أو التكوين ثم مرحلة النمو وأخيراً مرحلة الانحلال والانهيار ، مما يهيأ - في تقدير المؤلف - إلى إلقاء الضوء على جوانب عديدة خافية عن ماضي البلاد .

وفي تقديمه هذا ، وجد المؤلف أن ذلك أمر لابد منه في دراسة الإقطاع في العراق ، بوصفها قد شكلت الخطوط العامة له بوصفه نظاما وعبر مرحلة تاريخية لا بد منهما ، إذ أنها دراسة العلاقات الإقطاعية لأي بلد تسهم في التأسيس لقاعدة دراسة شاملة ومقارنة لهذا الموضوع بخاصة انه يرى أن التركيز على الإقطاع في مرحلة الانحلال والانهيار ، من شأنه

---

(73) دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية ، بغداد ، 1978 .

(74) نسبة إلى مصطفى كمال .

(75) كمال مظهر ، أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط ، ص154 .

أن يكشف جملة قضايا سياسية واجتماعية مهمة رافقت بروز وخفوت الإقطاع[76]. وقد انسحبت عنايته تلك ، إلى التحدث عن البرجوازية ، ومراتبها وسبل التعاون معها ، حين عمد الى تحديد مفهوم البورجوازية ومراتبها والخصائص الأساسية لهذه المراتب ، في أطار عام مستنبط من التاريخ الأوروبي بالأساس .

والى ذلك تصدى لموضوع جديد في معظم أبوابه ، محاولة منه لطرح آراء واستنتاجات تستحق النقاش ، توخياً لتعميق مضمونها ،علها تسهم في فهمٍ أفضلٍ لجوانب محددة من قضايا مجتمعاتنا المعاصرة[77].

وخلال ذلك ، عرج مؤرخنا على بيان التطور التاريخي للبرجوازية ، بتأشيره أهم المراتب المكونة لها وصولا إلى ذكر ملامح المجتمع الرأسمالي . في حين تحدث عن البورجوازية العراقية ، بما فيها تكونها وفئاتها وطبيعتها ووزنها الاقتصادي والسياسي ، فضلاً عن بيان جذورها التاريخية ، منتهياً إلى القول : بأنها تبنت شعارات سياسية صحيحة في حدود فهمها للأمور . وفي ضوء مصالحها الخاصة فهي كانت مع الديمقراطية والحياة الدستورية السليمة وكانت ضد الاستعمار والإقطاع إلى حد أقل ، وعلى الرغم من أهمية هذه المواقف بالنسبة لمرحلتها ، إلا أنها بقيت دون مستوى الطموح والمطلوب في ظروف العراق والمنطقة يومذاك ، فإن البورجوازية العراقية لم ترفع شعار إسقاط النظام الملكي مع إيمانها بالنظام الجمهوري ، وهي عندما مدت يدها لتشترك مع غيرها في رفع هذا الشعار ضمنياً لا صراحة اثر تأسيس الجبهة سنة (1957) ،فإنها كانت واقعة تحت تأثير القوى الراديكالية التي رفعت شعار إسقاط النظام الملكي لأول مرة أيام إنتفاضة العام 1952 . وبالأسلوب نفسه، كان موقف البورجوازية العراقية إزاء الإقطاع ، دون مستوى طموح الجماهير ، الأمر الذي وجد له انعكاسات واضحة حتى بعد ثورة الرابع عشر من تموز[78].

وتطرق إلى ثورة العشرين في العراق ، منطلقاً في بحثه من أهميتها في تاريخ العراق المعاصر . مستعرضاً لبيان أهميتها ، مجمل ما كتبه المؤرخون والمعنيون بالحركات الوطنية ، سواء منهم العراقيون أو العرب والأجانب . ومع ذلك ، فقد وجد أن معظم تلك الكتابات التي أشار إليها ، لم تنصف الثورة ، فهناك الكثير من الجوانب الهامة في صفحاتها المشرقة ، لا تزال بحاجة إلى التقصي العلمي الدقيق والشامل . وقد خص بالذكر من تلك الجوانب ، صحافة الثورة المتجسدة بجريدتي الفرات والاستقلال ، إذ إن أهميتهما دفعته إلى القول بأن كل عبارة وردت في صحافة ثورة العشرين ، هي بحاجة إلى الدرس والتأمل ، مما يهيأ استنتاجات مهمة بالنسبة لتاريخ العراق المعاصر ، معززاً ما يذهب إليه بذكر أنموذج نادر ورد في جريدة " الفرات" ، يعد أول تقويم خطير لشخصية نوري السعيد . ففي الوقت الذي نافس العديد من الوطنيين البارزين العاملين في سبيل القضية العربية ، نشرت الفرات مقالاً تقاطع مع ما هو سائد أو متداول بشأن سعي السعيد لخدمة قضية بلاده ، بل أنها وجدته عميلاً يخدم مصالح البريطانيين ومصالحه الشخصية ، مقررة ضرورة الابتعاد عن أفكاره والحذر من توجهاته . ومع ذلك وجدنا مؤرخنا يتقاطع مع هذا الرأي بشأن السعيد أو الملك فيصل ، إذا ما علمنا انه يحاول الكشف عن أن ظلماً وقع على بعض الشخصيات العراقية التاريخية المعاصرة ، عندما لاح له أن هناك عدد من رجال العهد الملكي ظُلموا أحيانا . فالملك فيصل لم يعطَ حقه ـ كما يرى ـ فقد كان سياسيا بارعا ومن الخطأ أن يحكم عليه بمعيار هذا الزمن وليس بمعيار أواخر العهد العثماني عهد الاتحاديين ، ويستند في ذلك الى بعض المواقف التي وقفها ، كما في

---

[76] المصدر نفسه ، ص17 .

[77] انظر كمال مظهر ، أضواء على قضايا دولية في الشرق أولاسط ، ص21 .

[78] المصدر نفسه، ص41 .

موقفه إزاء تنفيذ جمال باشا السفاح[79] لاحكام الإعدام بالقوميين العرب ، ولاسيما طرحه المميز أمام مجلس المبعوثان[80]. وفضلاً عن ذلك ، فلويد جورج وغيره ، تحدثوا عن موقف الأمير فيصل عندما مثل العرب في مؤتمر الصلح في باريس .

وفي تقييمه لشخصية فيصل الثورية ، يبدو أنه نظر إليه بمستوى لا يقل عن سعد زغلول في هذا الجانب ، غير أن أسلوبه كان أكثر ثورية ، ومع ذلك يرى أن فيصل الأول حقق للعرب مكاسب مهمة لبلاده، وهذا ما تجسد في مؤتمر الصلح حين وصفه (لويد جورج) في مذكراته قائلا : إن هذا القادم من الشرق قد سحر الجميع بكلامه وأسلوبه المنطقي ، إلى جانب إشارة رئيس وزراء ايطاليا (اورلاندو) بأن العرب لهم كل الحق في تأسيس دولتهم ، منوها بما كان العرب يتمتعون به من حضارة في حين كانت جميع الدول الممثلة اليوم في المؤتمر تعيش حياة بربرية ، ولم يتحمل (اورلاندو) وخرج عن ـ الاتكيت ـ والعرف وقال "اجل حتى روما" . وهكذا فإن فيصل الأول يعد شخصية متميزة خدمت العراق كما يذهب إلى ذلك مؤرخنا .

ومن ضمن من تصدى إلى ذكرهم ، في كتابه هذا ، نوري السعيد الشخصية التي لم تتشوه شخصية احد ـ كما يرى ـ بقدر ما تشوهت . إذ يرى أن السعيد من الشخصيات المتميزة الى أقصى درجة ،مما دفع به إلى الإشراف على رسالتي دكتوراه إحداهما لـ (عبد الرزاق النصيري) بعنوان (بدايات تاريخ حياة نوري السعيد من القرن التاسع عشر لغاية 1932) والرسالة الثانية لـ (سعاد رؤوف الشيخ محمد) 1945-1932 ، نهاية الحرب العالمية الثانية إذ اقتنع بأن المؤرخين قد ظلموا هذا الرجل بدرجة كبيرة وهو عراقي مخلص مؤمن بأنه لابد للعراق من ان يعتمد على دولة كبرى ليردع الأعداء ، فأورد إزاء ذلك مثالاً ، كما في ميثاق بغداد ، حين ضخم هذا الموضوع ، وكان نوري السعيد يردد دائما في مجالسه الخاصة " بأنه يدرك أن العراق لا يشكل شئ في نزاع القطبين ويعي دوره بالنسبة للحرب القادمة " .

وفي هذا السياق ، أشار إلى كتاب "العراق في ظل نوري السعيد" وما تضمنه من تعاطي السفير الأميركي في العراق مع دور السعيد حين أطرى عليه كثيراً ، إلى جانب ذكره لما أبلغه (اكاريف) احد المستشرقين ، حين كان في السوفيت لإتمام دراسته : بأن العراقيين ظلموا نوري السعيد وأنه متأكد أن تمثاله سيعاد لمكانه عندما يدركون حقيقته . وحينها دهش كمال وقال له : كيف يمكن لإنسان ماركسي أن يقول ذلك ؟ فانفعل وقال ما معناه "عيش وشوف" ، وبالتدريج علم مؤرخنا الأدوار التي كان يؤديها السعيد من اجل العراق ، وهو على ما يبدو ما دعاه إلى أن يغير رأيه لدرجة كبيرة .

وفي سياق تحديده الجوانب المشرقة في ثورة العشرين ، والتي لم تدرس أو تمحص ، أشار إلى وثائق هذه الثورة مؤكداً وجود ملفات ضخمة تتعلق بوثائق سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، والخاصة بأحداث العراق خلال صيف وخريف سنة 1920 .

واستكمالاً لتلك الإشارات الهامة لجوانب الثورة ، تحدث عن الإطار الزمني للثورة بما فيها البداية والنهاية وكذا الحال بالنسبة لعوامل قيام الثورة ونتائجها ، ومن ثم أصدائها . وبغية إبراز أهمية صحافة تلك الثورة ، عاد مرة أخرى إلى الحديث عنها منوهاً بالظروف الموضوعية لصدور تلك الصحافة ، فضلاً عن بيان إطارها الزمني منتقدا القصور الذي بدا عليه الباحثون والمؤرخون العراقيون ، إزاء تحديد هذا الإطار . لينتهي إلى تقويم صحافة ثورة العشرين بقوله : إنها تعد مؤشراً مهماً لما حدث من تحول نوعي ملموس في نضال العراقيين وأسلوب تحركهم السياسي بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة . ولترصين هذه الأهمية ، أورد

---

[79] يقول الجنرال الألماني ليمان فون ساندرس:"كان الأتراك الذين حكموا الأقطار العربية لقرون طويلة يشعرون بأنهم في وسط معادٍ وقد نظم جمال باشا الذين عُيّن قائداً للجيش الرابع العثماني المتمركز في سوريا وفلسطين، إلى جانب شنق الوطنيين العرب، عملية نفي 10 آلاف عائلة عربية (مشكوك في ولائها)، وقتل آلاف الناس، وسلب الممتلكات، بضمنها الأماكن المقدسة الإسلامية في النجف وكربلاء" . وفي سنة (1916) نشبت الثورة العربية الكبرى في الحجاز بقيادة الشريف حسين ضد الطغيان التركي 1915 .

[80] البرلمان العثماني .

بعض ما تضمنته أعداد تلك الجرائد ، من معلومات ، لم يلتفت إليها المؤرخون ، وإن تطرقوا لها فكان بشكل مقتضب يفتقر إلى إسناد مادي مقنع . فضلاً عن إشارته إلى وثائق تاريخية نادرة وردت نصوصها وتفصيلات إصدارها ضمن مواد جريدتي الفرات والاستقلال ، لأنها تلقي ضوءا على أبعاد الثورة ونشاطات قادتها وأنصارها من العراقيين . ويرى أن المؤرخين لم يطلعوا عليها ، مشيراً إلى بعض تلك النصوص التي نشرتها الصحيفتان ، ليخلص إلى القول : " أن هذه الصحافة حفظت لنا وثيقتين تاريخيتين تنطويان على أهمية كبيرة ، أشرت احدهما بداية جديدة لموقف الحركة الوطنية العراقية من الثروة النفطية ، في حين نوهت الأخرى بأول تقويم مبكر لشخصية نوري السعيد ، الذي لا يختلف إثنان في انه أشهر شخصية عراقية ظهرت على المسرح السياسي إبان العهد الملكي "[(81)] .

وبحث الى جانب ذلك، في الاهتمام الذي أبدته صحافة الثورة بمسألة النفط وشخصية نوري السعيد ، فأشار إلى ما نشرته جريدة الفرات من مقالات واحتجاجات إزاء الموقف البريطاني من منابع النفط في العراق ، بما في ذلك نشرها البيان الذي تمخض عن المؤتمر العراقي الذي انعقد في سوريا عشية الثورة . وفي هذا السياق من حديثه عن الصحافة ، تناول الفن الصحفي في صحافة ثورة العشرين ، فأشار إلى مطبعة الشيخ صادق الكتبي ، وهي المطبعة التي طبعت فيها أعداد الجريدتين ، والمح إلى ما أطّرت به عنوانات الموضوعات المنشورة ، بما في ذلك العنوان والسعر، مستخلصاً رؤيته إزاء ما نشرته تلكم الصحيفتان ، مقرراً أن جريدة " الاستقلال " البغدادية التي صادف ظهورها أيام الثورة ، وقد تلقت الاستقلال النجفية نبأ صدورها بحرارة ، تعد الجريدة الحليفة لصحافة الثورة استناداً لموضوعاتها المساندة للثورة .

وناقش في موضوع آخر تأثر السياسة بالاقتصاد وتأثر الاقتصاد بالسياسة من خلال تأثر الدول المرتبطة بمواثيق وبتبعية سياسية واقتصادية بالدول التي شهدت هذه الأزمة . فاستعرض مسارها وظروف ظهورها ونتائجها وانعكاساتها على الدول الأخرى . ولكي لا يبتعد عن صلب الموضوع ، طرح تساؤلاً يبحث عن أسباب ظهور هذه الأزمة في العراق ، مرتئيا الإشارة إلى جملة حقائق إحصائية ، محاولة منه لتوضيح أبعاد اندماج السوق العراقية بالسوق الرأسمالية العالمية ، إلى جانب توضيحه النتائج التي ترتبت على هذا الاندماج ، لينتهي إلى القول بأن العراق لم يكن بوسعه تجنب الوقوع تحت تأثير تلك الأزمة التي هزت البلدان الرأسمالية بعنف في المدة الواقعة بين سنتي (1929و1932)، وكان من الطبيعي أن تنعكس صعوبات الاقتصاد البريطاني في تلك السنوات على السوق العراقية أكثر من غيرها ، نظراً لطبيعة العلاقة السياسية بين الطرفين . وراح يستعرض تلك الآثار ، ولاسيما أن العراق كان بلدا زراعيا ، تأثر بشكل رئيسي بالأزمة لضعف الطلب على المنتجات الزراعية ، وانخفاض أسعارها .

والى ذلك ، أشار إلى الضرر الذي تلقاه الإقتصاد العراقي بسبب قرار تأسيس الكتلة الإسترلينية ، وامتناع الحكومة الإيرانية عن تحويل أثمان البضائع التي كان التجار العراقيون يرسلونها إلى إيران . ولم يغفل كمال مظهر الكشف عن أهم الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العراقية ، لمواجهة تلك الأزمة ، بما فيها إلغاء الرسم الصادر المفروض على الحبوب ، إلى جانب تخفيض رسوم الميناء بنسبة 30% مع تخفيض مؤقت لأجور نقل الحبوب بوساطة السكك الحديدية التي كان الانكليز لا يزالون يسيطرون عليها ، إلى جانب إلغاء وزارة الري والزراعة ، وغير ذلك من الإجراءات الإدارية والمالية التي اتخذتها الحكومة للحيلولة دون توسع آثار الأزمة . وليس ذلك فحسب ، إنما أشار مؤرخنا إلى مجمل الإجراءات التي اتخذتها المؤسسات الأجنبية العاملة في العراق بطرد العمال ، فكان من الطبيعي أن تبرز انعكاسات ونتائج وآثار هذه الأزمة على الشعب ، التي وصفها بالسياسية ، على أنها ظواهر جديدة ، لا تعدو أن تكون مردودات سياسية وفكرية رافقت المشاكل الاجتماعية والتناقضات القائمة وقتذاك ، لينتهي إلى

---

(81) كمال مظهر ، أضواء على قضايا دولية في الشرق أولاسط ، ص74

القول : انه ومع ظهور بوادر انتهاء الأزمة الاقتصادية في العالم الرأسمالي ، لاسيما في إنكلترا منذ سنة (1932)، بدأ الانتعاش يعود إلى الحياة الاقتصادية في العراق أيضا ، الأمر الذي عكس مرة أخرى ،مدى ارتباط العراق بعجلة الرأسمالية العالمية . فمنذ ربيع سنة (1932) ، أخذ بعض التحسن يطرأ على أسعار المنتجات الزراعية والحيوانية ، وعلى حركة تصديرها إلى الأسواق الخارجية . ولم ينتهِ العام المذكور حتى كان العراق قد صدّر أكثر من (91) ألف طن من الحبوب . وخلال سنتين بعد ذلك التاريخ ، تجاوزت صادرات الشعير لوحده (225) ألف طن وغير ذلك ، مؤكداً أن هذا التحسن النسبي ، هو الآخر كان قد ترك آثاراً سلبية على أوضاع الفقراء .

وبعد أن وصل في بحثه الى نهاية الأزمة الاقتصادية في العراق ، بحث في شخصية بكر صدقي والمسألة الكردية ، مستقرئا الوضع السياسي قبيل وقوع الانقلاب سنة (1936) ، مؤشرا أهم القوى السياسية والإجتماعية الجديدة التي وقعت خلال المرحلة الأولى من الانقلاب ، في سوء تقدير واضح للموقف السياسي الذي استجد ، وهو في تقديره ما أساء إلى مسار العملية السياسية وقتذاك . ولم يتردد أن يفصح عن حقيقة ما أراد البعض من إثارته لفكرة ميل بكر صدقي لتأسيس دولة كردية ،إذ وصف هذا الأمر بأنه بدعة خلقها أعداء النظام الانقلابي الجديد مؤكداً وجود ثوابت وأدلة يراها منطقية ،بالإمكان استنباطها من خلال التمعن في العديد من الأحداث السياسية التي رافقت النظام الانقلابي والتي تبين بوضوح ، موقف بكر صدقي لا من الحركة الكردية فحسب ، بل تجاه ابسط حقوق الشعب الكردي[82]. وعرج بعد ذلك على ذكر أهم ما قامت به حكومة بكر صدقي من أعمال ، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي ، ليأت بعد ذلك إلى تقييم سياسة هذه الحكومة .

وتواصلاً في الكشف عن أهم المحطات السياسية في تاريخ العراق المعاصر ، وجدنا مؤرخنا يثني على تلك المحطات بقوله : إن تاريخ العراق المعاصر ، سجِلٌ شرفٍ مليءٍ ببطولات وتضحيات خيرة أبناء شعبه ، محدداً انتفاضة كانون الثاني سنة (1948) ،بوصفها صفحة مشرقة في هذا السجل ، مليئة بالعبر التاريخية المطلوبة اليوم[83]. وراح يسهب في بيان ملامح تلك الانتفاضة وطبيعتها ، وخصائصها ، إلى جانب حديثه عن الظروف التي قادت إليها ، ومستوى فشلها ونجاحها في تحقيق أهدافها ، وتأثيرها على الصعيدين الداخلي والخارجي ، بما له من تأثير في واقع العراق السياسي .

واستناداً لما يراه كمال من أهمية خطيرة شكلتها الثروات النفطية ودورها في السياسة العالمية ، فقد بحث في سياسة الدول الرأسمالية في منطقة الشرق الأوسط بما يتعلق باستغلال النفط في هذه المنطقة ، معولاً في ذلك على ما أشارت إليه بعض المصادر ممن تصدت لهذه الموضوعات . كما في كتاب " النفط وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرقين الأدنى والأوسط " لمؤلفه ر. برانوف[84]، إذ تلقي موضوعاته الضوء على السياسة الأمريكية الخارجية وأساليبها لتحقيق مثل ذلك التأثير . وقد أحصى الدكتور مجموع الاتحادات الصناعية الأمريكية بما فيها شركات النفط الكبيرة ومقدار رساميلها ، مركزاً على الشركات الأكبر والمعروفة بـ" العمالقة الخمسة "[85] مستعرضاً تاريخها وموضحا مستوى علاقة الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة ، والسبل التي اعتمدتها تلك الحكومة للاستحواذ على الثروات

---

[82] كمال مظهر ، أضواء على قضايا دولية في الشرق أولاسط: ص122

[83] المصدر نفسه : ص 133

[84] وهو كتاب باللغة الفارسية ، طبع في موسكو/ دار العلم سنة (1977) ، ويقع في 272 صفحة ، يتألف من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . وقد نشرت جريدة "الجمهورية " في عددها الصادر في 17آب 197 ، تقريضاً مركزاً عن الكتاب بقلم الدكتور حكمت شبر .

[85] وهي على التوالي :أكسون وتكساس أويل وموبيل أويل وجلف أويل وستاندرد أويل كومباني أوف كاليفوورنيا .

النفطية في الشرقين الأوسط والأدنى . وكان من بين ما أشار إليه من تلك الأساليب ، اللجوء إلى الاستعمار الجديد .

وفي سياق حديثه عن موضوعة النفط ، أورد إشارات لمقادير النسب المئوية التي شكلها نفط الشرق الأوسط من مجموع واردات الأسواق الرأسمالية من النفط ، مع عدم إغفاله الإشارة إلى ما تدره تلك الثروات من أموال ملأت خزائن شركات العمالقة الخمسة . واقتبس كمال من المؤلف المشار إليه سابقاً ما مفاده : إن بإمكان دول " اوبيك" أن تشكّل قوة اقتصادية كبيرة يمكن لها التأثير بشكل فعال على أهم القضايا العالمية الحساسة . ويتقاطع مع هذا الرأي الذي زعم أن الاحتكارات الأمريكية وعلى رأسها العمالقة الخمسة ، قد بدأت تفقد مواقعها السابقة في الشرقين الأدنى والأوسط منذ بداية السبعينات ، إذ يرى إنه في اغلب الحالات ، تكون الصورة قد انقلبت من " صورة السيد المطلق " السابق إلى "شريك" ، بمعنى امتلاكها نسبة 40% من إنتاج النفط في السعودية وقطر والبحرين واتحاد الإمارات ، فضلاً عن تصنيعها البقية الباقية من الإنتاج . ومع ذلك يرى أن الولايات المتحدة ودول أوروبا تشكلان سوقاً نفطية ، وان الحكام العرب يفهمون ذلك جيداً ، وعليه فأن نزع ـ ملكيات ـ تلك الشركات النفطية من دون تعويضٍ مرضٍ ، من شأنه أن يؤدي إلى فقدان العرب لأسواقهم ، والبحث عن مصادر أخرى للطاقة . ومن هذه النافذة يبدو أن مؤرخنا أنطلق في تحديد طبيعة العلاقات السياسية بين الأنظمة العربية التي تمتلك ثروات نفطية وبين الدول الرأسمالية .

وحسبما نعلم أن اهتمام الدكتور كمال مظهر بتاريخ إيران الحديث والمعاصر يرقى إلى الستينيات ، استناداً لتخصصه ، ومن ذلك راح يبحث في موضوعات هذا التاريخ حين وجد أن في وقائعه ما هو جدير بالتصدي له ، لاسيما الحروب التي قامت بين إيران والروس ، موضحاً أهم ما اعتقده من أسباب ، أدت إلى هذه الحروب ، مركزاً بشكل واضح على ما حصل للبلدين من تفاوت فيما أصابهما من تطور ، والذي انعكس على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، مستعرضاً في هذا السياق ، أهم الأحداث التي شهدتها إيران منذ القرن السابع عشر ، والذي أدى إلى تراجع اقتصادياتها بسبب اكتشاف طرق جديدة لا تمر بأراضيها عبر الهند ، بعد ما حصل من اكتشافات جغرافية بالقرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ووجد أن هذا التدهور أدى إلى دفع الطبقة المتنفذة في البلاد ، إلى فرض ضرائب إضافية على الفلاحين ، مما زاد الأمر سوءاً ، وانسحب على شتى جوانب الحياة . وحين التفت إلى الجانب الروسي ، وجد انه على العكس من الجانب الإيراني ، فأن هذه الدولة كانت قد شهدت تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية هامة في تاريخها الحديث ، كان من أهمها ولادة أولى العلاقات الرأسمالية في الإنتاج ، والذي أدى إلى نمو التبادل التجاري على الصعيد الاقتصادي ، والى امتزاج أجزاء مختلفة من البلاد في وحدة متماسكة على الصعيد السياسي . وقد عزا هذا التحول إلى وجود قياصرة أقوياء تمكنوا من تحقيق هذه الانجازات ، لتغدو روسيا من جراء ذلك ، بحاجة إلى بناء اقتصاد وجيش قوي وأسطول متطور ، والى نظام إداري مركزي حديث .

وتماشياً مع هذه التراتبية في الكشف عن مستوى اقتصاد كل من إيران وروسيا ، رأى أن هذا التحول في روسيا ، كان قد وجد ظرفاً مناسباً لنفوذٍ روسيٍ محتم ، استناداً لعدم تكافؤ مستوى اقتصاد هذا البلد مع البلدان الأوربية ، مما يعني ضرورة إيجاد أسواق ومنافذ اقتصادية أخرى لها ، علها تدفع بها إلى مستوى ما تتميز به البلدان الأوروبية المتقدمة . والى ذلك ، نوه بالحجج الروسية التي تذرعت بها في تحرشاتها بإيران ، مستعرضاً بدايات التوجه الروسي صوب هذا البلد ، ومؤشراً الاهتمام الروسي المبكر بمناطق الشرقين الأوسط والأقصى ، الذي جاء تحت ذرائع دينية . فتحدث عن الحملة الروسية وما آلت إليه من نتائج ، أتاحت للروس نفوذاً داخل إيران ، مما دفعهم الى السعي لتحقيق مكاسب ،كانت إيذانا بتغلغل روسي صوب السواحل الجنوبية لبحر قزوين .

وفي سياق ذلك ، أشار إلى مسار المواجهة بين البلدين وتحولاتها ، وما ترتب عليها من متغيرات سياسية ، ولاسيما بعد بروز نادر شاه الافشاري[86]، وما حصل بينه وبين القيادة الروسية من تقارب في وجهات النظر ، هي في الواقع تصب في مسار العداء المشترك للدول الغربية . ولأن أساس هذه العلاقة مبني على أساس المصالح ، فأن كمال وجد إمكانية أن لا تدوم تلك المغازلة بين الطرفين ، لتتحول إلى سابق عهدها من العداء ، وتقع المواجهة المسلحة بينهما ، مشيرا إلى الضوء الأخضر الذي أتاح لأطراف أخرى أن تتدخل في هذا النزاع ، بما فيها فرنسا وبريطانيا ، فأسهب في بيان ملامح تلك التفاعلات السياسية التي تمخض عنها حرب (1804 - 1813) ، ليأت دور بريطانيا وفرنسا في التدخل ، ومن ثم العمل على الحصول على مكاسب جديدة ، وعدم إفساح المجال للروس ان يستحوذوا أكثر . فعقدت معاهدة " كلستان "[87] مشيراً الى بنودها وما تضمنته من إجحاف بحق الإيرانيين لصالح الروس ، ليعرض بعد ذلك الى ما فسرته القيادة الروسية وقتذاك ، لتعمل على محاولة الحصول على مكاسب اقتصادية أخرى .

ولأن التاريخ ، حلقات متصلة ببعضها ، وجد كمال أن هذه التحرشات الروسية ، مهدت لحرب جديدة قامت سنة (1826) ، أستعرض مفاصلها والخطة التي اعتمدها المتحاربون ، ولا سيما الإيرانيون بعد أن اتفقوا مع ضباط بريطانيون للهجوم المباغت على أراضي أرمينيا الشرقية وأذربيجان الشمالية وجورجيا ، مشيراً إلى ما تخلل تلك المعارك من هزائم متكررة للجيش الفارسي ، مما اجبرها على قبول إبرام معاهدة (تركمان جاي)[88] في (22 شباط 1828) ، وهو ما تسبب في حدوث تداعيات اقتصادية واجتماعية ونفسية ، كشف عنها كمال ، بوصفها آثاراً ترتبت عن الهزائم العسكرية . وفي كل ذلك ، كان يبحث عن مسوغ يجيز للإيرانيين أن يجعلوا من تمادي الروس ، وعدم احترامهم لهيبتهم، ظرفاً ملائما لردة فعل شعبية ، تؤدي إلى شحن الواقع السياسي للبلاد ، فجاءت مذبحة السفارة الروسية في طهران ، التي جاءها الدكتور بالتفصيل ، كردة فعل على السلوك السياسي للروس في طهران . وانتقى من بين الساسة (سازانوف) وزير خارجية روسيا و (المستر غراي) وزير خارجية الملكة المتحدة ، إذ وجد في ترجمتهم ، تعزيز لأهمية دراسته هذا الموضوع وتوضيح لأهم التفاعلات السياسية التي أحاطت بأحداثه . والى جانب ذلك ، أورد مدخلاً معرفياً كشف فيه عن حمى التفاعلات السياسية والتكالب الدولي الذي شهدته الساحة الإيرانية ، بما في ذلك بيانه لأهم المساعي التي بذلها الألمان والبريطانيون لتحقيق مكاسبهم في هذا البلد . وأشار وفي سياق بيانه التدخلات الأجنبية في المنطقة ، إلى المحاولات الروسية في استقطاب المناطق المقدسة في العراق ، بما في ذلك كربلاء والنجف ، سعياً للضغط على الدولة العثمانية لسحب قواتها من أذربيجان .

---

[86] كان نادر شاه الافشاري ضابطا بالجيش الصفوي في عهد الشاه طهماسب الثاني الذي عرف عهده بالوهن والفوضى ؛ وخلال ذلك تزوج نادر من جوهر شاد اخت طهماسب الثاني وأصبح فيما بعد قائدا عاما للجيش وعزل طهماسب الثاني ونصب مكانه عباس الثالث وفرض نفسه مساعدا له وفي عام (1736م) أعلن الدولة الافشارية .

[87] وفيها اعترفت فرنسا بملكية روسيا لجورجيا سنة (1813) .

[88] نتج عن الاستعمار الأوروبي تغلغل الإنجليز والروس في الشؤون الإيرانية. فقد سلم القاجاريون القوقاز (جورجيا وأرمينيا وأذربيجان حالياً) إلى الروس في معاهدتين منفصلتين: معاهدة جلستان عام (1813)، ومعاهدة تركمان جاي عام (1828) . وأرغم القاجاريون على سن قانون الامتيازات الأجنبية، والتي بموجبه أعفى جميع الرعايا الأجانب من المثول أمام القضاء الإيراني، الأمر الذي جعل الشعب الإيراني يشعر بالمذلة والإهانة . منذ ذلك الوقت وحتى مطلع القرن العشرين أصبحت إيران موزعة بين المصالح المتعارضة لروسيا وبريطانيا، فكانت روسيا تبني سياستها على أساس التوسع في آسيا وتطمع أن يكون لها ميناء في المياه الدافئة في الخليج، بينما سعت بريطانيا إلى السيطرة على الخليج وجميع الأراضي المجاورة للهند .

ولأهمية وضرورة الكشف عن النظام الحاكم الذي شهد وقوع تلك الأحداث في إيران ، عمد إلى الحديث عن سيرة (رضا المازندراني)[89] والعرش الإيراني ، فتناول تاريخ الأسرة البهلوية ، مع تلميحات إلى الخيوط الأولى للاستعمار الجديد في الشرق الأوسط ، متطرقاً إلى أهم ما شهدته إيران من تحولات اجتماعية واقتصادية إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بحكم اندماجها بالسوق الرأسمالية . وكأن مؤرخنا يروم القول بتمهيد النظام الإيراني للطريق وقتذاك ، أمام الدول الغربية للتغلغل في داخل البلاد ، ليكون بمثابة تحد واجه الشعب ولاسيما الطبقة المثقفة منه التي سارعت إلى التصدي لهذه التوجهات ، مع إشارته إلى انخراط رجال الدين في اللعبة السياسية ، سعياً وراء المكاسب .

واستناداً لهذه التطورات أكد كمال أن الحركة الوطنية برزت رافعة شعار ، لا للحكم القاجاري ولا للوجود الأجنبي مما فت هذا الأمر في عضد الحكم القاجاري ، وهو ما أدى إلى انهياره ، ليأت دور أسرة أخرى لحكم إيران ، وجد كمال من الأهمية بمكان ترجمة أهم رجالها ، فأختار رضا خان ، موضحاً أهم المؤثرات الفكرية التي بلورت شخصيته السياسية ، لينفذ من خلال تعريف هذه الشخصية ، إلى بيان مدى التزامه بصداقة البريطانيين ، حين وجدها ضرورية لضمان مستقبل بلاده ، وهو بذلك يحاول بيان مسؤولية هذا الشخص عن تمكن البريطانيين من ضمان سيطرتهم على مواد المعاهدة المبرمة بينهم في (9 آب 1919) ، فكان هذا التدخل من البريطانيين ، مدعاة لمحاولات تدخل أجنبي آخر تمثل بالتحركات الفرنسية والأمريكية ، لاسيما بعدما شهدت إيران تبدل مستمر لحكوماتها ، تحت مظلة البريطانيين . وهذا الأمر مهد لما عرف بانقلاب (حوت)[90] والذي شهدته إيران في الثالث حوت عام (1299) إذ يصادف يوم الحادي والعشرون من شباط سنة (1921) . وكان من الطبيعي أن يخفي مثل هذا الحدث دوافع وعلل ، تباينت وتناظرت في مسمياتها وفي مآربها .

ومن اجل الإفصاح عن هذه الأمور ، وجدنا مؤرخنا يترجم للشخصية الفاعلة في الانقلاب ، وهو الطباطبائي ، مستشفاً من محطات سيرته التي استقرئها بتركيز مفيد ، ثمة تفسير موضوعي يتعلق بتوجهه الفكري ، كان قد سوغ له دخول المعترك السياسي الذي أدى به إلى هذا الانقلاب ، إذ أسهب في بيان مفاصله ، وكيفية نجاح الانقلابين في دخول طهران ، وما تبع ذلك من أحداث ، مشيراً إلى ما جرى من مغازلة بين قائد الانقلاب العسكري وبين البريطانيون في إيران . والى جانب ذلك تطرق إلى بيان الخطوط الأساسية لسياسة الانقلابيين على الصعيدين الداخلي والخارجي ، منتهياً إلى الحديث عن الظروف التي أبعدت ضياء الدين الطباطبائي عن القيادة أو ما عرف بالانقلاب الثاني الذي عرج على شرح خطواته ، مشيراً إلى أهم شخوصه ، مؤكداً أن هذا الانقلاب تمثل بإصدار الشاه بياناً يوم 25 أيار ، نص على تنحية ضياء الدين طباطبائي بعد حكم دام (93) يوم ، لينفرد الشاه بحكم الدولة دون منازع ،

---

(89) فقيه جليل، استقر مدة بمشهد الرضا عليه السلام، وصرح في بعض رسائله أنه ابن بنت المولى محمد صالح المازندراني له كتاب " النذر المعلق بما بعد الوفاة " ، 1278 .

90 نسبة إلى التقويم الفارسي ، وهو انقلاب قاده ضياء الدين طباطبائي سياسياً ، ورضا خان عسكرياً . وقد ادى الى سقوط وزارة سباهدار أعظم التي لم تعش سوى أيام معدودات ، ودشن بداية تحول سياسي في تاريخ ايران ، اكتمل بسقوط الأسرة القاجارية ، وتأسيس الأسرة البهلوية الحاكمة . وهو انقلاب سلمي لتغيير الحكومة وإلغاء الاتفاقية بين فارس وإنجلترا، ووجد الإنجليز في رضا بهلوي الصفات التي يتمنونها في رجالهم من تسلط وحب للزعامة، فأعانوه واضطر الشاه لأن يغير الحكومة ويكلف ضياء الدين الطباطبائي بتشكيل الحكومة الجديدة وأشار الطباطبائي إلى إنجلترا بأن الحكومة الجديدة لكي تنجح يجب أن تلغي الاتفاقية مع إنجلترا، فوافقت إنجلترا على إلغائها ليكون نفوذها في إيران خفيًّا لا ظاهرًا ولإنجاح عملائها.

هو رضا شاه المازندراني الذي كان له كبير الأثر في تحريك الأحداث التي أدت إلى سقوط الأسرة القاجارية وتأسيس الأسرة البهلوية الحاكمة في إيران . ونظراً لما شكلته المؤسسة الدينية في إيران من أهمية بالغة الخطورة في التاريخ المعاصر لهذا البلد ، فقد بحث في بعض الحقائق التي تخص المؤسسة الدينية فيه، بما في ذلك إمكاناتها الاقتصادية الكبيرة ، ونفوذها في القضاء ، مسترسلاً في استقراء وضع هذه المؤسسة ، منتهياً إلى القول بأنها لا تختلف عن البابوية الكاثوليكية في أوروبا ، وهو بذلك ينبش من سيرة هذه المؤسسة ، ما من شأنه أن يفصح عن واقعيتها ، مستعيناً ببعض الشواهد المعبرة عن هذا الاتجاه ، نافذاً من خلال ذلك ، إلى بيان أهم الأسباب التي أدت إلى تفاقم الصراع بين قمة المؤسسة الدينية وبين السلطة الدنيوية الإيرانية ، مؤشراً الظروف التي حسمت هذا الصراع إلى صالح المؤسسة الدينية .

والى جانب ذلك ، تطرق إلى الكشف عن حقائق النضال التحرري الأذربيجاني في إيران ، مستعرضاً بإيجاز تاريخها السياسي وما تعرضت له من إشكال الاحتلال ، وفي كل ذلك يرى كمال ، أن ثمة عوامل جعلت هذا الشعب يتحرك للتخلص من السلطة ،مستعرضا ومنوها بما شهدته تلك المرحلة من انتفاضات ، وما تمخض عن تأسيس الدولة القاجارية من ارتباط مصير أذربيجان بأحداث الحروب الإيرانية ـ الروسية ونتائجها بصورة مباشرة ، مبينا مقاومة الأذربيجانيين للإيرانيين ، وكيفية دخول الروس إلى تبريز عاصمة أذربيجان ، وما أدى هذا الحدث من وقوع حربا (1804- 1813 و 1826- 1828) اللتين ادتيا الى تقسيم أذربيجان الى جزأين متساويين داخل إيران وروسيا .

ووجد الدكتور كمال أن هذا التفتيت لوحدة هذا الشعب ، كان عاملاً أسهم إلى حد بعيد في بلورة الوعي الفكري والسياسي للأذربيجانيين الجنوبيين ، وما أسهمت هذه النخب من صنع طبقة مساهمة وفاعلة في تأسيس جمعيات ومؤسسات سياسية ، إلى جانب بروز زعماء سياسيين التفت حولهم الكتل الوطنية التي قادت انتفاضة كبيرة في تبريز ، مثلت شرارة في الهشيم لعموم إيران . وأشار إلى الظرف الذي جعل الأذربيجانيين يحملون السلاح ضد الروس لاسيما أواخر سنة (1911) ، مما مهد الطريق أمام الروس للاستيلاء على أذربيجان الإيرانية ، مستعرضاً أحوالها خلال الحرب العالمية الأولى (1914– 1918) ، وما تمخض عن هذه الظروف من بروز رجل قيادي قُدّر له أن يلعب دوراً كبيراً في تاريخ إيران عموماً ، هو الشيخ محمد خياباني[91]، الذي ترجم له بإيجاز مستعرضاً مساهماته السياسية في تاريخ إيران

---

[91] ولد الشيخ محمد خياباني عام 1298 هجري قمري في قضاء خامنه من توابع مدينة تبريز.ووالده الحاج عبد الحميد خامنه كان تاجراً يعمل في روسيا. دخل في طفولته دار الكتّاب وتعلم القرآن. سافر مع والده إلى روسيا وتعلم في متجره هناك الاقتصاد. وبعد فترة عاد إلى موطنه. ثم التحق بالمدرسة الطالبية في تبريز لدراسة العلوم الدينية، ودرس الفقه والأصول على يد على يد حجة الإسلام الحاج ميرزا أبو الحسن أنكجي وكان تلميذه المبرز. ودرس علم الهيئة والنجوم والحساب لدى الفلكي المعروف ميرزا عبد العلي، وسبق أقرانه في هذا العلم. كما وكان بارعاً في الفلسفة و التاريخ والاقتصاد وعلم الكلام والأدب الفارسي. ونتيجة لسفراته الكثيرة كان يجيد اللغات العربية والروسية والفرنسية إلى جانب الفارسية والآذرية. ولم يتجاوز الثلاثين من عمره عندما انتخب ممثلاً عن أهالي تبريز في المجلس الوطني في دورته الثانية، وبرز نجمه. وفي نطقه في المجلس حول المعاهدة الروسية المذلّة هاجم الروس بشدة، مما أدى إلى نفيه. واثر توقيع معاهدة 1919م ، أعلن الشيخ ثورته في تبريز ضد الحكومة القاجارية؛ فعُطّلت الأسواق بأمره، وسيطر الثوار على مراكز الشرطة والحكومة، وسقطت المدينة في أيديهم، وذاق أهالي تبريز طعم الحرية لمدة ستة أشهر قبل أن تتمكن قوات الاستبداد من السيطرة عليها مجدداً. وقد حاول عين الدولة استرجاع المدينة عدة مرات إلا أنه مني بالهزيمة، فجهّز محمد علي شاه القاجاري هذه المرة قوة قوامها أربعين ألف جندي لاستعادة المدينة وقمع الثوار، إلى أن هذه المرة أيضاً منيت قوات محمد علي شاه القاجاري بالهزيمة اثر صمود وبسالة الثوار والأهالي في الدفاع عن المدينة وبصيرة الشيخ خياباني. واثر ذلك تم خلع عين الدولة وتنصيب مخبر السلطنة بدله في رئاسة الوزراء، فبدأ هذا الأخير عمله باستخدام مختلف الحيل لكسر صمود أهالي تبريز، إلاّ أنه لم يفلح في ذلك، فلجأ هذه المرة إلى التواطؤ مع قائد الجيش في تبريز والذي كان كولونيلاً روسيا، ووضعا خطة لقمع الثوار والأهالي. وفي 21 شهريور (الشهر السادس الإيراني) عام 1299هـ ش وعندما كان الكثير من

السياسي ، متطرقاً إلى طبيعة العلاقة بين ثورة أكتوبر الروسية ، وبين النضال التحرري الأذربيجاني في إيران ، وما آلت إليه الحرب من نفوذ بريطاني في إيران ، مما أضاف إلى حركة النضال دفعاً آخر ، نتج عنه انتفاضة (انتفاضة خياباتي)[92] سنة 1920 . وأشار كمال ، إلى أهم ما عمدت إليه الحكومة من أساليب تعسف ، مورست ضد أعضاء الحركة الوطنية.

واستمر الدكتور كمال في تتبع سير هذه الحركة ، ليصل بها إلى سنوات الحرب العالمية الثانية ، وبروز الحزب الديمقراطي ، والتفاف الجماهير حول هذا الحزب ، وإجراء انتخابات المجلس الوطني الأذربيجاني سنة(1945). إلا أن هذا الأمر ، كما يراه مؤرخنا ، لم يرق للحكام الإيرانيين ، الذين عارضوا هذا التوجه ، لاسيما بعد إسناد البريطانيين والاميركان لهم . فتم ضرب الحركة الوطنية ، التي لم تتمكن من إعادة نشاطها ، إلا بعد سنوات عديدة .

وتحدث عن جملة حقائق تخص النضال التحرري الكردي في إيران ، موضحاً شدة انتساب وأصالة هذا الشعب الكردي لبلادهم إيران ، من خلال بيان أماكن تواجدهم ، لاسيما المناطق الشمالية الغربية ، موضحا أصولهم العشائرية والجذور التاريخية لهم ، ومؤشرا معاناتهم المريرة مع تعاقب الأنظمة المختلفة المناوئة لتحركاتهم الرامية إلى الاستقلال ، بدءاً بالتاريخ القديم وانتهاء بالحكم ألصفوي . فكان هذا الإسهاب في بيان ما كان يعانيه الكرد مدخلاً من خلاله تمكن مؤرخنا أن يلتفت إلى ردة فعل هذا الشعب حيال تلك السياسة التعسفية بحقهم وإزاء ذلك ، أشار إلى أهم الشخصيات التي قادت انتفاضات ضد الحكومات المتعاقبة من أمثال الشيخ عبيد الله بن السيد طه الشمزيني[93]، الذي قاد انتفاضته ضد حكومة ناصر الدين شاه ، التي انتهت إلى قمعها بقوة ومقتل الآلاف من الأكراد . والى جانب ذلك ، أكد أن الأكراد عاودوا نشاطهم المسلح ضد الحكومة إبان الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) ، فبرزت ما عرف بـ (الحركة الجنكلية)،فضلا عن الإشارة إلى ما لعبه إسماعيل أغا شكاك ، المعروف بـ (سمكو) [94]، من دور في الحركة التحررية الكردية في إيران . وفي المقابل ، فان كمال عرج على بيان

الثوار خارج المدينة لقمع الأشرار المحليين، هاجمت قوات الشاه المدينة وقمعوا باقي الثوار والأهالي وسيطروا عليها. وبعد سقوط المدينة، أمر مخبر السلطنة بالإتيان بالشيخ خياباني حياً أو ميتاً. وفي يوم 29 ذي الحجة 1338هـ ق داهموا منزل الشيخ فلم يجدوه، فاستعانوا بكلاب للكشف عن مكان اختفائه، فداهموا منزل جاره الشيخ حسن علي ميانجي، ووجدوه هناك، وأطلقوا النار عليه مباشرة ولم يقاومهم الشيخ لأنه كان قد وعد الشيخ ميانجي بعدم مقاومتهم داخل بيته. ثم بعد قتله قطعوا كفّه، ثم سحبوا جسده وأخذوه مهلهلين إلى بلاط مخبر السلطنة. وبعد أن نظر إليه أمر بدفنه في مكان ما. فدفن الشهيد محمد خياباني في مقبرة الشعراء بتبريز وأصبح قبره مزاراً للثوار والأحرار يرددون عنده كلمته الشهيرة:"إن قيمة الحياة في أن يعيش الإنسان في عزّ وكرامة، وإلاّ فالموت أفضل نعمة لمن يريد العيش في ذل الخيانة والمتاجرة بوطنه".

(92) وباستشهاد الشيخ خباياتي ، قمعت الانتفاضة التي قادها في مدينة تبريز بشمال غرب إيران .

(93) ينقل المؤرخ الوزير محمد امين زكي عن الانسكلوبيديا الإسلامية ،أن عائلة شمزينان سميت بسادات نه هرى (نهرى او نيرى او نايرى) وان العائلة انتقلت في زمن (الملا هجيج) الى منطقة (هه مارو) وبقت هناك حتى زمن الملا صالح . عرف بـ (الشيخ عبيد الله النهري) عند العرب وعند الكرد باسم (شيخ عبيد الله نيرى)وكذلك (شيخ عبيد الله شمزيني) ولد في قرية (نهرى) عام 1247 هجري قمري وأصبح مثل والده من خلفاء النقشبندية وبعد فترة عظم نفوذه واتسعت شهرته حتى انه فكر في الإمارة والسلطنة متجاوزا المشيخة) ، بابا مردوخ روحاني (شيوا)، تاريخ مشاهير الكرد باللغة الفارسية ، المجلد الثاني ، الطبعة الثانية، منشورات سروش _ طهران 1382 هجري شمسي ، ص 545 .

(94) سمكو هو التحريف الكوردي لـ إسماعيل، فهو إسماعيل آغا أبن محمد باشا أبن علي خان أبن إسماعيل خان من عشيرة الشكاك موطنها غربي بحيرة أورمية على الحدود، وكان إسماعيل آغا المعروف بـ سمكو رئيس هذه العشيرة،التي استطاعت السيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي، وفي مراحل عديدة خارج المناطق التي تعيش فيها، منذ أيام الجد الأكبر لـ سمكو" إسماعيل خان " لما تميزوا به من خصال قتالية نادرة، وهذا ما جعل غالبية رؤوساء هذه العشيرة، تصمد وتقاتل ضد الإيرانيين، وفي أحيان أخرى ضد الترك . لعب سمكو آغا دوراً بارزاً في النضال التحرري الكوردي، وكانت حركته تستهدف التحرر القومي، ويرجع تاريخ بروز إسماعيل آغا الشكاكي " إلى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى، ولا سيما بعد أن قتلت السلطات الإيرانية شقيقه الأكبر جوهر آغا غيلة في العام 1905، لاتصاله بالثوريين الإيرانيين، فمنذ ذلك

سيرة الجانب الآخر من معادلة الصراع بين الطرفين ، حين تطرق إلى ما انتهجه رضا شاه من نهج ، إزاء التحرك الكردي ، مروراً بما آلت إليه أوضاع إيران في مراحل الحرب العالمية الثانية ، والنفوذ الروسي والبريطاني فيها .

وفي سياق استقرائه للتحولات السياسية في تاريخ تلك الحركة التحررية ، أشار إلى تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني ، إذ وجده نقلة نوعية في النضال التحرري الكردي في إيران . لاسيما وان هذه البلاد ، بقيت تعاني الأمرين من سياسة حكامها فضلاً عن التغلغل السياسي الأجنبي على أراضيها كنتيجة حتمية ، لما آلت إليه الحرب العالمية الثانية .

ومن ذلك وجدناه يستقرأ صفحات من تاريخ العلاقات الإيرانية ـ الروسية[95]، إذ ارجع أولى تلك الصلات بين البلدين إلى العصر الوسيط ، مروراً بالثورة البلشفية عام (1917) ، وما ترتب من عداء إيديولوجي بين النظامين الإيراني والماركسي ، مؤكدا أن الماركسيين استدركوا عواقب تلك العلاقة ، فعمدوا إلى تغييرها ، نحو إقامة علاقات أكثر تعاوناً ، فابرموا معهم أول معاهدة في (26 شباط 1921) ، لتمثل بداية جديدة للعلاقات بين الطرفين . والى ذلك فأن هذا الأمر لم يستمر ، إذ أشار كمال إلى ما حصل من أزمة جديدة انعكست على مجمل جوانب العلاقات بين الطرفين ، لتبدأ صفحة من العلاقات بين إيران وبين ألمانيا الهتلرية ، فضلاً عن إشارته إلى ما ترتب من بنود المعاهدة الجديدة الموقعة بين بريطانيا وإيران والاتحاد السوفيتي ، إلى جانب التوجه الأمريكي صوب هذا البلد . وحينذاك ، وجد كمال أن إيران أصبحت ساحة يتبارى عليها الساسة الأجانب .

وعلى وفق تلك المعطيات ، تناول بالبحث تاريخ أيرن الحديث والمعاصر ، معولاً على ما تضمنته الوثائق الروسية من معلومات إزاء تلك الحقبة ، من خلال تتبعه تزايد الاهتمام الروسي بإيران ، منذ عهد (بطرس الأكبر)[96]، وما عقدوه من معاهدات وما ابرموه من اتفاقيات بين الطرفين . مؤكداً أن العلاقات الدولية في عصر الامبريالية ، يتضمن وثائق ومعلومات مختلفة تخص إيران وتؤلف مصدراً أصيلا هاما لدراسة تاريخها الحديث .

ومن بين الأمور التي يمكن للقارئ والمتتبع لنتاج مؤرخنا كمال أن يلحظها ، أنه أبدى اهتماماً واضحاً بتاريخ الكورد ، سواء في بلاده العراق أو في أي مكان آخر .

وما يجب الالتفات إليه ، انه بهذا التوجه لم يكن سوى باحث يتابع تاريخ ، لا نقول انه تاريخ مضيع ، بقدر ما اعتراه من إهمال وابتعاد ليس بقليل عن سرد واقعي لتاريخ هذا الشعب ، وهو أمر تأتى نتيجة عوامل سياسية ليست بخافية على أحد . وبحكم تتلمذنا عليه وجدناه يتعاطَ مع تاريخ الكرد ، بشكل وكأنه ، أمام تحد يجبره على التمحور حول مسائل ، لربما كان غيره يفضل عدم العوم فيها . وتلك بالتأكيد مزية تسجل له ، ففي كثير من مؤلفاته وأبحاثه ومحاضراته ولقاءاته ، لطالما كان يؤكد على ضرورة متابعة حيثيات تاريخ الكرد ، فالظروف السياسية كادت أن تغيّب تاريخ هذا الشعب بأكمله . وقد بلغ من استئثاره بكتابة تاريخ الكرد ،

الوقت أصبح سمكو على اتصال وثيق بعبد الرزاق بدرخان وبالروس الذين أشاروا إلى أسمه ونشاطاته في وثائقهم الدبلوماسية، وقد ورد عنه في تقرير روسي خاص : تقريباً منذ العام 1914 أصبح أسم سمكو معروفاً على نطاق واسع في الدوائر الدبلوماسية الروسية، والبريطانية، والإيرانية، ما جعل رضا خان (شاه لاحقاً) وفي البداية حين تسلم السلطة في إيران، ولإدراكه مدى تأثير وقوة ونفوذ سمكو آغا، أن يعقد علاقات صداقة معه، فتظاهر بالاحترام والتقدير لشخصيته، ولم يستطع أن يعلن نفسه شاهاً، إلا بعد أن قضى على حركتي سمكو ، وخزعل في عربستان . انظر الدكتور كمال مظهر أحمد ، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ترجمة محمد الملا عبد الكريم ، ط2،بغداد ، 1984 ،ص165 .

[95] كمال مظهر أحمد ، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ص269 .

[96] ولد في الكرملين عام (1682) حكم روسيا من عام (1682) خلفا لفيودر الثالث وحتى وفاته عام (1725) . وقد كان يحكم روسيا بدايةً حتى (1696) مشاركاً لأخيه غير الشقيق إيفان الخامس في الحكم حيث أن الأخير كان يعاني المرض.يعد بيتر العظيم أحد أعظم من حكموا روسيا على مدار تاريخها. وقد قاد سياسة تحديث وسياسة التوسع التي حولت روسيا القيصرية إلى الإمبراطورية الروسية والتي باتت إحدى أهم القوى على مستوى أوروبا.

انه تمكن من خطف المبادرة من أيدي المستشرقين السوفيت الذين كانوا يرومون وضع خطة حول كتابة تاريخ الكرد . وكان من بين تلك النشاطات ، كتابه " كردستان" وقد يكون السبب المهم الذي دفعه للتصدي لهذا الموضوع ، هو أرشيفات الاتحاد السوفيتي - سابقاً - التي كانت عامرة بالوثائق والمعلومات الهامة عن أحداث كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، مشيراً إلى المستكرد السوفيتي " م. س . لازاييف " والأكاديمي " كردليفسكي "[97] ودوريهما في حفظ جوانب مهمة من تاريخ الكرد . وهو تاريخ اكتنفه شيء من الغموض بسبب ما أدخل عليه من التشويه والتحريف .

ولاشك أن مثل هذه الإخفاقات في إظهار تاريخ شعب يصارع من اجل البقاء ، دفع بمؤرخنا كمال أن يولي اهتماماً مميزاً لإعادة كتابته . فكان حصيلة هذا التوجه عدداً من المؤلفات ، لعل أهمها كتابه " كردستان في زمن الحرب العالمية الأولى" . فقد تركت أحداث الحرب العالمية الأولى أثارا عميقة على الشعب الكوردي وعلى مصيره فكان ذلك مسوغاً لمؤرخنا لتأليف كتابه هذا ، إذ جاءت البداية باللغة الكوردية ثم ترجمه زميله الأستاذ (محمد الملا عبد الكريم) إلى اللغة العربية وطبع مرتين حتى أواخر القرن العشرين وترجم إلى اللغة التركية و الانكليزية والى عدد من اللغات الأخرى . ولا شك أن المتتبع لموضوعاته سيقرأ تلك المآسي التي عاشها الشعب الكوردي في سنوات الحرب العالمية الأولى بما وضعته معاهدة (سايكس بيكو) المعاهدة السرية التي عقدت عملياً بين فرنسا و بريطانيا وروسيا في (1916) من بنود مجحفة ، بما أدته من تقسيم للمنطقة على الدول الكبرى ، وما ترتب على ذلك من انعكاس سلبي على مصير الشعب الكوردي ، ومع أن هذا كان يتناقض في مضمونه ، مع مضمون معاهدة سيفر، فأن كمال أكد بروز عدة عشائر كوردية في تلك الأثناء قاومت الاحتلال وأدت دوراً كبيراً في تلك الحركات والانتفاضات التحررية ، فهذه العشائر كما يراها ، وهذه الحركات ، كانت تمثل الوجه المشرق للحركة الجماهيرية الكوردية .

ويشير إلى بداية تلك الحركات في العراق ، ليؤكد أن من قاد هذه الانتفاضات بالدرجة الأساس ، هو الشيخ محمود وفي إيران (سمكو شكاك) ، في حين قاد الحركة الكردية في كوردستان تركيا ، الشيخ سعيد بيران ، وكذا الحال أشار إلى الدكتور فؤاد الطبيب المعروف ، الذي صعد على المشنقة مع الشيخ سعيد بيران جنباً إلى جنب بما تمثله تلك المواقف من طموحات الكرامة والحياة الحرة الكريمة للشعب الكردي .

وعلى وفق ما كانت علية الحركة الوطنية في كردستان العراق من فاعلية ، عاد كمال الى الحديث عنها مؤكداً أنها اتخذت منحاً ثورياً ربما أعمق إلى حد ما من الحركات الثورية في الأجزاء الأخرى من كوردستان ، محددا أن احد الأسباب الأساسية لهذا الشيء هو أن المرء في كوردستان العراق ، يناضل ضد محتل أجنبي ، وهذا ما يختلف عن حالة النضال ضد السلطة الحاكمة إبان السلطة القاجارية على سبيل المثال ، أو السلطة البهلوية في إيران او ضد الكماليين في تركيا ، وفضلاً عن ذلك ، يؤكد على وجود وثائق سرية كثيرة أطلع عليها تشير إلى أن البريطانيين جلبوا معهم أسباب الحضارة الى العراق ، معززا ذلك بما أشار اليه كارل ماركس في حينه بأن الرأسمالية الغربية من شأنها أن تجر وراءها حتى أكثر الشعوب بربرية . وهذا على ما يبدو قد أوحى لكمال أن الوجود البريطاني رغم سلبياته الكبيرة ، ففي الاحتكاك بشعوب هذه البلاد الكثير من الجوانب الايجابية لأن لارتباطها بقضية الحضارة الغربية . ودليل على ما يذهب إليه أشار إلى مباشرة سلطة الاحتلال البريطاني بتشييد السكك الحديدية ، وأن كانت تخدم الأهداف العسكرية البريطانية ، إلا أنها كانت وسيلة حضارية ساعدت على تفتح أذهان الناس حين الاطلاع على هذه الأشياء، منوها إلى أن تلك الطائرات الحربية وهي تقصف ، فهي بالتأكيد تجلب الانتباه إلى حضارة الغرب .

---

[97] الأكاديمي ف.أ. كرد ليفسكي (1876-1956) واحد من أهم المستشرقين السوفييت والعالم ، متخصص ضليع في الدراسات التركية أنجز حوالي 300 عمل علمي ، وتتمتع تقييماته بأهمية خاصة .

وقد يكون لنا رأي ، لا نتفق فيه مع ما ذهب إليه أستاذنا الدكتور كمال في هذه الإشارة ، وتأكيده على ما جلبه الاستعمار البريطاني من مظاهر الحضارة الغربية ، وقد أشار هو بالذات إلى الغاية من جلب سكك الحديد ومن تحليق الطائرات . فنحن هنا نتفق مع الدكتور ولا نتفق معه في الوقت نفسه ، نتفق معه بأن ما جلبوه من أداة للحرب ، وهي من مبتكرات الحضارة الغربية ، قد جعلت من أمر الاطلاع والمشاهدة لتلك المفردات الحضارية ، أمرا واقعيا ، ولكن ماذا لو علمنا أنها في الوقت نفسه ، قتلت الروح والتطلع إلى الحياة عند الإنسان العراقي ، حين أشعرته بضعفه ، وراحت تكرس في داخله ، هذا الشعور من خلال رسمها لسياسة تعسفية ، تخطط لها بحجة أن البلاد لما تزل متخلفة ولا تقوى على إدارة نفسها . وإذا كان من المفيد قوله بشأن فوائد هذا الاحتلال ، نقول انه مثّل بقسوته عامل تحدي تطلب استجابة تمثلت بعد حين بتفجير ثورة العشرين والعمل على بناء مؤسسات الدولة .

ولربما سنجد توائم لرأينا هذا ، مع رأي الدكتور كمال حين يؤكد أن حركة التحرر في العراق بالنسبة لجميع القوميات والأقليات ، بلغ شوطاً بعيداً قبل الاحتلال وبنيت جوانب من هذا الموضوع وفي سنوات الاحتلال ، وقوله أن المحتلين تصرفوا تصرفات غير لائقة فانفجرت الثورة في الفرات الأوسط ، فكانت ثورة تحررية عقلانية. والى ذلك أشار إلى شيء وجده رائعاً في ثورة العشرين ، تمثل ببياناتها ، منوهاً بوجود وثائق الثورة في مكتبات لندن ، وهي ميسرة لمن يروم الاطلاع عليها ، بما فيها مثلاً توصيات قادة الثورة للثوار مثل الرفق والرحمة بالأسرى وان تتعاملوا معهم معاملة إنسانية، مما سجل انعكاساً خطيرا في مجلس العموم البريطاني والصحافة البريطانية ، بل وكم رفع من قدر العراقيين، وتكريساً لما أشرنا إليه إزاء واقعة الثورة وما شكلته من استجابة إزاء تحدي الاحتلال وبأنها مثالاً شاخصا ومشروعاً ضد سلطة مستبدة ، يؤكد مؤرخنا أنها فعلاً فرضت على البريطانيين التراجع وقد وضعت اللبنة الأولى للاستقلال ، ووجد ان هذه الحركة الثورية - ثورة العشرين - لا يمكن للشعب الكوردي أن يبقى بعيداً عنها ، مشيراً إلى تأليفه لكتاب بهذا الصدد بعنوان (دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين العراقية) . ومن جانب آخر يرى ، وجد ان الحركات الكوردية لم يكن لها دور كبير مثل جماهير بغداد او جماهير الفرات الأوسط ، لأن الانكليز وجهوا ضربة قاصمة الى الحركة التحررية الكردية عشية ثورة العشرين . وفي حزيران (1919) كانوا قد قضوا على حركة الشيخ محمود ، حين تم نفيه إلى الهند . ليجد أن هنالك نوع من المد والجزر في الحركات التحررية الكوردية .

وحين تطرق في فصل كتابه الأول ، إلى بيان بروز الأطماع الاستعمارية وبداياتها ، أكد أن الصراع ما بين الشرق والغرب ، ليس وليد الساعة ، إنما يرقى إلى عهود قديمة . وكانت منطقة كردستان ، تعد واحدة من بين تلك المناطق التي عانت الأمرين نتيجة هذا الصراع ، ولاسيما أنها غنية بالنفط ، الثروة التي تتكالب عليها الدول الاستعمارية المتنافسة، فكانت قبلةً لها . وأشار إلى ألمانيا وبريطانيا إذ تنافستا على الاستحواذ على اكبر قدر ممكن من الامتيازات في ظل الدولة العثمانية المتهاوية ، مؤكدا أن النفط وحده لم يكن الدافع الوحيد لهذه الدول ، إنما كان لموقع كردستان الإستراتيجي في قلب الشرق الأوسط ، مثّل قوة مؤثرة ذات أهمية في تحديد سياسة تلكم الدول إزاء مستقبلها . ومن ذلك فأنه يرى أن الثروات الطبيعية والموقع الإستراتيجي ، كانت تجلب لهذه المنطقة اهتمام الدول الكبرى بالتتابع ، لاسيما منهم - وكما اشرنا الى الألمان والبريطانيين الذين بدؤوا بهذا التوجه منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر حين راح رجال (شركة الهند الشرقية)[98] يتجولون في كردستان . وأشار إلى ما كانت

[98] كان يطلق عليها العامة لقب "شركة جون"، أما أهل الهند فكانوا يطلقون عليها اسم شركة "باهادور". وقد كانت شركة مساهمة عامة إلا أن شركة الهند الشرقية الهولندية هي صاحبة المبادرة في إصدار سندات المساهمة العامة. تمثل هذه الشركة نقطة تحول رئيسية في تاريخ الهند في القرون الخمس الأخيرة، إذ ساهمت

عليه دول الحلفاء من مشتركات سياسية كان لها الأثر في توائم الحلفاء ، مؤكدا أن (كردستان العراق) تعد من أهم تلك العوامل التي مثلت مشتركا خطيرا في إيديولوجية تلك الدول ، فقد برز الروس شأنهم شأن الإنكليز ، تمحورت أنظارهم نحو كردستان ، لاسيما المناطق الواقعة منها على حدودهم الجنوبية . فتحدث عن تاريخية تغلغل الإنكليز في كردستان ، وتحديداً رغبتهم في الوصول إلى ما عرفت بـ (المياه الدافئة)[99] ، وهو ما أدى إلى وقوع عدة حروب بين الروس والعثمانيين .

والى ذلك ، وجد أن دخول إيران في حرب ضروس مع الروس ، أضاف بعداً آخر أمام الروس حول أهمية منطقة كردستان ، مؤكدا أن الكرد لم يقتصر اهتمامهم على النشاطات ذات الطابع الاستراتيجي الصرف ، إنما رافق ذلك نشاط واسع ارتبط بالعمل الدبلوماسي السلمي الذي تمخض عنه نتائج مهمة ، وجدها مؤرخنا تستحق بعض التوضيح لإعطاء الموضوع أبعاده الحقيقية[100]. وأشار فضلاً عن ذلك إلى من أسهم من المستشرقين السوفييت في تثبيت جوانب هامة من تاريخ الكرد ، إلى جانب الكم الهائل من الأرشيفات والتقارير الدبلوماسية والعسكرية والتي كان لها الفضل الكبير في توثيق هذا التاريخ . فكان من بين من أشار إليهم في هذا الصدد ما ذكره " وليام فرانشو ديتيل " وأيي. ي . كيبوس إلى جانب الدكتور كيدينوف ، إذ قاموا برحلة عبر أرمينيا وكردستان وسوريا ، وكذا الحال في إشارته لما يعرف بالكردي الصغير وأسمه ب . ليرخ (1828- 1884) .

وبعد عرضه لتلك النشاطات ، اختار التطرق للتوجهات الأميركية صوب المناطق الكردية ،حين وجدها تعود إلى نشاط المؤسسات التبشيرية والخيرية الأميركية في منطقة الشرق الأوسط ، وتحديداً سنة (1820) . فتحدث عن التطور التاريخي لهذا النشاط في المنطقة . وأشار إلى جانب ذلك إلى النشاط الفرنسي في تلك المنطقة ، مؤشراً التوجهات التي تغلف بها هذا التغلغل ، بما فيه النشاطات الثقافية . ومن ذلك يتضح أن كمال كان يبتغي من وراء عرضه لتلك النشاطات ، قراءة النشاط الدولي بنزوعه الحقيقي صوب منطقة كردستان[101] مع الكشف بجلاء عن (المبدأ ألذرائعي) [102] الذي كان الغربيون يلجؤون إليه لتحقيق مصالحهم في عموم

بالقدر الأكبر ـ عبر سياساتها الاستعمارية ـ في تشكيل معظم أبعاد الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الهند الحديثة.

[99] هو مصطلح يستعمله السياسيون للإشارة الى البحار الموجودة بمنطقة الشرق الأوسط كالخليج العربي والبحر الأحمر وبحر العرب واشتهر هذه المصطلح كثيرا أيام الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي السابق وأمريكا إذ كانت أمريكا تخشى من تزايد النفوذ السوفيتي في تلك المياه في حينها .

[100] كمال مظهر أحمد ، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ص53 .

[101] إن أول من أطلق كلمة كردستان وخاصة فى مناطق سكناهم الاصلى في إيران هو السلطان السلجوقي سنجر. فقد ذكر الباحث الغربي (لى سترينج) في كتابه"الاراضى فى شرق عصر الخلافات" الصادر عام (1930) : (في وسط القرن السادس للهجرة، الثالث عشر ميلادى قسم السلطان السلجوقي سنجر مقاطعة الجبال الى قسمين، وأعطى للقسم الغربي وبالتحديد المناطق الخاضعة لكرمنشاه اسم كردستان، وعين ابن أخيه سليمان شاه حاكما عليها) . أما تسمية شمال العراق بكردستان العراق فيرجع الى القرن السابع عشر، عندما حاول الانكليز تجزئة الإمبراطورية العثمانية. ويعد الكابتن البريطاني جون ماكدونالد كيز أول من أطلق مصطلح كردستان فى كتابه بعنوان (رحلة الى أسيا الصغرى وأرمينيا وكردستان) عام (1818). ثم جاء بعده المقيم البريطاني فى بغداد كلاويدوس جيمس ريج، الذي يوصف بأوائل البريطانيين الذين زاروا شمال العراق، وأطلق أيضا كلمة كردستان لأراضى عراقية، وعين حدودها فى كتابه (قصة الإقامة فى كردستان، وفى خرائب نينوى القديمة). وقد حدد بدقة حدود ما سماه بكردستان العراق. فيقول (حصلت من عمر أغا ـ احد أشراف الكرد فى السليمانية ـ القائمة الموجودة فى الحاشية جميع مقاطعات هذا القسم من كردستان، الذي يبدأ من حدود بغداد .

[102] الذريعة هي الوسيلة وجمعها ذرائع. والذرائعية instrumentalism هي مذهب جون ديوي، الذي يقرر أن الأفكار والنظريات والمعارف والنتائج والغايات وسائل وذرائع دائمة لبلوغ غايات جديدة، وتعديل وتوضيح المعايير والمعارف دوماً في ضوء الخبرات المتراكمة، أي إنها ذرائع لمزيد من العمل، وعلى هذا كل نظرية هي أداة أو ذريعة إلى العمل، ولا قيمة لها إلا إذا كان لها نتيجة عملية .

العالم ومنها كردستان ، على وفق ما كان مرسوم لسياستها إزاء مستقبل الإمبراطورية العثمانية ، وفي إطار محاولاتها للتغلغل في منطقة الشرق الأوسط . وقد تجلت عواقب هذا الاهتمام إبان سنوات الحرب العالمية الأولى بوضوح ، حين انعكس على أحداث تلك الحرب ونتائجها بالنسبة للشعب الكردي .

وتواصلاً مع نهجه المؤسس على فهم التاريخ وميله الواضح في استكناه مفاصله ، قاده حسه التاريخي إلى تحسس الساخن من أحداث التاريخ ، فكتب عن الصورة التي ظهرت عليها الدولة العثمانية ، وقد تخلخلت أركانها ، وتداعت قواعدها ، وهي إشارة إلى بوادر الحرب العالمية الأولى ، فعصفت الريح بتلك الدولة ، وغزتها الكولنيالية[103] ، لدرجة أن احد قادة الإمبراطورية ، اعترفوا بأن هذه الامتيازات ، بمثابة قيود أثقلت كاهل الدولة العثمانية ، وقد تمخض عنها بروز ما عرف بـ "مؤسسة القرض العثماني"[(104)]. وعلى هامش هذه التطورات والتحرشات الروسية ، برز إلى الوجود ما عرف بتشكيلات الفرسان الحميدية من الأكراد ، إلى جانب تشكيلات أخرى ، أرادت الدولة العثمانية منها زج أكبر عدد ممكن من العشائر الكردية في أتون حرب ضروس ، حفاظاً على حدود الدولة العثمانية ضد الروس ، في مقابل إغراءات لرؤساء تلك العشائر، مؤكداً أن تلك الخطة لم تنجح لأسباب عدة عرض إليها كمال ، كان من أهمها إفلاس الدولة وضعفها . وقد اصطدمت هذه التشكيلات بواقع السياسة العنصرية التي رفعها الاتحاديون في عثمنة ـ تتريك ـ جميع العناصر غير التركية[105] . ووجد ان هذا الأمر أدى إلى بروز الشعور القومي على أشده ، فاتسعت النشاطات السياسية والاجتماعية وتكاثرت الجمعيات والمنظمات الكردية . وأشار إلى بعض تلك المؤسسات ، مستعرضاً بشكل موجز الأوجه الجديدة والهامة الثقافي لتلك الجمعيات والمنظمات والشخصيات السياسية المعروفة إبان تلك المرحلة . إلى جانب ذكره لعدد من المجلات ، منوهاً بما قدمته من نشاط ، وما آلت إليه الأحوال وما ترتب على ذلك من تحركات سياسية ، انتهت إلى حصول انتفاضات شعبية سنة (1914) في منطقة بدليس وغيرها . ووجد أن هذا التفاعل السياسي ، أدى إلى بروز ظاهرة تاريخية مهمة ، أخذت بالتبلور قبل قيام الحرب العالمية الأولى ، تتعلق بظهور بوادر التفاعل العضوي بين نضال الكرد والشعوب الأخرى ضمن الإمبراطورية العثمانية . ووجد أن ما حصل في البلقان من نجاحات ، ألهمت الكرد حافزاً للحذو حذوهم في نيل الاستقلال . وأشار إلى تنامي التقارب بين الشعبين العربي والكردي مستعرضاً وثائق ، شكلت في رأيه دلالات عميقة في إطار موضوعة بحثه . ووجد أن حصيلة التفاعل الكردي العربي ، شكل في واقعه لبنة جديدة في صرح العلاقات التاريخية القائمة بين الشعبين ، على انه أشار في الوقت نفسه

---

[103] ينطبق هذا التحديد (الكولونيالية) على كل الأبحاث والدراسات والتقارير التي أنجزها باحثون أوروبيون(ضباط، مخبرون، ودارسون متخصصون) حول المغرب وباقي مجتمعات شمال إفريقيا، والهدف طبعا هو ضبط هذه المجتمعات ومعرفتها من الداخل بغية تأمين وتسهيل عملية السيطرة الاستعمارية عليها. هكذا إذن، سيتحدد دور المعرفة العلمية كسلاح استراتيجي سيتم توظيفه، بشكل ذكي، من طرف الإدارة الاستعمارية و(الفرنسية) تحديدا في هذا الاتجاه. لعل هذا هو السبيل الأمثل الذي ستتوحد حوله آراء وتصورات منظري الإدارة الاستعمارية الفرنسية وسياسييها بخصوص حالة المغرب، خاصة وأن الأسلوب العسكري التقليدي قد كلف فرنسا الشيء الكثير في أثناء احتلالها للجزائر منذ عام 1830م .

[104] تأسست بموجب مرسوم المحرم الذي صدر في العام 1881 . وهي مؤسسة خاصة للإشراف على قروض الدولة العثمانية . وكان يديرها مجلس إدارة أعضاؤه من ممثلي الدول الأجنبية الدائنة ، فكان لديه جهازه الإداري الخاص الذي تجاوز عدد العاملين فيه ، خمسة آلاف شخص منحوا حق جباية الضرائب .لقد كانت مؤسسة إدارة القرض العثماني تشكل بحق ، دولة قوية مصونة داخل دولة هزيلة منحلة ، كمال مظهر ، كردستان ، ص82 .

[(105)] كمال ، المصدر نفسه ، ص96 .

إلى أحداث الحرب العالمية الأولى والتي زادت الأمر سوءاً ، حين وقعت كردستان وسط لهيب نار المتحاربين . وقد تطرق إلى هذا الموضوع ضمن فصل الكتاب الثالث الذي حمل عنوان " أتون الحرب " حيث بدأه بلمحة عامة عن الظروف التي دفعت الدولة العثمانية إلى دخول الحرب في جبهة واحدة مع ألمانيا ، مع إلقاءه بالضوء على الخطط التي وضعها من اجل تحقيق الأهداف الكبيرة ضمن حساباتها التي ظهر عدم دقتها مع تسارع الأحداث المتتابعة منذ الأشهر الأولى للحرب ، حين أصبحت الدولة العثمانية ، الحليف الثالثة في الجبهة النمساوية الألمانية .لتعلن بعد ذلك جميع الدول المتحاربة ضمن جبهة الحلفاء ، الحرب ضد الدولة العثمانية المتهالكة . وأمام ذلك التفت كمال إلى وضع الكرد إبان تلك الحرب ، مؤكداً أن الاتحاديين اهتموا ومنذ بدأ الحرب ، بإقحام الكرد في أتون تلك الحرب ، لاسيما وان أرضهم باتت ميدان للتقاتل بين المتصارعين . وأكد على أن العشائر الكردية ، كانت قد رفضت النداءات المتكررة التي أطلقها الاتحاديون ، بشأن الجهاد ضد المحتلين الغربيين .

وعلى وفق منهجه التحليلي ، مضى إلى دراسة الصراع الذي كان يدور بين الزعماء العشائريين الكرد وبين الاتحاديين ، مما ترتب عليه هرب أعداد كبيرة من الخيالة الكرد من صفوف الجيش العثماني ، وهو ما يؤكد غلبة الصلات الأبوية في القبيلة الكردية . وأشار إلى الموقف الذي أبداه الكرد باتجاه الروس حين ازداد اهتمامهم بهؤلاء الكرد ، مؤكدا على أنه قد تم استدراجهم إلى جانبهم في الحرب ، ومع ذلك وجد كمال ضرورة الإشارة إلى ما لقيه هؤلاء الكرد من سوء معاملة على أيدي الروس ، منوهاً ببعض تلك الوقائع التي تشير إلى ما يذهب إليه ، مؤكداً أن هذه التصرفات دفعت بالكرد إلى التمرد على الروس والانقلاب ضدهم ومقاومتهم .

أما في إيران ، فيرى مؤرخنا أن العثمانيين والألمان ، زاولوا نشاطات واسعة داخل المناطق الكردية الإيرانية . وقد أسهب في بيان ما حصل على ارض إيران من مناوشات وتفاعلات سياسية ، انسحبت على كردستان العراق في ربيع (1916) ، حين توغلت القوات الروسية في عمق أراضي كردستان ، ولم تتوقف حتى قيام ثورة أكتوبر (1917). والى ذلك تطرق إلى بيان آخر مرحلة من مراحل دخول القوات البريطانية إلى العراق ووصولهم بغداد .

وفي سياق إشارته للنشاطات الفكرية والسياسية للكرد إبان تلك المرحلة ، أشار إلى صدور جريدة " فهم الحقيقة الكردية "في بغداد ، وما أداه البريطانيون من جهود لدفع رؤساء العشائر الكردية العراقية إلى حمل السلاح ضد العثمانيين . وخلص إلى حقيقة مؤداها أن تلك الحرب أدت إلى وقوع تغيرات سياسية واقتصادية مهمة في معظم أرجاء كردستان ، لاسيما القسم الجنوبي منها والذي أصبح في ذلك الحين تحت السيطرة البريطانية المباشرة . وفي الوقت نفسه وجد أن أحداث الحرب العالمية الأولى ، كانت قد تركت في أعوام الحرب نفسها ، أثرا كبيراً على الوضع السياسي للشعب الكردي ، وجلبت إلى دياره الدمار والخراب[106].

ولما كانت كل حركة تحرر تستلزم من أبنائها جهوداً غير طبيعية ، إلى جانب تقديم التضحيات البشرية والمادية ، فقد أشار كمال إلى الانتفاضات التي شهدتها المناطق الكردية ضد الوجود الأجنبي على أراضيها ، منوهاً بما عمد إليه الشيخ محمود من مواجهة هذه القوات في كلا العهدين . ويناقش في موضع آخر من كتابه مسألة الحكم الذاتي ، لا سيما تحديد التنظير الفكري لهذا الحكم ، على فرض انه مسألة ارتبطت أساسا بمسيرة النضال الكردي إبان سنوات الحرب والذي أدى إلى رفع الوعي القومي بينهم ، والإحساس بالغبن الذي لحقهم ، وهو ما أدى بالتالي إلى انعدام ثقة الكرد بالعثمانيين ، مما ترتب عليه عواقب وتبعات خطيرة ، منوها بما عمدت إليه السلطات العثمانية من إبعاد عدد من الزعماء الكرد النشطين إلى أماكن نائية ، إلى جانب إتباع الاتحاديين لسياسة اقتصادية أدت إلى إلحاق ضرراً كبيراً بالبنية الاقتصادية للدولة العثمانية. ووجد كمال أن هذا الأمر انسحب على عموم مناطق الإمبراطورية ، ومن

---

(106) ص196

ضمنها منطقة كردستان ، مشيرا إلى إمكان عرض مئات الصور المؤلمة عن مآسي تلك الحروب في كردستان ، وما ترتب عليها من غلاء في المعيشة ومن خسائر بشرية هامة ، مؤكداً أن من سلبيات تلك المرحلة ، بروز فئات مستغلة تنامت مع استغلالها لظروف المواطنين المتدهورة .

وزيادة في توضيح الصورة المأساوية للشعب الكردي إبان تلك المرحلة ، عمد إلى بيان الأسلوب الفظ الذي اعتاده المحتل في التعامل مع الآخرين ، لينتهي إلى القول بأن سنوات الحرب لم تجلب للجماهير الكردية ، سوى الدمار وعاهات وعوز ،بل ويرى أن الأنكى من كل ذلك ، أن المسؤولين العثمانيين ، كانوا يسعون بكل وسيلة لرمي تهمة مجازر الأرمن على الأكراد .

ولكي يعطي توضيحاً لما عرضه ، عمد إلى مناقشة مسألة الأرمن ، ضمن بحثه " الكرد والدم ألأرمني المراق " إذ تحدث عن الجذور التاريخية لهذا الشعب ونضاله ضد صفحات الاحتلال من الرومان إلى الإيرانيين .وأفصح عن طبيعة العلاقة بينهم وبين الكرد ، بوصفهما شعبين متجاورين . فأشار إلى مستوى اقتصادهم وظروف معيشتهم إلى جانب إشارته إلى حركات التحرر التي برزت لديهم ،ليعرج بعد ذلك على بيان أهم العوامل التي أسهمت في التقريب بين الشعبين ألأرمني والكردي ، بما فيها ظروفهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم ، إلى جانب معاناتهم من التسلط الأجنبي .

ومن الواضح أن كمال أراد من بيان تاريخية هذا الشعب ، التعريف بما قيل من أثر كردي في مذابح الأرمن ، فضلا عن بيانه التطور التاريخي لأرمينيا الشرقية والإشارة إلى تطلعاتهم للاتجاه صوب روسيا ، ورغبة الروس في التطلع إلى ضم أرمينيا إلى مناطق نفوذها . ويرى أن هذا التوجه ، هو الذي أثار العثمانيين الذين كانوا يسعون إلى احتلال أرمينيا الغربية . وذلك ما يراه قد ولّد حركة أرمينيه التحررية ، والتي قادت انتفاضة الشعب الأرميني ضد العثمانيين ، وبالمقابل أشار كمال إلى ردة الفعل العثمانية إزاء هذا التحرك من الشعب الأرميني ، إذ كان رداً قاسياً . ومن بينها تدخلات العثمانيين لحل تلك الأزمة . ووجد أن تدويل تلك القضية أدى الى ظهور بوادر انفصال أرمينيا عن سلطة الإمبراطورية العثمانية وخروجها من طوقها ، وقد تحرك الشارع ألأرمني تقوده في ذلك ، حركة التحرر الأرمينية .

وأمام هذا التحرك ، أشار كمال إلى ردة الفعل العثماني في آب وأيلول (1894) ، ممثلة بما عرف بـ (المذبحة الأولى) في ساسون ، وبعد سنة من ذلك وقعت المذبحة الثانية في استانبول واستمرت لأكثر من يومين . وامام تلك الصورة ، أسهب في بيان فضائع تلك المذبحة وما ترتب عليها من تداعيات ، ملتفتا إلى ما أسهم به بعض الكرد في تلك الواقعة على الرغم من انه لا يرى في تلك الإسهامات التي يراها مؤسفة ، دليلاً على اشتراك كردي واسع في هذه المجزرة . لينتهي إلى تقيم هذه المسألة بقوله : أن التعصب الديني الأعمى والتخلف الحضاري ، كانا سببين رئيسيين دفعا بالكثير من الكرد إلى السعي لتحل عليهم بركة الرب من خلال الإسهام في قتل الكفار ، مؤكداً أن عدداً من الكرد يعتقدون أن قتل ارمني ، يعد جهاداً محدداً هؤلاء بجماعة الفرسان الحميدية ، على أن هذه المذابح إنما كان عمل منظم بدقة وقد اشتركت في إعداده أطراف مختلفة وبدوافع معينة . وعول في ترصين ذلك على عدد من الوثائق ، وجد في مضامينها توضيح للأبعاد الحقيقية للقضية وبشكل موضوعي ، مما سيعطي المؤرخ إمكانية اكبر لبيان حجم الإسهام الحقيقي للأكراد ضمن هذه القضية ، وعلى سبيل المثال تحدث عن برقيةٍ لوزير الداخلية طلعت باشا ، كان قد أرسلها إلى والي حلب ، فضلاً عن مذكرة رفعها السفير الألماني إلى الصدر الأعظم (سعيد حليم باشا) في الرابع من شهر حزيران (1915) بشأن تأييد ألمانيا بما وصفته إبعاد الأرمن عن شرقي الأناضول .

وتناول إلى جانب ذلك وبإيجاز ، موقف الرأي العام العالمي والدول الكبرى إزاء مذابح الأرمن ، مع الإشارة إلى أسباب عدم التحرك الدولي الأوروبي ضد السلطان عبد الحميد . ليخلص إلى القول تارة أخرى بأن تلك المذابح ، كانت قضية اكبر وأعمق من أن تكون حصيلة

التحسسات الدينية العمياء لدى الكرد وتخلفهم . ونوه بوجود وثائق وأدلة كثيرة تؤكد أن الكرد ، لم يكونوا سلبيين من الأرمن ، مستشهداً بمواقف وعلاقات وسبل دعم للأرمن من قبل الأكراد على تأكيد ما يذهب إليه . منتهياً إلى القول بأنهم لم يكونوا سوى ضحية قصر النظر لبعض الفئات الحاكمة وأطماع الدول الكبرى التي تجسدت بعد أن وضعت الحرب أوزارها .

وفي فصل آخر من فصول كتابه ، تحدث عن أطماع الدول المتحاربة وخططها في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، لاسيما ألمانيا وروسيا وبريطانيا . فضلاً عن بيانه توجهات المحادثات السرية التي جرت بين الحلفاء ، مؤكدا أن مصير الشعب الكردي كان من ضمن مصائر الشعوب الأخرى ، التي هضمتها تلك الدول المتحاربة .

وتناول بالشرح ما تمخض عن ثورة أكتوبر (1917) من نتائج وكذا الحال بالنسبة لخطاب لويد جورج في الخامس من كانون الثاني (1918) وما أعلنه الرئيس الأميركي ولسن من بنوده الأربعة عشر أمام الكونكرس إزاء القضايا الدولية الخاصة بالحرب والسلام ومصائر الشعوب وحقها في تقرير المصير . وأشار إلى أن الأكراد وفي أثناء مؤتمر الصلح في باريس ، كانوا قد مارسوا نشاطاً إزاء المطالبة بحقوقهم في الوقت الذي أرسل فيه الشيخ محمود وفداً خاصاً إلى باريس للالتحاق بشريف باشا . وتحدث عما وقعت من ملابسات وحوارات ساخنة أثناء انعقاد المؤتمر ، مشيرا إلى (معاهدة سيفر) ، وما حصل عليه الأكراد من حقوق محدودة ، مفصحاً عن بعض بنود هذه المعاهدة .

وأوضح كمال أن النظرة المجردة إلى ما حدث في باريس أثناء مفاوضات الصلح وما نجم عن هذه المفاوضات من مناورات ومساومات واتفاقات ومعاهدات بين الدول الكبرى ، تجعل المتتبع يتفق تماماً مع ما علق به الدبلوماسي الأمريكي (جورج كينن) Gorge kenen على معاهدات الصلح ، حين قال : لقد دونت مآسي المستقبل في هذه المعاهدات بيد من الشيطان . وأمام ذلك وجد مؤرخنا أن أقل ما يمكن أن يقال عنها ، أنها لم تستطع أن تجنب البشرية مأساة حرب عالمية ثانية[107].

أما عن تاريخية مدينة كركوك ، فليس بخافٍ على أحد ، أن القرن الماضي وما تلاه ، شهدا حالة صراع محموم على تلك المنطقة ، توجت بظهور ما عرف بسياسة التطهير العرقي في لواء كركوك منذ بداية النصف الأول من القرن العشرين ، وهي إشارة لتأكيد أهمية منطقة كركوك من الناحية الجيوبوليتكية باعتبارها نقطة وصل وربط بين الأناضول والعراق وإيران ، كذلك خصوبة أرضها فضلاً عن العثور على كميات كبيرة من النفط تقدر بحوالي (7.5%) من إجمالي الاحتياطي العالمي ، مما سيتيح لشعوب هذه المناطق امتلاك سلاح فعال ، فيجعل من الأكراد قوة سياسية واقتصادية لا يستهان بها ، وقد نظرت الأنظمة الحاكمة للعراق من تلك الزاوية ، لاغية الجانب الإنساني الذي ترتب على تلك السياسة . ومن ذلك فالصراع على كركوك يجتاز الحدود الإقليمية للعراق ، ليمتد إلى دول الجوار ، بما فيها إيران وتركيا وسوريا . فمنذ عشرينيات القرن العشرين ، كان العراق دولة لا تمتلك سيادة تامة ، ولاسيما أن الاستعمار البريطاني ، كان يخطط دائماً لإظهار هذا البلاد ، بهذه الحِلةِ من التبعية . مما دفع بدول الجوار ، الى السعي للحيلولة دون دمج كركوك بالمجتمع العراقي ، لاسيما تركيا التي ترى في كركوك مورداً اقتصادياً خطيراً لها . في وقت راحت الحكومة العراقية ، تعمل على تغيير الطابع القومي لكركوك بالشكل الذي يتفق والمصلحة العليا للعرب ، أي ضمان الأمن القومي العربي على حساب الشعب الكردي . وكذا الحال بالنسبة لسوريا التي تخشى أي نجاح للأكراد ، لأنه يعني تهديد لها . في حين كانت إيران ، متيقنة أن استحواذ الكورد على كركوك من شأنه أن يمهد لطريق أسهل أمام ضغط أميركي مباشر على إيران .

ويبدو أن هذا الوضع العالمي المتأزم إزاء كركوك ، قد شكل هماً مزمناً لدى مؤرخنا، الذي وجد في نفسه ميلاً واضحاً للكشف عن تاريخية هذه المدينة . ولا سيما أن لديه حصيلة من

---

(107) ص351

مدونات الرحالة الأجانب التي تؤكد ما يذهب إليه ، ولا بأس من الوقوف عندها قبيل الولوج في موضوعات هذا الكتاب الذي وجده البعض مثير للجدل . وتؤكد هذه المذكرات أن امتداد الأكراد لم يقتصر على مناطق تمركزهم الحالي في كركوك بل شمل هذا التمدد الغرب والجنوب ، وقد كان استقرارهم ووجودهم المتأصل على الضفة اليمنى من نهر دجلة بأعداد لافتة للنظر وإزاء ذلك يقول الدكتور كمال مظهر :" أنه في شباط (1652 م) عندما توجه الرحالة الفرنسي (تافرينيية (Jean (Baptiste Tavernier من الموصل إلى بغداد عن طريق نهر دجلة ، سجل جملة ملاحظات في اليوم التاسع عشر من رحلته عندما وصل إلى نقطة التقاء الزاب الصغير بنهر دجلة فيما يعرف بالفتحة الواقعة بين شرقاط[108] شمالاً وتكريت جنوباً مؤكدا انه لم يرَ غير عرب وأكراد يسيرون بمحاذاة ضفتي النهر: الكرد في جهة ما بين النهرين والعرب في الجهة الأشورية . ويمضي الزمن وتتوالى الرحلات من قبل مختلف الرحالة الذين جابوا هذه الأصقاع ، فبعد أكثر من مائة وخمسون عاماً يصل (ج. س. بكينغهام) إلى (دلي عباس) يسجل الملاحظات الآتية التي وردت في الجزء الثاني من كتابه " رحلات في بلاد ما بين النهرين :"لم نر مساكن يقطنها العرب لوحدهم أثناء طريقنا منذ تركنا الموصل حتى الآن . فالفرسان العرب الذين التقينا بهم في التون كوبري كانوا في حملة, في حين كان معظم سكان المدينة من الأتراك والأكراد . أما هنا في قرية دلي عباس الصغيرة (بالقرب من بعقوبة) فأن سحن السكان ومظاهرهم ولغتهم وعاداتهم كلها عربية خالصة وأن البدو فيها أكثر من الفلاحين(109).

ويرى تلك الحقائق نفسها حين توجه نحو الجنوب الغربي من كركوك ، فبعد أن ترك (كفري) ويمم وجهه نحو بغداد عن طريق حمرين قال:" فقد زودنا مُضيّفنا في كفري سليم آغا إلى المرحلة التالية ، لكنه أوصانا بإلحاح أن لا نبدأ رحلتنا قبل الصباح ، ولذلك لم نتحرك قبل بزوغ الفجر ، والحقيقة إن هذه المرحلة كانت مرحلة خطرة للرحالة فريزر ، لأن الطريق بالنظر لوقوعه على الحدود بين الأكراد والعرب تماماً ، كان يتعرض للسلب والنهب من الفريقين معاً(110).

ويكمل الدكتور كمال مظهر في قراءاته لرحلة فريزر الهامة فيقول :" وعندما وصل فريزر نهايات جبل حمرين يسجل ملاحظة مهمة أخرى يقول نصها:" فكانت هذه تلال حمرين التي تعد فرعاً من جبل حمرين الذي يمتد من كردستان ، وهنا بان له في الأفق ، عباس خان دلي(111).

والى جانب ذلك يذكر مؤرخنا ما أسهم به فريزر قبل أربعة عشر سنة حين قدم (ريج) أثناء رحلته من بغداد إلى كردستان ، معلومات عامة عن الموضوع نفسه ، متتبعا رحلته منذ دخوله (قره تبه) في الساعة الواحدة إلا عشرين دقيقة من الرابع والعشرين من نيسان، وكذلك في طريقه من (قره تبه) إلى كفري التي دخلها في الساعة العاشرة إلا عشرين دقيقة صباح الخامس والعشرين من نيسان، مؤكدا أن فريزر لم يشر إلى وجود عربي واحد في مقابل وجود عدد من اليهود في تلك المنطقة(112).

---

(108) الشرقاط بلدة عراقية تقع جنوب الموصل بحوالي 35 كيلو متر ، للمزيد ينظر : العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي (تافرينييه) علق حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد 1944 ص 72.

(109) في الجزء الأول من الترجمة العربية لسليم طه التكريتي الذي طبع في بغداد بمساعدة المجمع العلمي العراقي بعنوان " رحلتي إلى العراق سنة 1866، ص 175 .

(110) رحلة فريزر إلى بغداد – في 1834.

(111) . C. J. Narrative of a residence in Kurdistan، Vol 15، pp 12- 15

112 major ، Wild life among the Kurds. London، CXll 1870 ,p .250

Fredrick Millingen Mesopotamia and Kurdistan in disguise ,pp 355- 358

163 E. B

وفي هذا السياق ، تحدث أيضا عن ضابط انكليزي ، هو الميجر (فردريك مللنجن)Mllngin Fredrik الذي عمل في الجيش العثماني وقام برحلة إلى كردستان سنة (1869) ، إذ يقول كمال: لقد درس (مللنجن) الضابط الانكليزي المنطقة بقعة بقعة وتابع كل شيء فيها "من أرضروم حتى قوتور على الحدود الإيرانية ونشر رحلته بعد عام في كتاب اختار له عنوان " حياة بدائية بين الكرد ، إذ يقول فيه:" أن النهاية الجنوبية لكردستان ، تحدد بجبال حمرين التي تتاخم سهول بغداد وأرض دجلة المنخفضة . وإن هذا الاحتكاك بين العرب والأكراد أدى إلى تشابه نمط حياة العرب ، وبالنسبة لكركوك ، فقد لاحظ أنها تخضع للأمير الكردي محمد باشا الراوندوزي ، والأمر الذي أشار إليه بعده رحالة انكليزي آخر هو الميجر سون ، الذي كتب في كتابه (رحلته المتنكرة إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان) والذي يحمل عنوان "إلى كركوك " وفي كل هذه الأماكن التي زارها أي في كركوك والتون كوبري ، لم يشاهد إلا عربياً واحداً، في حين أنه يتحدث بالكردية في كل مكان زاره، ويلتقي بالسكان الكرد والتركمان حيثما يذهب بحسب قول مؤرخنا كمال مظهر ، إذ يقوم هذا الرحالة بوصف سيطرة عشيرة الهماوند الكردية على كركوك والمنطقة بأسرها في الفصل الذي يليه عن القرى الكردية بين كركوك والتون كوبري وغيرها[113].

ويتواصل مؤرخنا في عرض روايات الرحالة الأجانب بشأن كركوك قائلاً : وبعد أن يغادر الميجر سون ، ألتون كوبري على الكلك، متجهاً صوب الفتحة وبغداد ، وبعد أن يقطع مسافة باتجاه الجنوب الغربي من ألتون كوبري يسجل ملاحظات دقيقة بخصوص الواقع الأثني للمنطقة منتقيا ما نصه ": وقبل ساعة من غروب الشمس أرسينا في قرية صغيرة كردية، وتناولنا على شاطئ صخري غذائنا البسيط الذي كان يتألف من الخبز والفاكهة، واضطجعنا للنوم على الحصى ، حتى تباشير الصباح، ثم سافرنا قدماً على مدى ثلاثة أيام بين التلال المنخفضة في الزاب الأسفل الأخاذ وهو يخترق أرضاً تكاد تكون مهجورة ، لقد تجلى لنا الآن أننا على كل حال، جعلنا الكرد والتركمان وراءنا، ذلك أننا لم نر بعد ذلك إلا العرب وعدداً قليلاً من الكرد والتركمان[114]، فجاء كتابه " كركوك وتوابعها، حكم التاريخ والضمير ، دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق " .

لقد حظي الجزء الأول من هذا الكتاب ، باهتمام واسع من جميع الأطراف ، ويبرر مؤرخنا هذا الاهتمام ، لأنه أشار إلى حقائق انطوت على مغزى عميق بشأن تلك المدينة وجذورها التاريخية . ووجد ان سرعة نفاذ نسخ الكتاب ، دليل على أهميته . فعدد المطبوع من الكتاب بلغ عشرة الآلف نسخة نفد جميعها في غضون أيامٍ معدودات، وزع شخص الأستاذ جلال الطالباني أولى نسخه بيده على أعضاء مجلس الحكم في حينه ، وقد علم مؤرخنا بذلك من خلال الدكتور محمود عثمان. أما الأستاذ مسعود البرزاني فقد أبلغه شخصياً ، وبحضور الأستاذ فؤاد عارف ، أنه يعد الكتاب أفضل هدية يقدمها لضيوفه الأجانب من دبلوماسيين وصحفيين .

وفي هذا السياق من حديثه عن أهمية كتابه ، يذكر الدكتور كمال أن الصحافة العراقية والعربية منها والكردية ، هي الأخرى قوّمتْ الكتاب عالياً ، فضلاً عن كل ذلك تُرجم إلى اللغة الانكليزية ، وفوجئ بترجمته إلى اللغة التركية في تركيا نفسها، مما كان مدعاة غِبطته دون حدود، مع العلم لم تطلب دار النشر التركية موافقة الدكتور بصدد نشر الكتاب. وأشار أيضا إلى نشر صحيفة "بدرخان" الترجمة الكردية للكتاب على شكل حلقاتٍ تُجمَع بدورها في كتابٍ لاحقاً.

وواضح أن الدكتور فوجئ حين كان في لندن لغرض العلاج ، بأن جميع المثقّفين الكرد سمعوا بصدور كتاب "كركوك وتوابعها" دون أنْ يطلعوا عليه، مما حزٌ في نفسه كثيراً ، إذ أحس بثقل ما تقع عليه من مسؤولية كبيرة ومن وزرٍ يقع على عاتقه دون ريب ، لأنه لم

---

[113] **Millingen Mesopotamia and Kurdistan in disguise ,pp 355- 358**

[114] **المصدر نفسه في الترجمة العربية ص- 124 -1231**

يستَغِلْ فرصة إمكانية وضع مؤلفاته على موقعٍ خاصٍ به على الانترنت . إلا انه يستدرك ليقول : أن ذلك لا يعفي القارئ الحصيف البته من مسؤوليته، مؤكداً انه في خريف عمره ، وهو يبذلُ المستحيل من أجلِ الحصولِ على كلِ ما يهم قضية شعبه ، متمنياً على الشباب الكردي المتحمس في الغربةِ ممن التقاهم ، أن لا يديروا بوجوههم عما يعنيهم .

لقد كشف مؤرخنا في مقدمة كتابه عن تقديره لأهمية البحث في تاريخ المدن ، وفي تاريخ مدينة رئيسية مثل كركوك التي استشف ما أفرزته التقلبات السياسية من غمط لحقوق أهلها . فوجدناه لا يستهدف استثارة ذكريات محببة ، أو إشباع فضول أبناء هذا الجيل بما كانت عليهم مدينتهم في زمن ماض ، وإنما لأن هذه المدينة" تمثل البؤرة التي ترتكز فيها معظم النشاطات الإنسانية لحضارة ما ، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية ، أم اجتماعية أم ثقافية"، فهو يقول " من الثابت تاريخيا أن مدينة كركوك قد تم بناؤها من قبل اللوبيين أو الخوريين ، وهما شعبان أديا دوراً أساسيا في تكون الشعب الكردي الحالي . وورد اسم اللوبيين في الكتابات القديمة التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد[115] ".

ويبدو أن تصديه لمثل هذا الموضوع جاء إدراكا منه لنوع الوعي العام الذي تشعر به مجموعة الشرائح والفئات الاجتماعية بمتانة ما يصل بينها من روابط ، وهو وعي مركب يتسامى على الروابط القبلية أو الأسرية أو حتى الروابط الاقتصادية المباشرة ، يمكن للمرء تلمسه من خلال الإحساس العميق بقيمة ما تعنيه المدينة في وجدان سكانها وبما يمكن أن نسميه (روح المدينة) أي الانتماء إلى مجموعة القيم التي تمثلها هذه المدينة" بمعنى الإحساس بروابط تصل بين سكان مدن عدة في الإقليم الواحد ، وهو ما كان يعني وعياً وطنياً وقومياً"، مؤكداً وبإصرار مؤرخ واعٍ، هضم التاريخ واطلع على مجمل أحداثه ، انه لا يمكن لأية مجموعة بشرية خارج نطاق المدينة أن تؤسس بديلاً لتلك الروح مهما صفت دماؤها ، وخلصت أعراقها ، لأنها تعجز عن بلوغ مستوى إدراك ذلك الوعي المركب .

وفي الـ (نبذة التاريخية) لكتابه يقدم مادة تاريخية مكثفة عن تأريخ الشعب الكردي[116]. فيما يرى في علاقة الكردوخيين بالكورتيين بأنها من الأمور التي يصعب الحكم عليها منذ القدم كاشفا عن الأصول الأثينية لهذا الشعب العريق الذي تكون نتيجة انصهار واندماج عدد من الأقوام مع بعضها البعض ، وهم:اللولوبيون و الخوريون والسوباريون والكوتيون والماديون ، أو الميديون . ويبدو أن هذه الرؤية ألزمته ببحث الجذور التاريخية لنشأة المدينة ، ليجد أن اللولوبيين أو الخوريين ـ كما اشرنا ـ يعدان المكون الرئيسي لكركوك التاريخية ، مستنتجاً ذلك من خلو الكتابات السومرية والأكدية من ذكر اسم كركوك ضمن أسماء المدن التي قام ملوك سومر وأكد بتشييدها . ولترصين ما يذهب إليه ، ذكر أن كركوك كانت تعرف بأسمين ـ ارابخا

---

[115] كمال مظهر أحمد ، كركوك وتوابعها، حكم التاريخ والضمير ، دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق ، ج1 ، مطبوعات وزارة الثقافة لحكومة إقليم كردستان ، دت ، ص5 .

[116] بعض المؤرخين يُرجع أصل الكرد الى الهوريين سكان مملكة ميتانى سنة 1500 قبل الميلاد. ومنهم من يرى أن اغلب الأكراد من الميدين، وحتى بعض المؤرخين الأكراد ، يركزون على هذه النظرية بدون تقديم الدليل والإثبات على صحتها، إذ كانوا يرون أن عصرهم الذهبي بدأ فى القرن السابع قبل الميلاد فى مملكة الميديين، فهذه النظرية إذن ضعيفة وحتى ربما مختلقة . ومع توسع الدراسات حول تاريخ الكرد بدأت تنعدم تدريجيا نظرية إرجاع أصل الكرد الى الميديين. ويقول برنارد لويس بهذا الصدد (لا يزال تحديد أصل الأكراد موضع خلاف تاريخي، رغم ادعاء معظم اكاديمى الكرد على الأصل الميدى، إلا ان هذا الادعاء يلاقى صعوبة فى الإثبات) والبعض الآخر يرجع أصولهم الى الاسكيتيين. فيما أشار بعض المؤرخين الى أن أصلهم مشتق من الكردوخيين، كما جاء ذلك فى كتاب (الأكراد ملاحظات وانطباعات) للباحث مينورسكى الصادر عام 1915. وقد تغير هذا الاعتقاد فى الحقبة الأخيرة ، لان الكردوخيين ليسوا من أصل آرى، بل يعدون الكورتيين الذين يعيشون فى القسم الشرقى من بلاد الكردوخيين، جبال زاكوروس، هم من اجداد الكرد (مينورسكى). اما المؤرخ ماكدويل فأنه يرفض هذا الاستنتاج ويقول (إن اصطلاح كورتى كان يطلق على المرتزقة البارثيين والسلوسيين الساكنين فى جبال زاكاروس، وانه ليس أكيدا إذا كانت تعنى لغويا اسما لعرق).

واليلاني - أي مدينة الآلهة[117]وأشار في ذات السياق الى أن كركوك كانت تعرف باسم (نوزي) ، وهو الاسم الذي أطلقه عليها الخوريون . وزيادة في ذلك أكد أن اسم " طوزخورماتو " مشتق من كلمتي خور : أي الخوريين وماتو التي تعني المدينة في اللغة الأكدية ، ليكون معناها : مدينة الخوريين . ووجد أن جماعة أخرى من شعب زاكروس ، كانوا قد أدوا نفس دور اللولوبيين والخوريين والسوباريين ، وهم الكوتيين في تكوين الشعب الكردي لاحقاً ، إذ كانوا يعيشون في الألف الثالث قبل الميلاد في المنطقة الواقعة جنوب سهل شهرزور ، وقد اتخذوا من كركوك مركزاً لهم ، وعرفت المدينة وقتذاك باسم ارابخاِ (Arapkha) .

وفي سياق كتابه هذا ، تلمسنا انه يروم التأكيد على أحقية الكرد في التمسك بمدينتهم إلى جانب القوميات الأخرى ولاسيما العرب ، إذ أكد أن الظرف الذي جمع بين الطرفين ، هو ظرف روحي لا يمكن الفكاك عنه أو التنصل عن الالتزام به ، أي أن دخول الكرد إلى حظيرة الإسلام قد مثل ، الحل الأمثل لخروجهم من أمر لا يفيدهم بشيء ، لينضموا إلى دائرة العدالة الاجتماعية التي كانوا يفتقرون لها . ويتابع بعد ذلك ما مر به الشعب الكردي من مراحل حضارية وصراعات وحروب مروراً بدخولهم الإسلام ليقرر في جملةٍ ذات مغزى كبير:" أن احتفاظ الكرد بخصائصهم القومية وبلغتهم في ظل الإسلام وحضارته على الرغم من تحولهم إلى عنصر فاعل بالنسبة لكليهما ، لهو درس بليغ كان يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار "[118]. وهذا الخطاب بما يحويه من مضمون، بمثابة رسالة يوجهها المؤلف إلى أنظمة الحكم المعنية بأمور شعوبها ، بضرورة أن يعووا التاريخ بتمعن ، وأن يلتزموا بروح الإسلام الذي لا يجيز لأحد أن يتجاوز على حقوق جماعة دون أخرى في البلد الواحد . ويؤكد على أن المظاهر الاجتماعية والعقيدية لمدينة كركوك وعلى مر العصور ، وتفاعل فئات أهلها مع بعضهم البعض ، دليل على انتمائها لهذا البلد .

وضمن المنهجية العلمية التي اتبعها المؤلف لتوكيد الحقيقة التاريخية المعروفة التي تُظهر بجلاء أن الأكراد شعب أصيل في منطقته وليس طارئا عليها ، أورد جملة من الأدلة التاريخية والأثرية ، إلى جانب أوثق المصادر في اللغات العربية والإنجليزية والروسية فضلا عن الوثائق الرسمية . فمثلا ينقل عن (الدليل الرسمي العراقي لسنة1936) الذي صدر في عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية النص الآتي :" الماديون هم من الشعب الآري ... و كانت النتيجة أن انفرد الكلدان بالسيادة في الجنوب والماديون في الشمال فأصبح في العراق شعبان يسودانه الكلدان وهم من الشعب السامي والماديون في الشمال "[119]. ولعل هذا النص المأخوذ من وثيقة رسمية عراقية صدرت في عهد وزارة محسوبة على الاتجاه القومي في العراق الحديث ، يمثل نبوءه تاريخية بما سيؤول إليه الحال في البلاد بعد سبعين عاما من صدور الدليل العراقي مع ملاحظة أهمية إشراك بقية المكونات الأخرى للشعب العراقي مثل التركمان و الكلدو آشوريون في نظام الحكم المأمول .

وحين ينتقل المؤلف للحديث عن كركوك وتوابعها في كتب الرحالة ، وجدناه يسهب في القول عن مكونات هذه المدينة ويوضح الجذور التاريخية لتواجدها فينقل عن الرحالة الهولندي (ماليبارد) Malebared النص الآتي :" ويعيش هنا على الحدود الفاصلة بين الشمال والجنوب العرب والأكراد بسلام ووئام متجاورين " ثم يعقب المؤلف على هذه الملاحظة الهامة قائلا " إن مثل هذه العلاقات الطيبة بين العرب والكرد التي أشار إليها المستشرق الهولندي "ماليبارد " ومراقبون آخرون كانت هي التي تسود الشعبين منذ أن دخل العرب كركوك و

---

[117] كمال ، المصدر نفسه ، ص6 .

[118] المصدر نفسه :ص 16.

[119] الجمهورية العراقية ، الدليل الرسمي العراقي لسنة 1936 ، بغداد ،1935 ، ص 13 .

توابعها "[120]، ويضيف" أن الوجود العربي المتمركز في كركوك وتوابعها حديث تاريخيا على نمطين : الأول عشيري ، وهو الأساس ، والثاني مدني وظيفي كان أساسه قطاع العمال حتى ثورة الرابع عشر من تموز (1958) " و يرجع المؤلف النمط الأول العشيري " إلى تحرك عشيري كبير حدث في وسط العراق والى الشمال من بغداد في أواخر القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر ، نجم عن هجرة قبيلة شمر المعروفة من غرب الفرات إلى شرقيه بتأثير ضغط عشيرة عنزة عليها (أي على قبيلة شمر) وبتحريض من الحكومة العثمانية "[121] وقد تبع ذلك انتقال عشيرة العبيد للسكن في غرب كركوك و هو أول وجود ديموغرافي يعتد به للعرب كما يقول مؤرخنا . وهذا يعني أن الوجود العربي في كركوك وتوابعها حديث نسبيا ، كما يشير إلى أن الكرد لم يتخذوا موقفا سلبيا من هذا التغيير وذلك لانتفاء مقاصد التغيير العرقي عنه . ولعل أول إشارة إلى نوايا التغيير العرقي لمنطقة كركوك وتوابعها قد وردت في تقرير رسمي في العام (1929) الذي تحدث عن العرب من جبور وعبيد، وهذا يتضح من خلال قوله المنقول بتوثيق دقيق عن دار الكتب والوثائق الوطنية: إن هؤلاء العرب بعيدون بدرجة أنهم لا يمكن أن يعبأ بهم من الوجهة السياسية في التأثير على رأي اللواء . وفي لواء كركوك ، كما في لواء أربيل ، لا يوجد عنصر راق من العرب ينتمي الى المدينة لكي يمكن الاستناد إليه في تعريب اللواء". ولنا أن نستنتج منه أن أولى محاولات التعريب أو التغيير العرقي القصدية قد ظهرت مع ظهور الدولة العراقية الحديثة ومع اكتشاف النفط في كركوك . أما ما سبق ذلك من انتقال عشيري فهو لا ينطوي على أية نوايا تغيير عرقية . وإزاء هذا التوجه الخطير يقول كمال " وفي الواقع لم تجر محاولات لتعريب كركوك وتوابعها طوال العهد الملكي ، إلا في حدود ضيقة لم يكن من شأنها أن تؤثر على واقعها القومي"[122].

ولغرض ترصين ما يذهب إليه ، وبعد هذه الإيماءة لعراقة هذه المدينة ، يعرج إلى البحث في التسمية التي رأى أن البلدانيين لم يشيروا إلى اسمها الحالي ، إنما ذكروها باسم " كرخيني ، وهو استمرار لتسميتها في النصوص القديمة[123].

وحول موقع كركوك ضمن إقليم كوردستان، يذكر الدكتور كمال مظهر أحمد ذلك بقوله :"سجل أهم مصدرين عثمانيين كلاسيكيين هذه الحقائق بصورة واضحة لا لبس فيها - يقصد موقع كركوك ضمن كوردستان - المصدر الأول هو كتاب "سياحتنامة" للرحال التركي أوليا جلبي[124] الذي زار المنطقة بنفسه ودرسها عن كثب في القرن السابع عشر، أي بعد مرور قرن على دخولها في حوزة العثمانيين . وقد ورد في الصفحتين (74 - 75) من الجزء الرابع من كتابه "سياحتنامه" أن تسع ولايات في عهده كانت تؤلف كردستان، وهي أرضروم، ووان، وهكاري - حكاري - وديار بكر، وجزيرة - جزيرة ابن عمر"، والعمادية، والموصل وشهرزور (وكانت كركوك تدخل ضمنها)، وأردلان، وقال عنها: "إن المرء يحتاج إلى سبعة عشر يوماً لقطعها" .

ووجد أن الإشارة إلى أهم المناطق المحيطة بكركوك ، يمثل ترصين لوجودها الحضاري وعمقها التاريخي ، ولاسيما تلك المناطق المرتبطة معها بعلاقات اجتماعية وديموغرافية وأثنيه ، كما هو الحال مع (داقوق) [125]و(شهرزور) [126]. وأشار إلى جانب ذلك ،

---

[120] كمال ، كركوك ، ص69 .

[121] المصدر نفسه (ص71) .

[122] المصدر نفسه ، ص79 .

[123] كمال ، المصدر السابق ، ص6 .

[124] محمد بن ظلي درويش المعروف بأوليا جلبي ، وهو من مواليد آذار 1611 ، وتختلف المصادر في تحديد سنة وفاته بين 1679 و1683 . قام برحلات طويلة إلى ممتلكات الدولة العثمانية وغيرها ، وسجل ملاحظات دقيقة عنها ، نشرت بعشرة أجزاء في استانبول في غضون الفترة الممتدة بين عامي 1896و1938 .

[125] 'داقوق (طاوغ) باللغة كوردية (طاووق) باللغة التركية القديمة، بلدة عراقية تتبع إدارياً لمحافظة كركوك وتقع جنوب مدينة كركوك. البلدة تقطنها غالبية كوردية فيه وبعض من تركمان وعرب وغالبية كوردية

إلى جملة ما شهدته هذه المدينة من تحولات ومن تبعية إدارية ، فتارة تكون تابعة إلى داقوق وأخرى إلى اربيل . ولكي يستكمل تأكيد أسبقية الوجود الكردي في كركوك ارتأى بيان مراحل انضمام هذه المدينة بوصفها جزءاً من المنطقة الشمالية إلى حظيرة الدولة العباسية ، إذ يقول " إن كردستان الجنوبية ، بما فيها كركوك وتوابعها ، أصبحت تؤلف ولايتين من ولايات العراق العشر ، حين أشرف العصر العباسي الأخير على نهايته".
وتواصلاً مع هذا التعريف بتاريخية هذه المدينة ، تطرق إلى ما أصابها من متغيرات ، من جراء السيطرة المغولية على العراق ، مؤكداً " أن اسم كركوك بصيغته الحالية ظهر ولأول مرة" في هذا العهد [127].
أما عن كركوك إبان العهد العثماني ، فقد تحدث وبأسلوب إيحائي مصوراً التبدل السياسي الذي شهدته هذه المدينة في هذا العهد والمتمثل ببروز الكرد ، قوة لها شأنها في المنطقة أدت أدوارا خطيرة في تقرير المصير . ويبدو أن هذا الأمر أوحى للمؤلف بضرورة الإفصاح عن جملة الأساليب التي اتبعها بنو عثمان للهيمنة واستقطاب المؤثرين من الكرد إلى جانبهم ،معوّلاً في توضيح هذا المنحى من سياسة العثمانيين على إناطة إتمام هذا الأمر إلى إدريس البدليسي[128]، مستنداً في ذلك على ما أورده " أرشاك سافرستيان " في كتابه " الكرد وكردستان " ليسهب بعد ذلك ، في بيان وضع المنطقة الشمالية ومنها كركوك في هذا العهد ، مؤكداً أن المدينة لم تشهد أي تغيير ملحوظ حينها ، لاسيما حين كانت تحت إدارة شهرزور ، إذ تطرق إلى ما شهدته إبان عهد مدحت باشا والي بغداد[129]. وقد أشار المؤلف إلى المصادر التي تضمنت هذا الموضوع ، بما فيها كتاب سياحتنامه لأوليا جلبي .
وأشار إلى واقع كركوك الاقتصادي ، إذ وجد أن مستوى هذا الواقع بقي متأرجحاً ، بسبب عدم ارتباط هذه المدينة بطرق مواصلات ببغداد ، ولم يغفل الإشارة إلى فاعلية تجارة الملح والمنتجات الزراعية فيها . ووجدناه يعول على ما ذكره الرحالة الأجانب بخصوص مدينة

متمركز في قرى حول داقوق وقسم كبير في مركز (قضاء).وهي تبعد حوالي 38 كيلومتر جنوب مدينة كركوك وقضاء مشهور بدار عباده يوجد فيه مراقد الأئمة المسلمين مثل مرقد الإمام زين العابدين (ع) ومرقد الإمام هادي وجابر ومحمد بن باقر وخضر الياس .

(126) شهرزور (sharazur) أو حلبجة الجديدة : بلدة كردية عراقية تابعة لمحافظة السليمانية وهى تبعد 35 كم جنوب شرق مركز المحافظة السليمانية تبلغ عدد سكانها (70000) نسمة.و تقع على ارتفاع (1770) قدم عن سطح البحر على مسار خط الطول والعرض 45° × 35° موقعها الجغرافى تكون في وسط سهل شارزوور على اراضى الزراعية مقاطعة 4 زراين كانى رش واسمها في خريطة كوكل ارث قازاو Qazaw من شمالها ناحية تانجرو ومن شرقها قضاء شهرزور ومن جنوبها قضاء دربنديخان. وتاريخ تأسيسها عام 1989 م عندما نزح اهالى حلبجة من جراء الحرب الإيرانية العراقية ومن الهجوم الايرانى على المدينة عام 1988.

[127] المصدر والصفحة نفسيهما .

(128) بعد واقعة جالديران سنة 1514م الشهيرة والتي قسمت أراضي كوردستان ولأول مرة بين إمبراطوريتين الصفوية في إيران والعثمانية في أستانة(اسطنبول) ودخول القوات العثمانية إلى مدينة تبريز عاصمة الدولة الصفوية وجرح الشاه إسماعيل الصفوي(1487م -1524م) في المعركة وهروبه من ساحة المعركة ، وبعد السيطرة على المقاطعات الخاضعة للشاه ، فكر السلطان سليم ببسط سيطرته على قلاع الكورد، فوقع اختياره على الشيخ إدريس البدليسي لقيامه بهذه المهمة الصعبة والشاقة لاعتبارات عدة ، للمزيد ينظر : محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن ، ترجمة محمد علي عوني الجزء الأول ، ط2، بغداد، د.ت ، ص165 ؛ سيار كوكب الجميل ، دراسات في السيطرة العثمانية على الموصل وإقليم الجزيرة سنة 1516م وبدايات الصراع العثماني - الإيراني(الصفوي) في عهد السلطان سليم الأول ، بين النهرين (مجلة) السنة الثامنة، عدد(31)، الموصل ، 1980 ، ص 327 .

[129]يعد مدحت باشا من أشهر الشخصيات في تاريخ الدولة العثمانية إذ تنقل في مناصب كثيرة من والي بغداد إلى وزير للعدل إلى الصدر الأعظم إلى والي دمشق،و ربما لم تجتمع النخب العربية على تمجيد شخصية قدر مدحت باشا سواء بالكتابة التاريخية أم الفنية ، ويبدو أن السبب في ذلك أنه حاول القيام بإصلاحات عميقة على الطريقة الغربية في الدولة العثمانية .

كركوك وتوابعها . إيمانا منه بضرورة تنويع المصادر ، ولاسيما المشاهدات التي من شأنها رفد البحث بمعلومات قيمة ، فاستشهد بما دونه الدكتور (ليونارد راولف) والرحالة الفرنسي (تافرينييه وج.س بكينغهام) و(فريزر) وغيرهم .

والى جانب ذلك ، وجدناه يبحث في العنصر الآخر المكون للمدينة وهم العرب ، فتطرق إلى ذكر أهم من سكن المدينة من العشائر ، بما فيها عشائر العبيد وشمر والجبور والنعيم والبيات ، مؤكداً أن الأخيرة قد حصل اختلاف بين المعنيين بشأن أصولها ، حين أكد بعض المثقفين والمعنيين بدراسة العشائر ، أنها عربية الأصل ، في حين أشارت مصادر غيرها ،أن أصولها تعود إلى خراسان ، وقد انتقلوا منها مع السلاجقة إلى العراق متخذيه موطناً لهم ، مستعيناً بذلك على ما أورده " ادموندز " Edmonds في كتابه " Kurds"[130]، وكذا الحال بالنسبة إلى عباس العزاوي في كتابه"عشائر العراق"[131].

ورغبة في تأكيد إنتماء هذه المدينة إلى الكرد ، أشار إلى ما تضمنته إحصائيات سنة (1947 و1957) من إشارات إلى الأصول التاريخية لمكوناتها السكانية ، وما أفرزته من نتائج تؤكد أرجحية العنصر الكردي على غيرهم من العناصر المكونة للمدينة . مشيراً إلى أن أبرز المسائل الخلافية التي ما زالت تثير جدلا واسعا حول هوية كركوك القومية، هي مسألة أعداد السكان على توزيعهم الأثني الى كرد و تركمان وعرب . فإذا ما تم تجاوز ذلك التغيير الديموغرافي المتعمد بعد العام (1968) ، فأن الوثيقة الأهم التي يعتد بها في حسم هذه المسألة ، هي نتائج التعداد السكاني العام الذي أجري في العام (1957)، والذي يؤكد أن الكرد يشكلون الأغلبية من سكان كركوك وتوابعها ، وأن مجموعهم يساوي تقريبا مجموع العرب والتركمان معا[132].

ونلاحظ هنا أن كركوك وتوابعها كانت في العام (1957) ، مدينة متعددة الأعراق ، ومع ذلك لم تفقد طابعها الكردي . وتناول فضلاً عن ذلك وضع التركمان في المدينة وتوابعها ، بوصفهم عنصر أساسي وفاعل من مكونات المدينة وبناء المجتمع فيها . وقد أكد مؤرخنا على التواجد التدريجي للتركمان إبان العهدين السلجوقي والعثماني ، والذي أثر في حياة هذه المدينة ، لاسيما في عهد الاتحاديين وما أذكوه من روح القومية لدى التركمان في العراق ، وهذا الأمر لربما يبين الظروف التي أسست لشيوع الثقافة التركية في كركوك ، مؤكداً على ما عمدوا إليه من تأسيسهم للمدارس السلطانية ، فضلاً عن شيوع الصحافة باللغة التركية مما أضاف عاملاً آخر أسهم بشكل فاعل في جعل اللغة المتداولة ، هي اللغة التركية .

وتطرق أيضا إلى وضع هذه المدينة إبان عهد الاحتلال البريطاني للعراق ، بما في ذلك إجراءات السلطة البريطانية الإدارية والثقافية ، وما أثيرت من مسائل إزاء القضية الكردية في مؤتمر القاهرة ، والموقف الذي أبداه أهالي وساسة هذه المدينة من ترشيح الملك فيصل ، ليصل المؤلف في تناوله لهذا الموضوع ، الى أن البريطانيين حاولوا ولأسباب تتعلق بمصالحهم في المنطقة ، إبعاد كركوك وتوابعها عن الحركة القومية الكردية ، لا سيما عن حركات الشيخ محمود التي كانت كركوك وتوابعها ، تمثل أحد أهم أهدافها المركزية .

وفي هذا السياق ، أشار كمال إلى سيئات الاحتلال البريطاني ، لاسيما في تعامله مع أهالي كركوك وما اصطبغت به من تعالٍ وتجاوزات ، بخاصة حين تفاعلت مسألة الموصل وقدوم اللجنة الخاصة بهذه المسألة .

وتواصلا في سعيه لملمة التاريخ الكوردي ، أصدر مؤرخنا كتابه "انتفاضة عام 1925" ، وفيه حديث معمق عن تاريخية الحركة القومية الكردية في تركيا ، إذ تلمسنا في مقدمة كتابه أنه لا يرغب أن يفصل بين تاريخ الكرد في بلد،عن تاريخهم في بلد آخر ، لكون هذا الأمر - في تقديره - من شأنه أن يجعل من تاريخهم مفككاً . فاستعرض الظروف التي أدت إلى تفعيل

---

(130) كمال : المصدر نفسه : ص79
(131) المصدر نفسه : ص66
(132) المصدر نفسه : 70

دور الحركة الوطنية الكردية في تركيا ، من خلال إبرازه طبيعة الواقع الاجتماعي والاقتصادي لكردستان تركيا بعد الحرب العالمية الأولى (1914- 1918) ، وما عاناه هؤلاء من جور النظام ، وما أسهمت به الحركة الكمالية للحيلولة دون وحدة الشعب الكردي .

ومن الملفت للنظر أن الكرد في تركيا ، مع تيقنهم بعدم توافق توجهاتهم وما تحمله الحركة الكمالية ،إلا أنهم ساندوها فيما تذهب إليه من تحدٍ للسلطة وقتذاك . وهذه الفارقة التي تبدو للعيان واضحة وجلية ، يفهمها مؤرخنا من باب آخر ، إذ يرى أن هذا السلوك نابع من تقديرات صائبة للموقف السياسي الذي كان يسود المنطقة بما في ذلك الدور الفاعل للبرجوازية التركية وظروف انفصال كردستان الجنوبية عن الدولة العثمانية . ولم يترك رأيه إزاء الحركة الكمالية من باب توافق ولو جزئي مع الحركة الكردية ، إنما أشار إلى ما يجعل القارئ مدركاً ، للانفصال التام بين ما كان الكماليون يحملون من مفهوم ينادي بالثورة البورجوازية ، وبين الواقع الذي انتهوا إليه ، حين راحوا يضطهدون أي مبشر بهذا الفكر ، فضلاً عن إشارته إلى التداعيات في المستوى ألمعاشي للشعب ، في مقابل تنامي طبقة برجوازية وجدت لها ملاذاً آمناً في جسد السلطة الكمالية . وبهذه الإشارات يبدو أن كمال يبرر للشعب الكردي انتفاضته على النظام .

لقد عني مؤرخنا بتاريخ وتطور العلاقات المركبة بين القوى الاجتماعية ، وما يؤثر ذلك على مجمل الحياة السياسية والثقافية لبلد ما ، إذ أشار إلى دور الإقطاعيين ورؤساء العشائر في رفد الحركة الوطنية للكرد في تركيا ولاسيما حين أكد تأثر فلاحي الكرد بالشعور القومي المتنامي وقتذاك ، الى جانب تأثرهم بمجالس البدرخانيين والنقشبنديين وغيرهم مع تغلغل الفئات المثقفة في الريف[133]. وتناول أيضا ما أدته الطبقة العمالية من دور في الحركة الوطنية ، فضلاً عن إشارته إلى أهم الأسباب التي حالت دون قيادتهم لهذه الحركة .

وبعد هذه المقدمات التي أراد كمال أن يوضح من خلالها بجلاء علل هذه الانتفاضة ، عمد إلى بيان مفهومها واهم وقائعها وتأثيراتها الداخلية والخارجية ، فضلاً عن توضيح ملابسات فشلها ليجعل من بعد ذلك نفسه مدافعاً عن هذه الانتفاضة بالذود عن أحقية مكانها ناصعة البياض في التاريخ داحضاً ومفنداً ما يذهب إليه بعض المؤرخين والمثقفين ، بعدم وطنية هذه الانتفاضة كما هو الحال فيما أورده مؤرخون غربيون ، عرض لآرائهم من أمثال " فاسيليف Facelift"و" ارمسترونك Armstrong" والمؤرخ الألماني "داكوبرتف Dakoprtf " وغيرهم ، منتقداً هؤلاء على ما أوردوه من أراء بصدد هذه الانتفاضة معولاً في كثير من ردوده على ما يكنه من احترام لهذه الوثبة الوطنية ، دفعته على ما يبدو أن يثق بما حمله ربانها من مقاصد . واستند في جانب ليس بقليل في ما يذهب إليه على إدراكه أن الشعوب المضطهدة تمتلك شرعية الانتفاضة ضد مستعبديها ، وان هذه الحكومات ليس أمامها سوى تشويه الصورة البيضاء للثورات ضدها ، وقد كان نصيب هذه الانتفاضة على ما يبدو كثيراً ، مما جعلها تأفل سريعاً .

ومن مفيد القول أن نذكر أن تدهور صحة الدكتور كمال ، حالت دون انجاز دراسات أخرى ، من أهمها بقية أجزاء كتابه عن كركوك، وكتاب آخر وصفه بالجدلي عن عوامل انهيار الاتحاد السوفيتي، وهو موضوع ألقاه على شكل محاضرات عدة ، داخل العراق وخارجه.

في كتابه :الأكراد في الوثائق البريطانية السرية :

تواصلاً في عنايته بالتاريخ الكوردي ، ومحاولة لترصين ما سبق وأشار إليه من معلومات وإشارات ، وما عمد الى كتابته بهذا الشأن ، وبياناً لأهمية الوثيقة في إثبات صحة الروايات التاريخية ، وظف الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد قدراته البحثية في أرشيف وثائقي له كبير

---

[133] كمال ، انتفاضة سنة 1925 ، ص44

الصلة بتاريخ الكورد ، ليخرج بمحصلة أفصحت عن مؤلَف خطير في محتواه ، دقيق في رؤاه تناول تاريخ الكورد من وجهة نظر وثائقية في كتابه الذي يتحدث عن أهمية الوثائق السرية البريطانية ويصفها بالمصدر الأصيل النادر، متناولاً تاريخ الأرشيف الوطني البريطاني وأقسامه واهم محتوياته .

وفي هذا السياق شار الى تأثير أبرز المستفيدين من وثائق ذلك الأرشيف من المثقفين والباحثين الكرد ، وفي المقدمة منهم الراحل (وليد حمدي) الذي ألف في هذا الشأن كتاباً بعنوان" الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية – دراسة وثائقية تاريخية" المطبوع عام (1991) في لندن والذي أصبح منذ صدوره مصدرا مهما للباحثين في تاريخ الكرد المعاصر ومن غير الكرد أيضا . هذا الحديث سيكون في الباب الأول من الكتاب الجديد للدكتور كمال مظهر الذي يضم فصولاً تسعة ، تصدى فيها الى فترات وأحداث مهمة من تاريخ الشعب الكردي وثوراته وابرز قادته السياسيين ورموزه الوطنية . في حين جاء الباب الثاني من الكتاب بياناً لصورة "مستقبل الكرد أمام مؤتمر الصلح في باريس ونشاطات شريف باشا خندان وزملائه" بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) . أما الباب الثالث من الكتاب فتمحور حول "نبذة عن رحلة الميجر نويل في كردستان". حين عمد إلى التعريف بشخصية الميجر نويلاً ، فضلاً عن تعريفه بالضابط البريطاني (ادوارد شارلس نويلEdward Sharls Nweel ، المغامر والجريء الذي أحب الكرد وكردستان حبا كبيراً، وساعد الزعيم الكردي الشيخ محمود الحفيد كما قال عنه كمال . ويتناول المؤلف في الباب الرابع من كتابه "الكرد وكردستان في الوثائق السرية البريطانية "العديد من الشخصيات الكردية المعروفة عام (1919) في ضوء الوثائق البريطانية السرية .

أما الباب الخامس من الكتاب، فقد استعرض المؤلف فيه أحداث انتفاضة السادس من أيلول عام (1930) في السليمانية في ضوء الوثائق السرية البريطانية ، معرفاً بأسباب تلك الانتفاضة ونتائجها . في حين جاء باب كتابه السادس ، موضوعا يحمل عنوان "الظواهر الأساسية للمرحلة الجديدة من النضال التحرري الكردي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في ضوء الوثائق السرية البريطانية" مؤكدا أن تلك الوثائق أظهرت مدى متابعة نشاطات المنظمات السرية الكردية الجديدة التي ظهرت فاعلة على المسرح السياسي بما فيها مواقف نادرة بل وغير متوقعة اضطلع بها كرد سوريا الذين أولوا، حسب وثائق الخارجية البريطانية السرية، التحولات في جمهورية كردستان عام (1946) في مهاباد ، اهتماما كبيراً .

ولم يغفل كمال الحديث عما شهده العالم من وقائع وأحداث ، إذ أجملها في أبواب الكتاب اللاحقة معولاً عما وجده في تلك الوثائق التي سجلت وقائع الصراع الدولي المستفحل وقتذاك حين دشنت بداية ما وصفه رئيس الوزراء البريطاني المخضرم " ونستن تشرشل[134] Winston Tsurshel" عام (1946) بـ (الحرب الباردة) [(135)] التي قدر للكرد أن يكونوا أول ضحاياها حسب ما يذهب إليه الكاتب . ولأنه يعي خطورة ما تضمنته تلك الوثائق ومدرك بشكل لا يقبل الشك أنها كشفت عن أمور وخفايا لم تكن في الحساب ، من شأنها أن تغير من مسار التاريخ ، فقد توقع أن يثير كتابه هذا سجالات ونقاشات مكثفة في الأوساط الثقافية الكردية .

---

[134] ونستون ليونارد سبنسر تشرشل ، سياسي بريطاني شغل منصب رئيس وزراء المملكة المتحدة 1940 حتى 1945 ، ومرة أخرى 1951 حتى 1955.

[(135)] مصطلح استخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت توجد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (يو اس اس ار) وحلفائهم من الفترة في منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات. خلال هذه الفترة، ظهرت الندية بين القوتين العظيمتين خلال التحالفات العسكرية والدعاية وتطوير الأسلحة والتقدم الصناعي وتطوير التكنولوجيا والتسابق الفضائي. لقد اشتركت القوتين في إنفاق كبير على الدفاع العسكري والترسانات النووية وحروب غير مباشرة – باستخدام وسيط .

في تقديمه للكتب والمذكرات:-

وتماشياً مع ما يشكله اسم الدكتور كمال من أهمية وما يعنيه من علمية ، ولاسيما حين يقدم لكتاب ، فقد تزاحم الباحثين على أن تتصدر مؤلفاتهم مقدمات يكتبها الدكتور . فكانت تلك المقدمات العديدة التي كتبها لمؤلفات تتضمن في الغالب تصويراً مركّزاً لموضوعات مثلت مدار تلك الكتب ، أكثر منها مقدمات تقليدية تجامل المؤلف ، وتثني على كتابه . ففي تقديمه لكتاب عبد الرزاق النصيري (نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام 1932) أراد رسم صورة السعيد بوصفه من كبار الساسة في العراق إبان العهد الملكي ، حين أشار إلى انه جمع بين صفات قلَّ من اجتمعت فيه، فإنه كان متزمتاً في مواقفه ، غير مستعدٍ للتخلي عما آمن به ، لكنه - بالمقابل- كان مستعداً لولوج مئات الأبواب التي قد توصله إلى غايته ، فقد وائم في شخصيته بين المبدئية والمرونة على نحو فريد ، أكد أن خصومه وصفوه بالتطرف ، مع أنه كان لا يرى نفسه إلاّ معتدلاً ، ودعا إلى ضروب من الإصلاح، لو نفذ أكثرها لكانت ثورة ، ولكنه لم يعد نفسه ثورياً ، وكم كان واقعياً في آراءه وتطلعاته ، ولكنه كان يمتلك – مع ذلك- جرأة وحزم . أشار إلى أنه لم يتردد في قبول مناصب هامة في الدولة ، ولكنه خرج منها دون أن يلتفت إلى الوراء ، فناء بحمل ثقيل كلفه حياته ، إذ أثبت بذلك إمكان أن يكون المناضل الوطني سياسياً ، وان لم يحز على رضا الجميع فالسياسة ليست بالضرورة ، حكر على محترفيها الذين كانوا يدعون أنهم وحدهم من يعرف(لعبتها)".

وفي تقديمه لكتاب (سياسة إيران الخارجية في عهد احمد شاه) لأسعد محمد زيدان الجواري ، بدأ بوصف البيئة السياسية لإيران ، مستوحياً جل التفاعلات السياسية من التأثر بالوضع السياسي الذي أوجده احمد شاه ، ثم تحول مفاجئ ليقرر في مثل هذه البيئة ، أن الشاه كان محوراً لتلك التفاعلات وهي حالة تسير في سياق ذلك العهد من ارتباط القاعدة بالهرم في شتى ميادين الحياة السياسية والاقتصادية .

وفي تقديمه لكتاب الدكتور نضر علي أمين الشريف " محمد فهمي سعيد ، الدور العسكري والسياسي في تاريخ العراق المعاصر " ، حاول أن يرسم صورة جلية لقصة شهيد حمل اسم الوطن ، فأثنى على ما استرخصه الشهيد من غالي الأشياء ، وأشار إلى ما اتصف به من سجايا حملته ليكون أهلا لأن يحظى بتكريم التاريخ له . وقال عنه بعد أن قرأ الكثير عما قيل فيه : فقد بدا لي هكذا في ما قرأته من وثائق ومذكرات وشهود عيان ومصادر ومراجع أخرى ، وفي ثنايا أقوال من عاصروه أو عملوا وعاشوا معه ، أن أحدا لم يضاهيه إلا أخوه محمود سلمان ، مما جعلهما قلباً وعقلاً وتصوراً ، بل وحتى مصيراً واحداً في جسدين . ورأى أن هذه الشخصية عَبّرت ، من خلال سلوكها السياسي ، عن منعطف مهم في تاريخ العراق المعاصر ، منعطف عسير اختزن في دواخله كل تناقضات الماضي القريب ، وعن صراعات النزعات القطرية المنغلقة ، مع الحركة القومية العربية .

وصدر عن دار "آراس" للطباعة والنشر، بمدينة أربيل، كتاب "مذكرات فؤاد عارف" من تقديم وتعليق الدكتور كمال مظهر الذي قال : في بداية هذه المذكرات فأن الشك لا يخامر أحدهم لحظة في صدق نوايا فؤاد عارف، وفيها تكمن سر جاذبيته الغريبة التي تشدك إلى مجلسه حتى اليوم من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، بين طاعن في السن وشاب في مقتبل العمر، بين متدين وعلماني، لتختلط فيه الأجناس والأذواق والآراء كما تختلط أزاهير جنينة غناء فؤاد عارف،الذي ولد في مدينة العمارة في العام (1913) من أبوين كرديين ، أنتقل بعد وفاة والده إلى منزل خاله مع والدته، فعاش في كنفه وهو ما يزال في شهوره السبعة، لتنتقل الأسرة فيما بعد الى مدينة السليمانية قبل سقوط بغداد بيد الانكليز في آذار العام (1917)، ويتم قبول فؤاد عارف في الكلية العسكرية في العام (1928) لتبدأ زمالة وطيدة، ومن ثم رفقة طويلة بينه

وبين الملك غازي الذي هو الآخر كان طالبا في نفس الكلية، من ضمن سبعين طالباً من عموم العراق[136] .

ويتواصل في حديثه عن عارف وعن دوره السياسي بقوله : يزامل عارف الأمير غازي المرشح لعرش العراق من بعد أبيه، ثم يصبح مرافقاً شخصياً للملك غازي في جميع جولاته وتفقداته، لتأتِ مرحلة ما بعد الملك، وبزوغ حركة مايس في العام (1941) ليصبح لاحقاً آمر فوج في معسكر المنصور برتبة عقيد، وتبزغ فجر ثورة 14 تموز، عندما يكون على علاقة جيدة مع الضباط الأحرار، ومن ثم يتفرغ مؤقتاً لمتصرفية كربلاء، ويأتي دوره الهام في تخفيف الخصام بين عبد الكريم قاسم[137] وعبد السلام عارف وينتقل فيما بعد، إلى شغل كرسي وزارة الدولة لشؤون الأوقاف، ويشترك في العام (1967) في الوفد العراقي المتوجه إلى مصر للتباحث مع جمال عبد الناصر بشأن الحرب مع إسرائيل والدور الممكن للعراق عند تأزم الوضع .

وبعد هذا الاستعراض المفيد لمفاصل الكتاب يتحدث كمال عن فؤاد عارف بكل شفافية ووضوح حول مواقفه من الأحدث التي مرت بها البلاد، وبإسهابٍ واضحٍ يعرج على بيان بدايات علاقته مع الزعيم الكردي الراحل (ملا مصطفى البارزاني) في العام (1930) عندما كان فؤاد عارف طالباً في الكلية العسكرية . أما لقاءه الثاني مع البارزاني، فكان في العام (1939) حين كان عارف آمر فوج والبارزاني منفياً في السليمانية ليفترقا ويلتقيا فيما بعد في العام (1959) أوان عودة الثاني من روسيا إلى ربوع العراق إذ استقبله الكرد والعرب معاً بحفاوة بالغة . ويؤكد كمال على موقف عارف حيال توقيع اتفاقية الجزائر المشؤومة في العام (1975) ، وعلى دوره الإيجابي والصلد في فضح هذه الاتفاقية الموقوتة،من خلال إبراقه رسالة إلى الرئيس العراقي السابق " صدام حسين" يحذره من مغبة هذه الاتفاقية المتهورة وما ستلحقه بالكرد من ويلات وفجائع وآلام . والرسالة طبعاً ذات مغزى تاريخي إذ يقول فؤاد عارف في متن رسالته تلك : "حادثت الكثير من الأخوان هنا، واستطلعت آراءهم التي لها وزن كبير ويزيدها وزناً دعمكم لي في جهودي كما عودتموني دائماً، كما يزيدها رغبة الأخوان هنا في أن لا يكونوا سبباً في فرض شروط قاسية على العراق وسلخ جزء من أرضه، فضلا عن الرغبة في عدم استمرار المواجهة واحتدامها بين الشعبين باستمرار القتال، إذ أن أحداث الأيام لا تترك مجالاً ، إلا لاستمرار هذا القتال الدامي لسنين أخرى، فلا طريق للأكراد غير هذا الطريق المؤسف، أني أرى أن هناك مسألتين تخلقان كراهية دائمة بين الشعبين، هما قبول الاتفاقية، واستمرار القتال وكلاهما مرتبطان بالآخر ويمكن حلهما لو بذلتم جهدكم ." ويؤكد عارف بأن صدام لو أبدى مرونة مناسبة، لتوصل إلى نتيجة سريعة وشريفة يحفظ بها كرامة العراق والشعب العراقي، وقد ناشده لبذل جهوده للتملص من الاتفاقية.. ولكن لا من مجيب .

ويؤكد كمال ، انه راجع تلك المذكرات مراجعة نهائية وسريعة قبل طباعتها حين وقع الاختيار عليه مع الأستاذ الجليل فؤاد عارف لمراجعتها ، وإزاء ذلك يقول:" لقد دخلت في تلك العوالم الكاملة من الأحداث الساخنة التي حدثت في عموم العراق من شماله إلى جنوبه، عوالم سرية

---

(136) انظر صفحة مقدمة مذكرات عارف .

(137) علمت من الدكتور عبد الله سلوم السامرائي حين كنت طالبا في المرحلة الثالثة في قسم التاريخ / كلية التربية / ابن رشد انه كان عضو قيادة حزب البعث عندما أطاح هذا الحزب بحكومة قاسم ، وذكر أن مجموعة من البعثيين قاموا بعد اغتيال قاسم ودفنه ، بنبشه من قبره وإلقاؤه في نهر دجلة . وبعد ان تعسر علينا تبرير هذا السلوك من قبل البعثيين ، وقفنا على حقيقة الأمر حين طالعنا كتاب يتحدث عن ذكريات عبد اللطيف الشواف بعنوان " عبد الكريم قاسم وعراقيون آخرون.. ذكريات وانطباعات ، المنشور بدار الوراق في لندن سنة 2004، ص132، إذ أشار الكاتب أن الكثير من الفلاحين والفقراء والمعوزين من أبناء الجنوب والوسط ، قد اعتادوا التوافد على قبر عبد الكريم قاسم مباشرة بعد مقتله والتعلق به إلى درجة القداسة ، الأمر الذي أثار حفيظة البعثيين فقرروا التخلص منه بإلقاء جثته في نهر دجلة بعد ربطها بحجر .

وواضحة فيها ثلاثة أيام متتالية من الساعة العاشرة صباحاً إلى الثانية عشرة ظهراً، فكأني كنت أراجع التاريخ بحذافيره وهوامشه، وبطولاته وهزائمه، أدخل إلى أجواء الضباب الذي خيم على الكرد، والصورة المشوهة والمصححة للكرد، وعوالم المواقف والكلام المنطوق لهذا السياسي، سواءً أكان في السلطة أو خارجها، فقد أطلعت، من خلال تلك المراجعة، على أرشيف كامل من التاريخ والصور الذي لم يدون بعد ولم يتم مشاهدتها بعد، أو لم يتم إيجاد من يدونه ويخرجه إلى النور [138].

منهجه في كتابة التاريخ

ليست هناك مناهج متنوعة في دراسة التاريخ ، بقدر ما يوجد منهج علمي يمكن للباحث في التاريخ اعتماده بصورة صحيحة فتتهيأ له تباعاً، إمكانية التوصل إلى حقائق جديدة ، وهذا يعني أن منهج البحث التاريخي ، هو حصيلة تجارب مؤرخين عديدين خلال مسيرة الإنسانية كلها ، اللاحق منهم أخذ عن السابق ، فأضاف إلى تجارب سابقيه حتى أستوت قواعد هذا المنهج .

ومع ذلك ، لا يمكن القول أن الباحثين في التاريخ متشابهين في المنهج الذي يعتمدونه ، بل يمكن القول أن الاختلاف يبرز في آلية اعتماد هذا المنهج بين مؤرخ وآخر ، وهذا الاختلاف يتمحور حول الرؤى التي يرى بها كل مؤرخ الماضي الذي هو موضوعة بحثه وكيفية التعاطي معه . ومن ذلك فالمنهج إذن مجرد طريقة يمكن للباحث إن هو رتب بموجبه معلوماته ، أن يصل إلى الحقيقة أو إلى شيء قريب منها ، وليس هو ما يتفرد به باحث عن آخر ، وهذا هو بالضبط ما تتجلى فيه (علمية) مؤرخينا المعاصرين ، ومن بينهم مؤرخنا " كمال مظهر أحمد" .

ونرى أن المؤرخ وإن كانت له (رؤاه) الخاصة به ، إلاّ أنه سيبقى بشكل أو بآخر منساقاً في كثير من أرائه إلى ما يجول في خاطره من إشكاليات يتحسسها ، ولأنه صاحب قلم وفكر ، فمن السهل تفسير طغيان موضوعاته التي يتصدى فيها لتلك الإشكاليات . وهي بالتالي استجابة لتحديات يتحسسها ، فمن الطبيعي أن تكون له رؤاه الخاصة به إلى الماضي الذي يدرس والذي تأثر به بوصفه جزء من تكوينه ، والى الحاضر الذي يستنطقه بعكازة ذلك الماضي القريب . وعلى هذا الأساس ، نجد أن مؤرخاً ينظر إلى التاريخ على أساس أنه صراع طبقات في حين يراه غيره ، أنه صراع بين أفكار ، وثالث لا يرى في ثمة صراع أصلاً ، فهذه كلها رؤىً قد تصيب أو تخطئ على أن كمال مظهر أحمد ، يرى في حركة التاريخ ، أنه صراع بين أفكار وتوجهات ، أفضى إلى صراع بين طبقات فهو يقول على سبيل المثال " أن جميع الطبقات العاملة في بلدان آسيا وأفريقيا بدأت بالتكون في ظروف التغلغل الرأسمالي الأوروبي أو الاحتلال الاستعماري المباشر " [139] .

---

138 مذكرات عارف .

(139) كمال ، الطبقة العاملة العراقية ، ص20

وعلى العموم فأن الأحداث التاريخية ، تشكل في مفهومه لحركة التاريخ ، حلقات مترابطة فيما بينها ، ويكون ذلك الترابط عامودياً ، أي في إطار مجتمع واحد ، وأفقيا ، أي في إطار عدد من المجتمعات في آن واحد . بمعنى أن الحدث التاريخي المعين يكون حصيلة أحداث أخرى داخلية سبقته ، كما يتحول هو إلى بداية لأحداث تتبعه .

من جانب آخر يرى أن هذا الحدث ، لا يستطيع أن يبقى بمعزل عن تأثير الأحداث الخارجية ، فيتفاعل معها كما تتفاعل هي معه . فثورة الرابع عشر من تموز (1958) مثلاً ، كانت تشكل امتداداً عامودياً للوثبات والانتفاضات الكثيرة التي وقعت قبلها على مدى عشرات السنين ، لكنها كانت في الوقت نفسه امتداداً أفقيا لثورات وتغيرات سياسية أخرى ، سبقتها في المنطقة . وبالطبع فأن للترابط ألعامودي أثر اكبر وأهم في خلق الأحداث مع الترابط والتفاعل الأفقي[140].

وبوجه عام ، فإن مؤرخنا يشعر بدراسته لوقائع التاريخ التي يتصدى لها ، انه يعيش الحدث الذي يدون له بكل حيثياته . وهو بذلك يقترب في أسلوب كتاباته من المنهج البنيوي الذي يرى " أن كل لحظة من الزمن يمكن أن تحلل إلى العناصر المكونة لها . وكل واحد من هذه العناصر لا يدرك تماماً إلا ضمن شروط ماضيه الخاص به"[141] فهو يقول " لا يمر يوماً واحداً وربما ساعة واحدة ، دون أن نسمع خبراً أو تصريحاً أو نعلم بإجراءٍ يشير إلى موقف الاستعماريين الأمريكان تجاه قضايا الشعوب الملتهبة ، وبشكل خاص في منطقة الشرق الأوسط . لكن مع ذلك نلاحظ عزوفاً غير مبرر من لدن مؤرخينا عن درس جذور وخلفيات قضايا هذه الشعوب ، وإن لم يكن واقع هذه الظاهرة الخطيرة التي تمس حياتنا اليومية بشكلٍ مباشر[142].

وفي سياق تدوينه للأحداث التاريخية وجدناه يبتعد عن الصفة التي لازمت ليس قليلاً ، المؤرخين الذين سجلوا الأحداث انسياقاً وتوجهات العصر الذي شهدوه ، فهو لا ينكر أن أكثر المنتصرين من الملوك والقادة ، يحاولون كتابة التاريخ على وفق ما يشتهون ، وإنهم يسعون بكل الطرق لتدوين أعمالهم على نحوٍ يبرز دورهم ويبخس أدوار الآخرين ، وهو أمر لم يرى فيه ما يمكن أن يسميه تدويناً للتاريخ بقدر ما كان ينظر إليه تزويراً لهذا التاريخ . فهو ومن خلال استقرائنا لمؤلفاته ، وجدناه يؤكد أن المؤرخ الجاد لا يركن إلى أقوال أصحاب القرار في الدولة ، بل عليه الموازنة بين أقوالهم وبين ما يتمكن من جمعه من الوثائق والحقائق الأخرى التي يستمدها من مدونات المؤرخين الآخرين ، كما هو الحال في الآراء المتناقضة جداً عن شخصية فيصل الأول وسياسته التي تفرض البحث عن المعلومات من مضآنها الأصلية لإلقاء أضواء كاشفة جديدة عل أعمال وأهداف شخصية سياسية بارزة لعبت دوراً خطيراً على مدى حوالي العقدين في الأحداث التي شهدتها مناطق حساسة من الشرق الأوسط "[143] .

كمال....وعلمية التاريخ

وأمام رؤيته لماهية التاريخ وصلته بالماضي وتعلقه بالحاضر ، لا بد إذن أن نتعرف على نظرته لعلمية التاريخ من عدمه ، وهل انه يعيد نفسه ؟ وهذا أمر اختلفت إزائه وجهات نظر المؤرخين والباحثين ، فوجدناه يؤكد أن الماضي موجود في الحاضر ، وهو ما يعني ارتباطه بالمستقبل بصيغ مختلفة . ويرى أن التاريخ علم ، مشيراً إلى ما أكده الأولون من المؤرخين ، مثل أبو التاريخ (هيرودوتس) حين وصف التاريخ بأنه علم ، وكذا الحال بالنسبة للرومان القدماء حين وصفوا التاريخ بأنه تعليم الحكمة بالأفعال والبشر بحاجة إلى الحكمة أكثر من تعليم الحكمة ، فتعليم الحكمة بالأمثال وصف رائع ، وفي هذا السياق يؤكد أن ابن خلدون قبل

---

[140] كمال ، أضواء ، ص 199 .
[141] رانفين . ك .ك.الأسطورة ، ترجمة صادق الخليلي ، منشورات عويدات ، باريس ، 1981، ص17 .
[142] كمال ، أضواء ، ص17 .
[143] المصدر نفسه ، ص6 .

أكثر من (400) سنة وقبل (متشدلي)[144] يصف التاريخ في مقدمته بكلمة علم ، وأمام ذلك يبدو واضحا أنه يتفق مع من يذهب إلى تأكيد علمية التاريخ ، إلا انه يعكف على هذا الأمر من وجهة أخرى على فرض انه يصنف ضمن العلوم الإنسانية منوها بأن حركة التاريخ تخضع لقوانين كما هو الحال في العلوم الطبيعية ، إلا أن التاريخ ليس من العلوم التجريبية ، لا سيما وانه يعتمد في كثير من نتائجه على فكر وجهد الإنسان وتوجهاته ورؤاه بالاستناد والاحتكام إلى قوانين تنتظم فيها حركة التاريخ . ولتوضيح الفكرة ، وقف مقارنا بين ثورتي 14 تموز (1958) في العراق وثورة 23 يوليو (1952) في مصر ، مجسدا حالتين متشابهتين من حيث الأسباب والنتائج كالاضطهاد والإقطاع والتخلف والارتباط بالأحلاف الاستعمارية . ووجد أن بعض النتائج قد تكون مختلفة مثلاً في العراق ، حين تم قتل العائلة المالكة ، ولم يكن مقرراً لدى الضباط مثل هذا التجاوز ، في حين في مصر رحبوا بالعائلة المالكة وودعوا الملك فاروق وأصبح فؤاد ولي للعهد وبعد سنة أعلنت الجمهورية في مصر . ومن ذلك ، يرى أن التاريخ لا يعيد نفسه في أي حقبة من الحقب ، فهذا مستحيل ، وهو ما يسوغ للبعض استحالة عد التاريخ ضمن العلوم الطبيعية ، على أن حقب التاريخ (تتشابه) أحياناً من جهة أخرى بسبب قوة العوامل الثابتة . فالتشابه يختلف عن التطابق في مفرداتهما ، فالتطابق يعني مطابقة العلاقات بعضها بعضاً على الرغم من بُعد المسافات الزمنية التي تفصل بينها وهو ما لا يمكن بأي حال ، لكنها تختلف في آلية تكّون تلك العلاقات وديمومتها والتفاعل بينها . أما أن تتشابه بعض الظروف وتتشابه بعض الأفعال أو ردود الأفعال ، فهذا ممكن ومنطقي . ولكن من غير المنطقي أن يكرر المرء أخطاء سلفه ، وهذا ما اعتاد مؤرخنا على التحذير منه .

ـ كمال والترجمة للشخصيات :

في كتابة التاريخ جوانب متعددة ، كلها تنتهي بالتدوين لمراحل مهمة ، وفي تلك المراحل ستبرز شخصيات لها حضورها الفاعل في حركة التاريخ ، ومن هذا المنطلق التفت الدكتور كمال إلى ضرورة تتبع سير العظماء أو على الأقل لمن سجلوا حضورا في مسيرتهم التاريخية . فأشار إلى رؤيته إزاء التدوين للشخصيات ممن أدوا أدوارا مهمة في التاريخ ، بتأكيده على أهمية الجماهير على فرض أنها صاحبة التأريخ الأولى ، فلولاها لما تمكن الفراعنة من بناء الأهرامات المصرية، بل لا يخلو التأريخ من نماذج معبرة لقادة كبار ظهروا في صفوف الدهماء ، قادوا الجماهير بكل جدارة ، منهم (سبارتاكوس) [145] الذي يحتل أسمه في كتب التأريخ وموسوعاته ، موقعاً لا يقل شأناً عن موقع معظم القادة الآخرين، ومع هذا التصور الدقيق فأن كمال لم ينكر دور الفرد المدرك لمهمات المرحلة في خلق الحدث التاريخي ، وليس بالضرورة أنْ يكون مثل هذا الدور إيجابياً في كل الأحوال، بل يرى هناك قادة مَن يبني ويُعّمِرْ، وهناك منْ يخرب ويدّمِر ويحرق الحرث والنسل .

ويبدو أن تلك القناعة الفكرية ، انعكست في كل كتابات الدكتور التاريخية، وفي جميع رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي أشرف على إنجازها، أو ناقشتها، وهي مُكرسة لدراسة سيرة شخصيات أدت دوراً متميزاً في صنع تأريخ العراق الحديث والمعاصر من أمثال الملك فيصل الأول ونوري السعيد وكامل الجادرجي ومحمد رضا الشبيبي والعقداء الأربعة ورشيد عالي الكيلاني وحكمت سليمان ومجيد خدوري[146] ، وتم نشر معظم تلك الدراسات في كُتب مستقلة داخل العراق وخارجه على نطاقٍ واسع بسبب إقبال القراء عليها، مما أستوجب إعادة طبع بعضها. ويرى أن المجال مفتوحاً في هذا الميدان الحيوي ، وبعد انهيار النظام

144

(145) هو احد العبيد الذين كانت تأسرهم روما وتستخدمهم في المصارعه للترفيه وقد هرب ومن معه وتولي قيادة العبيد في بعض المعارك ضد الرومان حتى أسر وتم إعدامه .

146 كان قد ترأس لجنة مناقشتي في الدكتوراه والتي حملت عنوان " مجيد خدوري : حياته آثاره ، منهجه في كتابة التاريخ .

الدكتاتوري ، ظهرت إمكانياتٌ إضافية تفسح المجال لدراسة تأريخ حياة شخصياتٍ مهمة من أمثال عبد الكريم قاسم والعديد من قادة اليسار العراقي .

أسلوبه في الصياغة التاريخية :

ومن نافل القول ، أن من يتتبع مؤلفات الدكتور كمال مظهر احمد ، يدرك بوضوح ابتعاده عن الأسلوب التقليدي في الكتابة ، متبعاً الأسلوب الحديث في معالجة موضوعات أبحاثه مستنداً في اغلب مصادره ، على أقربها من تلك الأحداث ، وممن لم تطرق من قبل . ووجدناه لم يتحدد بالمصادر العربية حصراً ، فهو القائل :

((استندت في أبحاثي التي أقدمها هنا إلى مصادر متنوعة ، منها الانكليزية ومنها الروسية إلى جانب المصادر العربية والكردية وغيرها ، مما يدخل قسم غير قليل منها ضمن المصادر الأصيلة ، كما أن جانباً كبيراً منها يستخدم لأول مرة في دراساتنا العلمية . وقد أتاح لي ذلك إمكانية التوصل إلى استنتاجات جديدة قابلة للنقاش العلمي بهدف الاقتراب من تقييم نهائي حولها)) [147].

ففي بحثه طبيعة الطبقة العاملة العراقية ، اعتمد في بيان ذلك على عدد كبير من المصادر المتفرقة ، كان في مقدمتها الوثائق الرسمية والتقارير السنوية التي أعدها الانكليز عن سير الإدارة في العراق إبان سنوات الانتداب إذ وردت معلومات مهمة في هذه الوثائق تخص المشاريع التي استخدمت أعدادا كبيرة من العمال كالميناء والسكك وعن الجمعيات العمالية والحرفية وأحوال العمال بشكل عام وموضوع التشريع العمالي وما شاكل من قضايا لا غنى عنها حين البحث عن تاريخ الطبقة العاملة العراقية .

أما عن التعامل الأمين مع المعلومة التاريخية ، والذي يندرج في سياق المنهجية العلمية الرصينة ، أكد أن للقضايا العلمية في منهجية الكتابة التاريخية ، نواميسها المقدسة التي تأتي في مقدمتها الدقة والأمانة حرصاً على الموضوعية التي يجب أن لا نفتقدها في أي حال ، لئلا نكون مجحفين في أحكامنا التي قد تؤدي إلى ضرر كبير لقاء مغنم صغير[148].

ومن حصيلة تلك المراجعات للأصول التاريخية التي تهيأت ، ارتسم أمامه بياناً واضحاً للأسلوب الذي سيقدم فيه مادته التاريخية للقراء ، وكحال المؤرخين الذين أدركوا ماهية عملهم ، فأنه حين يروم الكتابة عن موضوع ، لن يضع في حسابه الشهرة أو أي منتفع مادي ، بقدر ما كان ينشد الإعلان عن حقيقية تاريخية ، وجد أنها تعني الكثير للمجتمع الإنساني بوصفها تجربة ، يمكن أن يعول عليها المتفهم للتاريخ في التعامل مع حاضره ومستقبله والى ذلك ، فلا بد من بلورة الفكرة التي سرعان ما تتجسد في مخيلته ، فينقله هذا الخيال إلى تصور موضوعي لملامح الموضوع ، وحينها تبدأ مرحلة البحث لديه والتقصي للمعلومة التي وجد ضرورة الاطلاع عليها ، لغرض ترصين مادته العلمية ، وإكسابها صفة الصدق وأمانة النقل لوقائع التاريخ ، مُلزِماً نفسه بتهيئة كافة النصوص ، فتكون قريبة عليه ، ليبدأ معها رحلة عميقة ، يستقرأ أولا طبيعتها ومغزاها ويحدد العلاقات بينها ومن ثم يأتي على تحليلها ، حتى يجد نفسه قريباً من موضوعة بحثه ، فيشعر أن الحدث المعني بالتدوين له ، في متناول يديه ، فيقرأه بروية ويستعلم معانيه ، ويأتي بعد ذلك إلى طرحه فكرة أصيلة ورواية مستلة من مضآنها لدرجة أن يشعر المتلقي لها بسهولة الأسلوب وبساطته ، ووضوح معانيه ، على الرغم من اعتماده في بعض الأحيان لمصطلحات وتعابير ، نعتقد انه يتعمد الإشارة إليها ، لا لشيء سوى انه يحاول أن يسحب قارئه من دائرة تقليدية الحوار الثقافي المنغلق ، ونقله إلى أجواء أخرى لزيادة الاطلاع والتعلم ،مع المحافظة على استقلالية الرأي وعدم الانجرار وراء

---

[147] كمال ، أضواء ، ص6

[148] كمال ، كردستان في زمن الحرب ، ص11 .

التغريب الذي يضعه البعض من المثقفين ، شرطاً من شروط الخروج من الدائرة الرتيبة التي وجد المثقف العربي نفسه عليها .

وواضح أن مؤرخنا لا ينظر إلى ما يقوله الغربيين أو المستشرقين ، بريبة وتشكك مقصود ، بقدر ما يجعل من تلك الآراء مجالاً رحباً للتزود والأخذ عن الغير ، وهو أمر ينطلق منه استناداً من ثقته بنفسه ومن قدرته على التفريق ما بين الغث وبين السمين . وفي هذا السياق من تعامله مع ما يفد من الغرب من أراء وأفكار ، يقول : لقد درس المستكردون السوفيت ، لا سيما منهم الدكاترة من أمثال " ن .أ.خالفين و م.س لازاريف " وغيرهم العديد من الجوانب الهامة من تاريخ الكرد في القرن الماضي . ويؤكد أن من العوامل التي ساعدت هؤلاء على القيام بذلك ، هو غنى الأرشيفات السوفيتية بالمعلومات الأصيلة والوثائق المتعلقة بتلك المرحلة من تاريخ الشعب الكردي ، إذ كانت روسيا القيصرية تولي كردستان أهمية خاصة "[149]، ويؤكد على أن هناك مصادر انكليزية تتحدث عن كردستان العراق ، يمكن الاستفادة بصورة جيدة منها ، كما هو الحال في كتب آرنولد ويلسون وأدموندس وماسون وغيرهم ، لتوضيح العديد من المسائل ، ولم يجزم علانية بعدم صدق أو التحذير من إمكانية تمرير مثل هذه المصادر لبعض الآراء التي لا تتفق وما يقوله الشارع إزاء القضايا المطروحة ، بقدر ما يوصي بضرورة التعامل العلمي والمنطقي مع تلك المصادر ، بحيث لا نلغي أهميتها بحجة ما تكنه من نوايا غير معلنة في طرحها .

ووجدناه في تقديمه للكتب مغايراً تماما لانتقائه الموضوعات التي يتصدى لها في كتبه ، فمن الواضح انه دائماً ينحاز إلى الموضوعات التاريخية الساخنة ، ولا سيما الفكرية منها ، وهذا ديدنه حين يقحم قارئه وسط تحليلات واستنتاجات ، لربما يشعر بها وكأنها غريبة في تصوره لأنه لم يعهدها من قبل .

وزيادة على ذلك ، وجدناه في هذا السياق يعمد إلى الاختيار وهو على ما يبدو غير قاصد أن تكون جل التقديمات للشخوص ، تحمل غاية تأكد أهمية الرجل العظيم في تاريخ بلاده ، فقدم على سبيل المثال لكتاب يتحدث عن دور أحمد شاه في بلاده وكذا الحال بالنسبة لرضا شاه ، وكذا في تقديمه لكتب تصدت لساسة عراقيين من أمثال نوري السعيد وعبد الكريم قاسم ومحمد رضا الشبيبي وغيرهم . ولا نريد بذلك القول بأحادية نظرته لحركة التاريخ ، بقدر ما نتلمس أراد المزاوجة بين ادوار العوامل المحركة للتاريخ ، دون الالتفات إلى عامل واحد ، مع أن ميله نحو التفسير المادي للتاريخ يكاد أن يكون الطاغي والمحسوس .

ومن مفيد القول انه ومن خلال قراءتنا للموضوعات التي تصدى لها تأليفاً أو تقديماً ، اتضح لنا استقلاليته في كل كتاباته . ففي معظم ما كتبه ، يُشعر القارئ أنه أمام موضوع ، وان سبقه احد في التطرق إليه ، إلا انه سيشكل أمامه رؤية لم تطرق من قبل ، إذ يؤكد أن الكثير من الأحداث التي تطرق إليها غيره ، هو الآخر كان قد تطرق إليها أيضا، إلا أن الفرق بين الاثنين ، أنه اعتمد التحليل إلى درجة كبيرة من اجل توضيح الأشياء وتصحيح الأخطاء ، منوهاً بأن الكثير ممن تصدوا لدراسة ثورة العشرين ، قد عجزوا عن تحديد تاريخ صدور صحيفتي الفرات والاستقلال ، جريدتي الثورة ، بل ويرى أن البعض يقتنع أن كتابة أطروحة دكتوراه واحدة عن ثورة العشرين ، يفي بالغرض ، وهذا ما لا يتفق معه مؤرخنا لأنه يدرك أن تاريخ هذه الثورة يحتاج إلى العشرات من اطاريح الدكتوراه ومئات من رسائل الماجستير ، ويرى أن المقارنة بين ثورة العشرين والثورة الفرنسية الكبرى سيجسد مدى اهتمام إنسان كلا البلدين بتراثهم القومي، إذا ما علم المرء ، بحق أن الثورة الفرنسية لحد ألان لا تزال تدرس ، وآلاف المؤلفات لا تزال تطبع حول هذه الثورة ، لا سيما الكتاب الضخم (النكات المتداولة عن الثورة الفرنسية) فضلا عن دراسات متخصصة أخرى كتبت بهذا الشأن .

---

[149] المصدر نفسه ، ص10

أما عن أسلوبه في التحليل ، فليس من الصعب على المتتبع للموضوعات التي تطرق إليها كمال ، أن يعي أن أسلوبه التحليلي والنهج العلمي، الذي ليس من شأنه تكرار المعلومة والأفكار ، هو الطاغي على كتاباته وهو ما يؤكد لنا صفة الأصالة في الكتابة .

ويبدو أن تأثره بالمدرسة الغربية في دراسته وانفتاحه على مختلف الرؤى والتوجهات ، جاء بسبب دراسته العليا في أكاديمية العلوم السوفيتية ، واطلاعه على ما كان يجري من تحديث لمناهج كتابة التاريخ ، مما انعكس على تناوله لمواد أبحاثه التاريخية التي أتحفها بتحليلات واستنتاجات أخرجته في كثير من كتاباته ، عن الأطر التقليدية في كتابة التاريخ .

لقد أراد كمال ملاحقة جل التطورات التاريخية للفكر الثوري لمنطقة الشرق الأوسط ، والعراق خصوصاً متزامناً ومتفاعلاً ، مع تاريخ الحركة العربية الأولى ، فقد كان يروم متابعة نشأة الدولة ، من وجهة نظر سياسية وفكرية حين تصدى في جل مؤلفاته لمظاهر الدولة السياسية ، بما في ذلك الإنسان وسعيه الدائب إلى تحقيق ذاته وسط المعترك السياسي والفكري ، ليكون المحرك الأساس في حركة التاريخ لديه ، وهو ما يمكن تلمسه ، حين نمعن النظر في ماهية موضوعات كتبه وأبحاثه، وتلمس قوة العامل الفكري والسياسي الذي لكثر ما اهتم به ، وأشاد بدوره ، فيعطيه الريادة في توجيه العوامل الأخرى في سياق تناوله للمادة التاريخية ، مما أسهم في ديمومة هذه الحركة . ومع ذلك فهذا الأمر لا يجيز لنا القول بأحادية العامل المؤثر في منهج كتابته ، استناداً لما يفهمه من تراتبية العوامل المؤثرة في التاريخ ، بقدر ما كان يثمّن أثر هذا العامل ويفضله في بعض نواحيه على العوامل الأخرى ، بدليل انه لم يتخل عن اعتماد العوامل الأخرى في تحريك الحدث التاريخي . كما أنه أعطى شخوص أبحاثه، أدوارا مهمة في حياة الدولة السياسية والفكرية . فحين ترجم لمؤرخين ومثقفين ، لم يجعل من هؤلاء عظماء في عصورهم ، بقدر ما وجد فيهم تجسيد حقيقي لعظمة شعوبهم وهو ما ينبأ بذلك ، شديد إحساسه بالتفاعل الذي يحدث بين المترجم وبين بيئته .

وأمام كل ذلك ، فليس من الممكن أن يأت مؤرخاً ، مهما كانت جديته في مجال عمله ، بمنهج جديد يختص به بل يمكن القول انه سيسهم في أن يجعل من نفسه ، يسير ضمن الحداثة في هذا المنهج ، وهذا ما يمكن تلمسه عند مؤرخنا كمال ، حين أوجد لنفسه فلسفة خاصة به جعلت منه مدركاً لتاريخ الماضي ، وعلى وفق ذلك أدرك قيمة ما يكتب ، فجاءت موضوعات كتبه حساسة لدرجة أن أثارت عليه جملة ردود ، صدر بعضها من جهات أكاديمية[150].

ومع ذلك ، وبحكم تتلمذنا عليه لسنوات عدة ، لم أفاجأ بطرحه هذا ، لمعرفتي بإخلاصه لقلمه بوصفه مؤرخاً يبحث عن الحقيقة التاريخية ، والبوح بها ، وإذا صادف أحد واعترض بقوله : ولماذا لم يصرح بها في زمن حكم البعث ؟ نقول : أن مؤرخنا كانت لديه رؤىً وأفكار تفوق في خطورتها ما نحن بصدد الحديث عنه ولم يتردد في طرح أي رأي إزاء ما كانت تفعله ما عرف بـ" السلامة الفكرية" وما تسببه من تدخلها من تهميش وتضعيف وإلغاء وحذف لنصوص ، حتى تظهر الرسالة متفقة وتوجه الحزب الحاكم آنذاك . وأتذكر حينها ، أن احد التدريسيات في كلية التربية / ابن رشد ، قد توعدته وهو على المنصة يناقش أحد طلبة الماجستير دون أن يسمعها بأن ترفع عليه تقريراً إلى مديرية المخابرات ، وتعلمهم بكل توجهاته وآراؤه التي وصفتها بالمغرضة !! فتدخلت حينها وطلبت منها أن تتفهم الموضوع من وجهة نظر علمية ، موضحاً لها انه أستاذ الجميع ، وقد أثرانا بعلمه وحبه لوطنه من خلال تميزه وانجازاته العلمية ، ومع ذلك فلا تلك التدريسية قد استجابت ، بل ازدادت عناداً ولا حتى الدكتور نفسه قد ارتد عن نهجه ، على الرغم من توسلي به. وعليه يجب أن نعي أن طرحه لموضوعة كتابه " كركوك وتوابعها " لم يحمل في طياته ، حسبما اعتقد ، إلا إيمانه بقول الحقيقة التي يراها ، ولا شيء غير ذلك . وهذا ما يميز منهجه في كتابة التاريخ .

---

(150) على سبيل المثال ، بعد صدور كتابه الجديد " كركوك وتوابعها " برزت ردود أفعال ، تباينت في طبيعتها إزاء طرح هذا الموضوع في مثل هذا الوقت .

أما عن حركة التاريخ وأثر المجتمع فيه ، فيرى كمال إن عملية الصناعة التاريخية ، عملية معقدة لا تولد بصورة سريعة ، فهي عبارة عن تراكم كمي . ولكي يتحول إلى تراكم نوعي ، فلا بد من وقت لتحقيق ذلك ، دون أدنى شك . والى ذلك فهو يؤمن شخصياً أن المجتمع أو الجماهير وحاجاته ، هي التي تصنع الحدث التاريخي ، والذين يضحون بأنفسهم في سبيل التغيير التاريخي ، هم ينتمون إلى العوام وينتمون إلى الجمهور[151] . ومع ذلك فهو يقرر ، أن للفرد أهمية توازي ما للجماهير من أهمية في حركة التاريخ ، مشيرا الى بعض الامثلة على ذلك ، إذ يقول " وقد اضطر العديد من الوطنيين الكرد، إلى ترك مناطقهم تحت ضغط "الميجرسون" واللجوء إلى مناطق أخرى ، ومن بين هؤلاء ، الوطني المعروف (محمود جودت) ، وكذا الحال للشيخ محمود[152] ويقول : " وكانت عشائر خانقين السباقة إلى الانضمام لصفوف الثورة ، وبشكل خاص عشيرة (دلو) المعروفة التي قاد من خلالهم (كريم خسرو بك) عن جدارة ، هجمات على قوات الاحتلال . وكان كريم بك وآخرون من زعماء المنطقة على اتصال بالشيخ محمود أثناء انتفاضته في عام(1919) [153].

وفي السياق نفسه ، يرى أن (محمد علي) الكبير ، قائد عظيم ، مستوحيا هذا التوصيف من خلال ما وصلت اليه مصر في عهده حين مثلت الجزء الوحيد من الإمبراطورية العثمانية القادر على التعامل مع الحياة ، مؤكدا أن كل الإمبراطورية العثمانية وصلت الى حالة من الركود ما عدا مصر (محمد علي) ، ففي زمنه وصلت صناعة السفن لدرجة تحمل (110) بحار و(113) مدفع . ويقارن ما شهدته مصر من تطوير على أيدي هؤلاء من غير العرب ، وما هي عاجزة عن الوصول إليه في وقتها الحالي ـ القرن الحادي والعشرين ـ .

وفي سياق بيانه العلاقة الوثقى بين الجماهير ، وبين البطل في التاريخ ، يلقي بالضوء على أصل محمد علي باشا وكيفية وصوله إلى مصر ، إذ أكد أن عدم تشابه ظروف البلدين ، كان بمثابة تحدٍ واجه هؤلاء الغرباء ، الملتزميين بمسؤولية القيادة في مصر ، مؤكدا انه كان سيكرس ذكائه مثل والده وعمه ليصبح تاجر حبوب ، ومن ثم عرف كيف يصل إلى قمة الهرم ، حين أدرك ما للجماهير من ادوار يمكن أن تؤديها . ويرى أن هذا الأمر يمكن تلمسه أيضا حين أنتقل نابليون بونابرت إلى قمة (افرست) وجرد من الجماهير ، انه لن يعمل دون الجماهير الفرنسية المتعطشة للتغيير وهو لا يعني إنكار دور الفرد ، فالفرد القائد صانع للحدث .

الاستشراق وأهميته في كتاباته :-

وجدناه فضلاً عما علمناه عن منهجيته في كتابة التاريخ ، مهتم بكتابات المستشرقين ومناهجهم ، فهو يرى أن موضوعة الاستشراق من الموضوعات الهامة ، لان هناك اختلاف في الرأي حول الأسس ، ولا سيما حين بداية ظهور الاستشراق إذ كان يستهدف النيل من العالم والحضارة العربية . ووجد أن القائمين على هذه الفكرة ، وحين فشلت الحروب الصليبية بدؤوا يلجئون إلى أساليب الفكر للنيل من أسس الحضارة العربية ، وهكذا نشأ الاستشراق في البداية ، ولكن بالتدريج تحول إلى علم قائم بذاته .

ومع ذلك فالاستشراق في نظر كمال ، يعد من أروع العلوم مستشهدا لتوضيح ذلك ، بما قدمه هؤلاء من خدمات جليلة في مجال التاريخ ، مشيراً الى المقولة الرومانية (التاريخ هو تعليم الحكمة بالأمثال) . ليبدأ بالأمثال السيئة أو المرفوضة (بمكسيم رودونسون) وهو

---

(151) والدليل على ذلك ما حصل من تغيير وحراك شعبي في البلدان العربية بما فيها تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا .

(152) كمال ، دور الشعب الكردي في ثورة العشرين ، ص37 .

(153) المصدر نفسه ، ص116 .

ماركسي أوربي يهودي كتب عن الإسلام وعن حياة الرسول الكريم محمد (ص) ، ما لم يكتبه احد لا في الشرق ولا في الغرب[154].

وفضلاً عن ذلك ، كتب كمال عن الماركسية بسبب موقفها المتزمت من الاسلام ، مشيرا إلى ما كتبه ابن هذه البلاد ، ويقصد به (لونغري) حين كان ضابطا في الجيش البريطاني في الحرب العالمية الأولى وهو مؤمن بنظرية الرجل الأبيض ولديه حساسية تجاه الحركة الكردية . ومع ذلك ألف ثلاثة كتب رائعة وترجم ترجمة ممتازة من قبل المرحوم (جعفر خياط) . وينفي مؤرخنا أن يكون هناك ، من قدم دراسة تاريخية عن المجتمع العربي بمستوى دراسة (لونغريك) .

ويؤكد كمال ، انه وبالاستناد إلى المصادر الأصيلة العثمانية والتركية ، يمكن الخلوص إلى أن من ينتمي إلى الاستشراق ، هم من النخبة ومن أصحاب العقول الكبيرة [155]، فالرائد الأول للنهضة الأوربية الحديثة (دانتي)[156] تأثر بالكوميديا الإلهية[157]، وتأثر بابي العلاء المعري[158] وقصة الإسراء والمعراج والفتوحات المكية لابن العربي ، ويرى إن مثل هذه الأمور عن تاريخنا الحضاري ، ما كانت تعرف لولا (اسين بلاسيوس) المستشرق الاسباني . ومن ذلك نفهم أن الدكتور كمال في الوقت الذي يحذر من الانتباه الى ما يكمن خلف سطور كتابات المستشرقين من نوايا ومآرب ، فهو يؤكد على أهميتها ، بوصف من كتبها يعد من المفكرين ، ولا بد من الاسترشاد بآرائهم ومناقشتها ، بل والاستفادة من مناهجهم في

---

[154] ونلمس تقاربا في الأفكار والرؤى إزاء ظاهرة الاستشراق بين الدكتور كمال وما جاء به الأستاذ الدكتور محسن محمد حسين في كتابه " الاستشراق برؤية شرقية ، الذي صدر عن دار الوراق في لندن سنة 2011 .

[155] وبذلك يتفق الدكتور كمال مظهر احمد في رأيه بمن ينتمي الى الاستشراق وما ذهب اليه الاستاذ الدكتور محسن محمد حسين في كتابه عن الاستشراق والمعنون بـ (الاستشراق برؤية شرقية) الصادر عن دار الوراق في لندن سنة 2011 .

[156] دانتي أليغييري (1 يونيو 1265 - 14 سبتمبر 1321) (Dante Alighieri) كان شاعراً من فلورنسا، إيطاليا. أعظم أعماله (الكوميديا الإلهية) "Divina Commedia" .

[157] البيان الأدبي الأعظم الذي أنتجه أوروبا أثناء العصور الوسطى، وقاعدة اللغة الإيطالية الحديثة.

[158] أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي نسبة الى تنوخ إحدى قبائل اليمن ولد بالمعرة من أعمال حلب سنة 363هـ أبوين فاضلين فقد كان أبوه من أفاضل العلماء وجده قاضيا قاضيا للمعرة، فلما بلغ الرابعة من عمره ذهب الجدري ببصره، ولما بلغ سن التعليم اخذ أبوه يلقنه علوم اللغة واللسان وتتلمذ بعد ذلك الى بعض علماء بلدته وفي سنة (392هـ) غادر المعرة إلى بلاد الشام فزار مكتبة طرابلس واللاذقية ولما طوف ببلاد الشام عزم على الرحلة إلى بغداد مقر العلم والعلماء ليدرس الحكمة والفلسفة، ولبث في بغداد زمنا بين اخذ وعطاء علمي ووجد في بغداد بيئة علمية صالحة فأخذت آراؤه تظهر وتذيع، وهناك اتصل ولأول مرة بجماعة «إخوان الصفا» وكانوا يلتقون كل يوم جمعة في دار احدهم فأثر اختلاطه بهم في أدبه وعقله، ولم تكد علاقاته تتوثق بالبغداديين حتى فوجئ بنعي أمه وكان والده قد توفي قبلها، فأصيب بصدمة شديدة من هذا الحدث، ورجع إلى المعرة سنة (400هـ) اذل الناس إلا تلاميذه وقنع من الطعام بالنبات دون الحيوان ولم يتزوج وظل ذلك حاله حتى توفي سنة (449هـ.) . عايش أبو العلاء عصور التفكك والاضطراب في جسد الدولة الإسلامية الموحدة حين تفككت عرى الدولة العباسية وانقسم العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة وان بقيت مرتبطة بالخلافة العباسية اسميا وروحيا على الأقل. وكانت أمارة حلب التي تتبعها المعرة عرضة للصراع بين الحمدانيين والفاطميين تارة وبين قبائل البدو والروم تارة أخرى) . ومن البداهة والأحوال السياسية في العالم الإسلامي آنذاك على ما هي عليه من الاضطراب وافتراق الشمل ، أن يشيع في المجتمع الكثير من ضروب الفساد الاجتماعي التي لا تقرها نفس حرة وابية تواقة الى معاني العدل والإحسان والتهذيب والرقي الاجتماعي كنفس هذا الشاعر الفيلسوف وعقله، ولقد كان أبو العلاء واضحاً وصريحاً وجريئاً في الكشف عن هذه المفاسد والآفات، اذ حوت قصائده إشارات واضحة الألفاظ والمعاني إلى عدد من العيوب الاجتماعية .للمزيد انظر: أبو العلاء المعري: ديوان اللزوميات: نشر: دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت: 1961م: ط1 ص 249 ؛نيس الخوري: الروحية في الشعر العربي: مجلة العربي: الكويت: عدد 85 : شعبان 1385ه ديسمبر 1965م ص 104 ؛ احمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي: مطبعة الرسالة: القاهرة: الطبعة الحادية عشرة: ص 292 ؛ د. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي: نشر مكتبة النهضة المصرية: القاهرة: الطبعة السابعة: 1965م ، ج3،ص365.

التعامل مع تلك الأفكار والأحداث التاريخية ، لاسيما وان جل تلك الكتابات ، تحليلية مستندة إلى إدراكٍ لحركة التاريخ .

رؤيته لأثر عامل الجغرافيا في حركة التاريخ:

يحاول الدكتور كمال مظهر أحمد التعامل مع الأحداث والوقائع برؤية تتعدى التجرد من ضيق العرق والهوية والانتقال إلى رحاب العالم الموضوعي . وقد أعطى للعامل الجغرافي أهمية قاربت أهمية العامل الاقتصادي والسياسي في حركة التاريخ ، حين وجدناه ينفذ إلى تاريخ الكرد مجسداً حقيقة أهمية الجغرافيا في تاريخ الشعوب ، فهو يرى أن الجغرافية ظلمت الكرد[159]، ففي زمن ما ، وعندما كانت العلاقات الإقطاعية وشبه الإقطاعية مسيطرة على الكرد ، كانوا محصنين في جبالهم، ولديهم كل ما يحتاجون إليه ولذلك لم تنشأ لديهم رغبة التوسع إلى مناطق جديدة على عكس أقوام أخرى مثل العرب ، ملقيا باللوم على الكرد لأنهم لم يفطنوا إلى التحولات التاريخية في القرن التاسع عشر، ولم يتنبهوا إلى انهيار الإقطاعية وانتشار الرأسمالية وما استتبعها من هيمنة إمبريالية، وأكثر من ذلك ، وجدهم لم يتنبهوا للتحولات الدولية والإقليمية وتأسيس واقع جغرافي جديد ، الأمر الذي يبرر بقائهم معزولين عن منفذ إلى البحر ، ويرى في ذلك تسويغا للقوميين الكرد ، أن يعمدوا الى الخيال للتعويض ، حين يقومون بتوسيع حدود كردستان إلى الخليج أو إلى الإسكندرونة على البحر المتوسط .

وأمام ذلك ، يرى تداخل الجغرافية مع التاريخ ، مما مهد لجعل الكرد ضحايا للصراع ألصفوي العثماني، ووجد أن أول انعكاسات هذا الصراع على الكرد ، حصل في معركة (جالديران الأولى) عام (1514م) التي جرت في قلب كردستان والتي أسفرت عن تقسيم كردستان بين الدولتين.

حول كتابة التاريخ :-

واضح ان الدكتور كمال متيقن بأن الذين لا يمكنهم تذكر الماضي واستيعابه ، محكوم عليهم بتكراره بكل أخطائه ومآسيه . إن فهم المرء لتاريخه يبدأ من قراءة هذا التاريخ في المراحل الدراسية الأولى . ومن ذلك وجدناه يحذر من أن المناهج المدرسية شُوهت إلى درجة كبيرة منذ عشرات السنين ، وان المتبرعين للتشويه كانوا كثيرين . وبهذا الصدد يذكر أن لجان لتأليف بعض الكتب المدرسية كانت تؤلف ، وهي لجان ضعيفة لا ترقى إلى مستوى دراسات عليا . وبحكم احتكاكه المباشر بهذه الكتب وبوصفه قد بدأ في السبعينات الاشتراك في ترجمة بعض الكتب المدرسية من اللغة العربية إلى اللغة الكردية ، وأشار إلى خللٍ لغويٍ في بعض هذه الكتب ، فقد تم تكليفه من قبل وزير التربية لإعادة النظر في بعض الكتب المنهجية . ووجد أن من الأفضل إعادة الكتب التي كانت مقررة في العهد الملكي مع بعض التغيرات لمواكبة روح العصر وهذا أفضل شيء يراه .

وفيما يخص التاريخ الكردي ، فهناك من يقول انه تاريخ شفاهي وليس مدون على اعتبار أن الأمية كانت متفشية إلى حد بداية القرن العشرين وليس هناك من يكتب التاريخ الكردي ، وتلك أمور يأنف دوماً من سماعها تدور على السن الناس . وللرد على تلك الأقاويل ، أشار الدكتور كمال إلى (سرحان البكيسي) الذي ألف كتاب (شرق داما) وهو كتاب تاريخي مهم ظهر قبل أكثر

---

[159] نحن نعلم والدكتور كمال أيضا أن الطبيعة فاقدة للعقل ، وبالتالي هي لا توجه الإنسان في تاريخه إنما تؤثر فيه ، ونعتقد أن ما أراد قوله إزاء ظلم الطبيعة للكرد ، وهو تعبير مجازي عمد إليه مؤرخنا ، هو توصيف لقوة وعمق ما عاناه الشعب الكردي في العراق من استبدادية وسلطوية الأنظمة الحاكمة في وأنظمتها الشوفينية ، بحيث أن الطبيعة قد خنعت للحكام الطغاة وساهمت في ظلم الكرد من حيث أنها ـ أي الطبيعة ـ لا تعي ذلك .

من أربعة قرون .فهو يرى أن التاريخ الكردي لم يكن مدون ، وان الأمية كانت متفشية والفلكلور كان يمثل مصدر أصيل في كل تاريخ وليس فقط تاريخ الشعب الكردي . ويؤكد أن يد التزوير قد امتدت إلى صفحات غير قليلة من تاريخ الشعب الكردي . فمهمات المؤرخ الكردي ، مهمة غير سهلة وميسرة .

في باب النقد العلمي

ليس من شك من أن كمال مظهر ، قارئ ممتاز ، ولاسيما في مجال تخصصه ، ونعتقد أن هذا الأمر شكل في داخله رغبة ملحة في التعامل العميق مع موضوعات المصادر التي يعول عليها في كتابة أبحاثه او تلك التي يتصدى لقراءتها . وهو ما جعل منه محاوراً ومصححاً لبعضها أو منتقداً لغيرها وقارضاً لسواها . وفي هذا السياق من نقوده وردوده العلمية يقول : ربما يجد القارئ شيئاً من الغرابة في تعليق حنا بطاطو حول مسألة كركوك[160]، فهو يعتقد بأن أي لبسٍ أو أي نوع من الغرابة، سيتلاشى بمجرد التمعن في السطور اللاحقة حول ما خلفه رأي الأستاذ بطاطو السلبي على الكثير من الكتاب والمثقفين وغيرهم حول وضع مدينة كركوك ، فهو يذكر في الكتاب الثالث، صفحة (224)عن كركوك ما يلي: "وتقع كركوك، وهي مركز نفطي، على بعد (180) ميلاً - (280) كيلوا متراً" إلى الشمال من بغداد ، وكانت مدينة كركوك تركية بكل ما في الكلمة من معنى حتى ماضٍ غير بعيد. وانتقل الأكراد إليها تدريجياً من القرى القريبة إلى هذه المدينة. وتكثفت هجرتهم إليها مع نمو صناعة النفط ، وبحلول العام (1959) كان الأكراد قد أصبحوا يشكّلون حوالي ثلث السكان، بينما انخفض عدد التركمان إلى

---

[160] نشرت جريدة السفير اللبنانية للكاتب تركي علي الربيع ، بتاريخ 2004/01/15 ، مقالاً تحت عنوان " كركوك مدينة كردية أم غنيمة حرب " أكد الكاتب على تركمانية كركوك في مقاطع من مقالته أدناه مستشهدا بالكاتبين حنا بطاطو وعزيز قادر صمانجي : ففي كتابه عن العراق وفي الجزء الأول منه ((الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية)). يؤكد حنا بطاطو أن مدينة كركوك هي مدينة تركمانية بامتياز، وهذا ما تجمع عليه الكثير من الدراسات الاستشراقية التي طالت الوجود الإثني في كركوك في النصف الأول من القرن العشرين المنصرم، ومن وجهة نظر بطاطو المدعومة بالدراسة الميدانية، أن أربيل وهي المعتبرة عاصمة لكردستان العراق هي بدورها مدينة تركمانية تم تغيير خريطتها الديمغرافية لاحقاً لصالح الأكراد بالاضطهاد والقسر الذي طال التركمان والأشوريين وغيرهم، خاصة أن التركمان هم سكان المدينة ووجهاؤها. يقول بطاطو: كان التركمان ينتمون بالتأكيد إلى الشريحة الثرية بكركوك وكان ملاك الأراضي الكركوكيون، أكثرهم من التركمان أو الأكراد الذين يصنفون أنفسهم تركمانا) . وواضح ان المؤلف أراد القول أن كركوك كانت مدينة عراقية تركمانية بامتياز حتى أواسط القرن المنصرم، وأن من سكن بها من الأكراد، كانوا من الذين فروا من اضطهاد الأغوات الأكراد وملاكي الأراضي الذي لا يرحم . أما عزيز قادر الصمانجي ففي كتابه "التاريخ السياسي لتركمان العراق" ، دار الساقي، (1999)، يذهب واعتماداً على المؤرخ العراقي مصطفى جواد، إلى أن كركوك هي قلب التركمان النابض ورمز وجودهم القومي، عرفت في التاريخ باسم (كرخيني) و(كرخينة). ولم تعرف في التاريخ الإسلامي إلا في القرن الخامس الهجري أو قبله، انتشر اسمها جلياً أثناء فترة حكم السلاجقة، وكانت مطمح الأتابكية الذين استولوا عليها في عهد الخليفة المستضيء العباسي في حدود (585) هجرية. ولم تعرف باسم (كركوك) إلا بعد القرن السابع الهجري، في عهد الدولة التركمانية القره قوينلية) . ومع اكتشاف النفط وازدياد حيويتها الاقتصادية، هاجر الكثير من الأكراد إلى كركوك، فأنشئوا فيها أول حي كردي تحت اسم حي ((الشورجة)) وذلك في الجهة الشرقية من المدينة، ومع أن الشركات الأجنبية استقدمت واستخدمت عمالاً عرباً وأرمناً وأشوريين، إلا أن اليد العاملة الكردية، كانت هي الأكثر، بسبب الجور الذي يتعرض له هؤلاء على يد ((الأغوات)) وبسبب تحسن الحال المعيشية في المدينة، وهذا ما يؤكده عزيز الصمانجي بقوله: أدى استثمار حقول النفط الموجودة في كركوك إلى استيطان أعداد غفيرة من أبناء القوميات الأخرى ، وقد شكل الأكراد أكثرية القادمين، علماً بأن معظم الأشوريين والأرمن هاجروا منها بعد قيام ثورة تموز/ يوليو 1958، وقد تغيرت هذه الحال مع سياسة التعريب التي انتهجها النظام السابق .

ما يزيد عن النصف وكان الآشوريون والعرب يمثلون بقية السكان". ويرى أن وجهة نظر الأستاذ حنا بطاطو تتوافق كثيراً مع ما يطلقه العسكريون والسياسيون الترك وغلاة التركمان من تصريحات حول عائدية كركوك، وغلبة العنصر التركماني في المدينة، وما يرافق ادعاءهم هذا من دعايات مضللة وغير صحيحة حول الوجود الكوردي في كركوك . وقبل المباشرة بطرح رأيه في هذا الموضوع، وجد من الضروري ذكر رأي الكاتب والمؤرخ العراقي، المعروف الأستاذ (جرجيس فتح الله المحامي) حين ذكر في كتابه القيم "العراق في عهد قاسم، آراء وخواطر (1958 - 1988)": " إن كتاب الأستاذ "بطاطو" الجليل ، وهو أوسع دراسة لمجتمع العراق وتاريخه حتى العام (1975) صدرت في أية لغة على الإطلاق، يعرض نماذج من تلك الأحداث والوقائع نافذاً بعمق إلى زوايا في التاريخ أهملت عن قصد أو لقيت تنويهاً عابراً من غيره . ومع هذا فإنه لم يسلم من قصور قد يؤخذ عليه عين المأخذ الذي لم يبرئ منه من كتب في مجاله هذا. فهو مثلاً يكاد يخلو ، إلاّ من تنويهات طفيفة واستدراكات عابرة عن مراحل القضية الكردية ونضال الكرد الوطني الذي انتهى إلى حرب الثلاثة عشر عاماً . كما خلا تماماً من ذكرٍ لفترة الإرهاب التي عقبت محاولة الشواف الانقلابية في الموصل ودامت زهاء ثلاث سنوات . وبهذه المناسبة يذكر كمال ان مؤلفه كان أستاذاً في الجامعة الأمريكية، سعى إلى لقائه بتوصية الأستاذ (هاشم جواد) وزير الخارجية في أيام "قاسم" وقد كان يدير مكتب الأمم المتحدة للشرق الأوسط من بيروت في العام (1970) وكان كمال مهيئاً لتلقي من المؤلف ، أسئلة معينة دون أن يكون لديّه أية فكرة عن الآفاق الواسعة التي ضرب فيها ، متوقعاً أن يذكرها له، لكنه لم يفعل ولم يفد أحدهم الآخر بشيء ، إلا أن كتابه هذا سيبقى دوماً منجماً لمعلومات لا نجدها في أي كتاب آخر". ويؤكد كمال أن أول الدلائل لتصويب ما جاء من "أخطاء" حول الوضع السكاني في كركوك، هو الإحصائيات الرسمية العراقية التي تدحض ما ذكره بطاطو . فمثلاً إحصائية(1957) تؤكد بما لا يقبل الجدل بأن نسبة سكان كركوك من الكورد هي (48،8 %) والعرب (28،2 %) والتركمان (21،2%) أي على عكس ما ذكر بطاطو بأنه: "وبحلول عام (1959) كان الأكراد قد أصبحوا يشكلون ثلث السكان".كما ذكرنا - ، بينما الملاحظ أن الإحصائية أجريت قبل عامين من التقدير والتخمين الذي وضعه بطاطو، والمنطق يحتم أن يعرف الجميع بأن عدد السكان في ازدياد مستمر مع تقادم الزمن وليس العكس . ويقول : ومن الدلائل الأخرى التي تناقض ما جاء به الأستاذ بطاطو، هي ما ذكره بنفسه في الصفحة (81) وما يليها، وحسب الجدول رقم (5 - 3) عن العائلات الرئيسة المالكة للأراضي في العراق عام (1958)، أو العائلات التي تملك أكثر من (30000) دونم من الأراضي، ويؤكد أن الجدول خلا تماماً من ذكر اسم أية عائلة تركمانية في العراق، واقتصر فقط على ذكر الكورد والعرب، أما بالنسبة لكوردستان ، فيشير كمال إلى أن بطاطو يذكر عائلة "بيكزاده" من عشائر الجاف ، ويعيشون على المساحة المملوكة بالدونم (539333) في السليمانية وديالى وكركوك، وجاء ذكر اسم السيد رستم السيد محمد كاكائي،وهم أكراد ولهم (191039) دونم في كركوك، وكذلك الطالباني من السنة ألأكراد،ولهم (137163) دونم في كركوك وديالى، وأيضا بابان من السنة ألاكراد مستعربون" هكذا يذكرهم - مستعربون لهم (81353) دونم في كركوك ديالى والحلة . كما يذكر أسرة الحفيد البرزنجي، من السنة أكراد ولهم (71716) دونم في السليمانية، وأحمد باشا، سنة أكراد، 52350 دونم في اربيل، وكذلك يذكر أسرة أحمدي خانقاه، سنة أكراد، 42351 دونم في كركوك، وميران بن قادر سنة أكراد (41584) في أربيل. ويشير مؤرخنا أن الجدول أيضاً خلا من ذكر اسم أية أسرة عربية في كركوك أو السليمانية أو أربيل من ملاكي الأراضي الكبار. وفي الصفحة (91) من كتابه، يقول: "وفي الجبال الكردية، إلى الشرق من طريق البريد، كان البابانيون المتمركزون في السليمانية يحكمون المناطق بين ديالى والزاب الصغير أو الأدنى، وكان السورانيون يحكمون المناطق الواقعة بين الزاب الصغير والكبير أو الأعلى، فيما كان البهدينانيون يحكمون الجبال إلى الشمال والشمال الشرقي من الموصل" ، أي جميع الأراضي التي تعرف بكوردستان

"كوردستان العراق" وما يعنينا هنا من ذكر هذه الأسطر، يقول كمال ، هو أن منطقة كركوك كانت تقع في قلب مناطق نفوذ حكم البابانيون الكورد. وفي فترات سالفة كانت كركوك تقع ضمن أملاك إمارة أردلان القوية التي حكمت زهاء ثمانمائة عام تقريباً.

وتواصلا في التطرق لنقوده العلمية ، وفي تصديه لشخصية الملك فيصل الأول ، يقول :" أن هناك أمور كثيرة عن حياة ونشاطات الملك فيصل الأول ، تحتاج إلى تقصٍ أكثر ظهرت علائمه في العديد من الأبحاث ، ويقول :وقد طغى الانحياز غير الموضوعي على قسم كبير من تلك الأبحاث التي تطرقت الى هذا الجانب من أعمال فيصل الأول لأنها نظرت إليه من زاوية انكليزية بحته ، أو من منطلقات مختلفة شكلت نواة الفكر السياسي الرجعي في البلاد أو بدافع التزلف للعرش ، أو لأنها أعطت بعض صفات الأمير الشخصية ونياته ، طابع الشمول ، أو لأن أصحاب بعضها هم أنفسهم من الذين تحملوا مسؤولية الأحداث معه ، فيحاولون إضفاء طابع مثالي بحت على الدوافع والمحركات لإيجاد مبررات للعديد من النتائج المؤلمة[161] .

وفي ضوء بحثه في نشوء حركة التحرر الوطني العربي في دراسة سوفيتية وضمن مباحث كتابه " أضواء على قضايا دولية "، عرج على كتاب ل. م . كاتلوف " نشوء حركة التحرر الوطني في المشرق العربي (أواسط القرن التاسع عشر - 1908) ، وبعد استعراضه لمفاصل هذا الكتاب ، استعراضاً علمياً ، لم يغفل بيان ما يراه ثغرة في منهجيته ، وهو بالتأكيد يندرج في سياق النقد العلمي . إذ يقول : ولكن على الرغم من ذلك ، يحس في الكتاب بفراغ عدم استخدام بعض المصادر الهامة عن تلك الفترة ، لاسيما تلك التي ألفها بعض المشتركين في أحداثها . وهنالك أيضا بعض المصادر القليلة التي تلقي بالضوء على جوانب من الحياة الاقتصادية لهذا الجزء أو ذاك من المشرق العربي ، كان بإمكان المؤلف الاستفادة منها في درسه لنواحٍ مختلفة من مسألة اندماج الولايات العربية بالسوق الرأسمالية العالمية ، ومن المصادر الأصيلة الهامة التي لم تستخدمها الصحف العربية الصادرة في تلك الفترة ، والمليئة بالمعلومات الطريفة عن سياسة السلطة العثمانية تجاه الولايات العربية ، وعن التحرك السياسي والاجتماعي في هذه الأخيرة وعن انعكاسات ثورة الاتحاديين في المشرق العربي . ولأن كان للمؤلف عذر في عدم توفر مثل تلك الصحف في المكتبات السوفيتية ، فأنه لا يرى من عذر له في عدم استخدامه حتى لجريدة (الأهرام) المصرية التي تتوفر أعدادها القديمة هناك، وهي وان لم تطبع في المشرق العربي ، إلا أنها كانت من أولى واهم جرائد الوطن العربي وفيها معلومات قيمة أيضا عن الدولة العثمانية وعن ولاياتها العربية .

وفي الوقت الذي ينتقد فيه الدكتور كاتلوف من ناحية إهماله غير المتقصد لبعض المصادر الهامة ، يؤكد مؤرخنا في الوقت نفسه على حقيقة أن العبرة ليست في استخدام اكبر كمية من المصادر ، بقدر كيفية استخدام تلك المصادر ووضع مضمونها في إطار عملي متماسك ، يعطي فكرة واضحة عن البحث ، وهو ما وفق إليه الباحث بكل جدارة[162].

وحين تحدث عن أول إضراب عمالي يحدث في العراق ضد الشركات الأجنبية ، أكد أن المؤلفين العراقيين ، كانوا قد أشاروا إلى هذا الإضراب حين كتبوا عن الحركة العمالية في العراق ،لكن التقارير البريطانية والملفات السرية وكذلك الصحف المحلية ، جميعها لم تتطرق إلى هذا الحدث ، تماشياً مع السياسة البريطانية المتبعة في العراق ، بوصفها دولة محتلة ، وهي إشارة منه على الموقف البريطاني المعارض لهذا التحرك الجماهيري ، وكدليل لالتزام الحكومة العراقية وقتذاك بالنهج البريطاني[163] .

وعندما تحدث عن الصحافة العمالية ، أشار إلى ظهور جريدة عرفت باسم العمال ، في مدينة الموصل مؤكداً على عدم إمكان إدخال هذه الجريدة ضمن الصحافة العمالية ، إذ لم يشترك في

---

[161] كمال ، أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط ، ص145

[162] كمال ، أضواء ، ص294 .

[163] كمال ، الطبقة العمالية ، ص126 .

إصدارها أو تحرير موادها عنصر عمالي. ويتقاطع كمال مع مؤلف كتاب " الصحافة العمالية في العراق " حين عد جريدة نداء العمال ، امتداداً لصحيفة العمال التي صدرت في الموصل ، لعدم توافق الجريدتين في مضمونيهما[164] .
وحين تطرق إلى الاجتماع الذي عقده البريطانيون والفرنسيون في كانون أول (1919) ، بشأن دراسة الوضع في تركيا ، أشار إلى أنهم بحثوا مسألتي كردستان والقفقاس . وبهذا الخصوص ، أشار إلى أن الوثائق البريطانية الخاصة ، كانت طافحة بالشواهد التي بإمكانها وضع النقاط على الحروف بشكل لا لبس فيه . ويقول : غير أن المهم ، بالنسبة لمجال بحثنا ، أن تلك الوثائق مليئة بالأفكار المتضاربة إلى حد الارتباك الواضح ، فهي تتحدث في وقت واحد عن "الحكم الذاتي والاستقلال" وعن "تشكيل دويلات كردية" وعن "ضمان حدود آمنة لمسيوبوتاميا في الشمال" ورفض " الحماية الفرنسية أو الانكليزية وكل أشكال الإشراف الأوروبي " و" ضرورة نيل بريطانيا حق الضمان لما يقرر للأكراد في جميع الأحوال[165].

العامل الديني وأثره في حركة التاريخ :-

إن الدين حالة حساسة،فهو يؤثر في العقل الباطن ، من حيث هو كامن فيه . وفي تواريخ الشعوب المختلفة نجد ان لهذا العامل أثره البالغ في حركة التاريخ ، بل في بعض الأحيان يسير على وفقه . ويرى كمال أن الإنسان الشرقي ينشأ ، فينشأ معه الدين . وهو أمر يبدو انه قد تحسسه ، حين أكمل دراسته في الاتحاد السوفيتي ، إذ وجد في جمهوريات القفقاس ، بل حتى بين الروس ، أن عنصر الدين رغم كل محاولات الدولة العلمانية السوفيتية مازال قوياً ومؤثراً، وأحس بمثل هذه الحالة الغريبة في (باكو) حين شاهد أكثر من مرة ، تشييعاً لمتوفى ، أن كبار المسؤولين وكان الملا يتقدمهم ويقرأ سورة ياسين من القرآن الكريم ، وهو أمر لفت نظره ، ولم يكن متوقعاً أن يرى المرء مثل هذه الحالة في الاتحاد السوفيتي ، فكيف بالنسبة للشعب الكوردي - كما يقول - . وأما بالنسبة للمجموع ، فعنصر الدين كما يراه عنصرا قويا ، ولكن عندما يصطدم هذا العنصر بالمشاعر القومية أو بالأحرى يستغل الدين للنيل من القيم القومية لأي شعب ، فأن رد الفعل سيكون مشروعاً ، وباتجاه يتناقض مع من يتبنى مثل هذا الأسلوب من التعامل مع القوميات الصغيرة .
ويؤكد كمال أن الكورد دخلوا الإسلام مخلصين له إلى أقصى درجة وليس ذلك لأنهم يختلفون عن غيرهم ، ولكن يجب البحث عن الدوافع الحقيقية التي جعلت منهم ، أن يكونوا مخلصين للإسلام . فلو عاد الشخص في التاريخ قليلاً إلى الوراء لوجد أن الكورد في ظل الساسانيين ، أصبحوا في وضع سيء للغاية ، وعندما جاء الإسلام ، تغيرت أحوالهم إلى الأحسن فلا حكم جائر ولا تدخل في شؤونهم ، ولذلك اخلصوا للدين الإسلامي إلى درجة كبيرة ، فأدوا أدورا متميزة في بناء الحضارة العربية الإسلامية . ويؤكد أن العديد من الأعلام في الحضارة العربية الإسلامية هم في الأصل كورد ، وهذا لم ينعكس سلباً على الواقع الكوردي، بل العكس ، لأن الحالة كانت هكذا يوم ذاك بالنسبة للكورد وغير الكورد، عندما يدب الانحلال في أي جزء من أجزاء هذه الدولة ، فأن الانحلال يسري لسائر جسدها . ولكن الاحتكاك بالحضارة الغربية ، والمشاعر القومية تفرض نفسها على الساحة ، إلا أن مصالح الدول الغربية أحيانا بل غالبا كانت تصطدم مع طموحات الشعب الكوردي، ومع ذلك فأن نضال هذا الشعب لم يتأثر بمثل تلك المظاهر .

كمال مظهر ومقولة "هل أن التاريخ يعيد نفسه" :

---

(164) المصدر نفسه ، 166 .
(165) كمال ، كردستان في سنوات الحرب ، ص342 .

يذكر كمال أن التاريخ علم ويمكن أن يعيد نفسه من خلال تشابه أحداثه لا تكرارها ، وحين التفكير في هذا الشئ وبنوع من التمعن ، يرى التقارب مع العلوم الطبيعية في مسيرتها وفي تفاعلها ، كما هو الحال في مزج ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين سينتج عنه قطرة من الماء . وهذا ثابت في أي زمان ومكان ، ثابت في بغداد او واشنطن او موسكو ، ولكن حتى هذه العملية لا يمكن أن تعيد نفسها بشكل مطلق في كل مكان . وافترض أن البعض قام بهذه العملية في صحراء ، فقطرة الماء لن تكون نظيفة . فإذا كانت في العلوم الصرفة هناك بعض الاختلافات فكيف التاريخ الذي مادته التاريخ والإنسان وهو خير ما أنتج الله .

ومن ذلك يؤكد كمال أن التأريخ فعلاً يعيد نفسه ولكن بشروط ، أي لا يمكن حصول ذلك بصورة آلية، ففرض عملية كيمياوية او عملية تتعلق بالطبيعة ، لا يمكن ان تعيد نفسها هكذا بصورة آلية ، إلا انه يرى وبصورة عامة أن التأريخ يعيد نفسه، مستشهداً ببعض مظاهر الماضي التي يعيشها المجتمع ، كالخلافات العشائرية على سبيل المثال ، والتي يراها من بقايا الفكر الإقطاعي ، ومع ذلك ، فأن هذا الأمر لا يقلقه ، لأنه يرى ان عجلة التاريخ لا يمكن أن تقف ، قد تتعثر ، إلا أنها تسير دوماً إلى أمام .

ويقف مؤرخنا عند حركة تاريخ الكرد ، مؤكداً انه مبعث تفاؤل، منوهاً بما حدث لثورة أكتوبر من انهيار النظام السوفيتي الذي أعطى نتائج سلبية بالنسبة للجميع ، ما عدا الكورد ، أي يفسر ذلك لصالحهم ، حين وجد في نهاية القطبان ، بروز قطب مؤثر جديد الى الساحة السياسية العالمية ، هي القوى الغربية ، التي يراها لا تحسب ذلك الحساب لإيران وتركيا كما كانت تحسب الحساب لهذين البلدين أثناء وجود الاتحاد السوفيتي وهذا ما يفسره مؤرخنا بالعامل المساعد ، إذ أصبح الكورد فعلاً رقماً على الساحة ، يحسب له حساب .

من أفكاره وتوجهاته :

كمال مظهر والفكر الماركسي :

لطالما أشار مؤرخنا إلى انه يؤمن بالفكر الاشتراكي ومدارسه الواقعية ، فهو يرى أن الماركسية علم عميق جداً ومن أفضل المدارس الاشتراكية، وان ماركس احد كبار العمالقة الذين ظهروا في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ومع ذلك ، فلديه بعض الملاحظات حول ما رفعته الماركسية من شعارات ، ولا سيما ما أشار إليه زميله المرحوم مسعود محمد في مقالته التي نشرها تحت عنوان "يا حكام العالم اتحدوا ويا عمال العالم تفرقوا" عكس ما قاله ماركس ..- وقد اتفق مظهر مع هذا النص إذ يرى ان عمال العالم لم يستطيعوا أن يتحدوا وعندما اتحدوا على صعيد القارة الأوربية،لم يفعلوا شيئاً مؤثراً، ولم يؤد ذلك إلى تحقيق الحلم الكبير الذي بشر به كارل ماركس، ومع ذلك كان المرحوم مسعود محمد يقر بأن كارل ماركس احد عمالقة الفكر في التاريخ البشري وكان يكرر قوله دائماً لو خيروني ان اختار عشرة من كبار الفلاسفة والمفكرين في التاريخ البشري ، فدائماً اختار واحداً منهم ، كارل ماركس ، ولو خيروني ان اختار ثلاثة فلاسفة ومفكرين فسأختار ماركس واحداً منهم.. وهذا على ما يبدو اعترافاً واضحاً من مؤرخنا في تفضيله للفكر الماركسي على غيرها من النظريات السياسية التي برزت في التاريخ المعاصر .

ويرى أن الماركسية بمثابة علم عميق اختلفنا معها أم اتفقنا ،ولو قدر لماركس أن يحيا ويعيش مخترعات القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين ، فأنه حتماً كان سيعيد النظر في طروحاته الفكرية ، وربما في العديد منها . ويؤكد أن الماركسية اهتمت بالتاريخ واعتبرته علما قائماً بذاته وأدت دوراً كبيراً في شيوع التحليل الفكري للأحداث ، وليس مجرد سرد لها ، وهذا ما يحتم على المؤرخ أن يكون حيادياً .

ويعود إلى الحديث عن الماركسية ، فيرى من الصعب فهم الماركسية دون الرجوع إلى مؤلفات لينين التي تبلغ (55) مجلداً باللغة الروسية.. وماركس لم يفكر في روسيا مكاناً يتوقع ان

تنتصر فيه الثورة الاشتراكية بل كان يتوقعها في ألمانيا وانكلترا ، فالخلل ليس في الاشتراكية بل في هذا الجمود وعدم محاولة تجاوز نقاط الضعف التي كانت في الفكر الماركسي أولا ، وعدم الرجوع إلى مؤلفات لينين ثانياً والتركيز على الجوانب السلبية في الاتحاد السوفيتي لان هناك في المقابل إضافة إلى الجوانب السلبية ، جوانب ايجابية غير قليلة لأننا عايشنا هذا الشيء .

وواضح ان الدكتور كمال ، يعتقد بأرجحية الفكر الاشتراكي في بناء مجتمع متكامل ، لا سيما وانه كان ومنذ شبابه ، يميل الى الفكر الاشتراكي لاعتقاده ، بان هذا الفكر يضمن سعادة الإنسان ويساعد على حل المشكلات القومية حلاً عادلاً جذرياً . ويبدو أن هذه العاطفة دفعته وهو لما يزل في مرحلة الثانوية إلى ان ينتمي إلى اتحاد الطلبة الذي كان عبارة عن منظمه شيوعية تعمل وتجتمع في الخفاء سنة (1952) . ويشير جيداً الى الاجتماع السري الذي عقده الاتحاد بمناسبة ، وفاة ستالين[166] في ذلك الحين في إحدى المقابر القريبة من ثانوية السليمانية، وكان معظم أصدقائه من الوطنيين الماركسيين .

وحين دخوله الجامعة ، أصبح مرشحاً في الحزب الشيوعي العراقي ، ونال العضوية في عام 1958، إلا انه ابتعد عن الحياة الحزبية نهائياً عام 1961 ، حين كان طالب دكتوراه في الاتحاد السوفيتي ، ومع ذلك فأن أيمانه بالفكر الاشتراكي لا يزال قائماً .

كمال مظهر والنظام البعثي .

من ضمن ما يتذكره مظهر من المواقف التي لا ينساها إبان عهد النظام البعثي ، أن الدولة قد وافقت على دراسته في الاتحاد السوفيتي . وبعد مدة يبدو انه اعتنق الفكر الماركسي ،أو على الأقل ، مال إليه ، وهو أمر لم يخفَ على الحكومة العراقية ، التي بدورها أرسلت له وزملائه بوجوب العودة إلى العراق والتخلي عن الدراسة أو الذهاب إلى بلد غربي لإتمام دراسته ، وقررت الحكومة العراقية وقتها فصله وجماعته وذلك سنة 1963 بعد أن رفض قرار العودة ، لأنه كان على أبواب مناقشة أطروحته الأولى ، وحينذاك تم قبوله كلاجئ سياسي وكان ينوي البقاء خارج العراق ، إلا أن بيان آذار هو الذي حركه . وبعد صدور هذا البيان حزم أمتعته ، ورجع إلى العراق وكان متحمساً للعمل ، بل وكان مؤمناً بالوحدة الوطنية .

لقد وجد أن هذا البيان ، مثّل خطوة مهمة للأمام ، وتعزز لديه هذا الأمر حين عاد إلى العراق ، إذ تم اختياره عضواً وأميناً عاماً في المجمع العلمي الكردي ، إلى أن حدثت الانتكاسة ، وتبين بأن هذه خطة مناورة لئيمة من صدام حسين الذي كان يبتغي احتواء القضية الكردية بأسلوب مرفوض ، فحين لم يتمكن من تحقيق هذا الأمر عن طريق السلاح ، حاول أن يلتف على القضية الكردية ، وانتهت الأمور في عام (1974 و1975) ، إذ بدأت الانتكاسة ، مما أوحى أليه بضرورة الذهاب إلى بلد أوربي .

لم يكن لمظهر أي علاقة بالبعثيين أو المسؤولين في الجامعة ، وقد حاولوا ان يتقربوا له ، ألا انه كان دائماً يتحدث بلغة علمية ، إذ كان واثقا بأنهم كانوا واثقين من انه ليس لديه أي ارتباط سري . واعتاد على إلقاء محاضراته بأسلوب علمي ومنهجي ، وكان عارفاً ماذا يقول .

ويذكر انه تم العثور بداية انهيار النظام ، على بعض الوثائق السرية المتعلقة به، وقد أبدى اعتزازه بهذه الوثائق ، التي لم تصله بعد من المعنيين . وتحدث عن قصة تلك الوثائق ،إذ كان هناك مركز البحوث والمعلومات التابع لمجلس قيادة الثورة ، وكان فاضل البراك مدير الأمن العام في ذلك الوقت معجباً بالدكتور كمال وسبب إعجابه هو انه كان يدرس الدكتوراه في

(166) القائد الثاني للاتحاد السوفييتي، ويعتبر المؤسس الحقيقي للاتحاد السوفيتي. عرف بقسوته وقوته وأنه قام بنقل الاتحاد السوفييتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي مما مكنه من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى.

الاتحاد السوفيتي ، وكان المشرف على رسالته "كاتلوف" الذي كانت تربطه بمظهر علاقة أخوية قوية جداً ، ويذكر كمال ، أن كاتلوف ، أقام على حسابه احتفالاً خاصا لأعضاء لجنة المناقشة ولأصدقائه المقربين في بيته ، حين ناقش أطروحته الثانية في الاتحاد السوفيتي عام 1969، وهذا شيء ليس سهلاً في أوربا وفي الاتحاد السوفيتي بالذات في بيت "كاتلوف" .

وعن طريق مدير مركز الأبحاث والمعلومات أرسلوا لكاتلوف بحثاً علمياً للتقييم، فأناب عنه الدكتور كمال لتقييم البحث ، وإذا بمدير المركز ، يزور مظهر في بيته ، ومعه ظرف يحتوي على مبلغ قدره (200) دينار في ذلك الوقت حوالي(1000) دولار ، فلم يكن لديه استعداد لأخذ دينار واحدٍ وأعاد المبلغ مع الشكر . والى ذلك ، أشار كمال إلى أن النظام البعثي خلق مع كل إنسان متعلم قصص وروايات ، ولا يمكن للمرء أن يحيط بكل تلك الروايات ويتحدث عنها .

ـ كمال مظهر احمد والتاريخ الكردي :

يتقاطع كمال مظهر مع من يرى أن تاريخ الكرد ، هو تاريخ شفاهي وليس مدون على اعتبار أن الأمية كانت متفشية الى حد بداية القرن العشرين وليس هناك من يكتب التاريخ الكردي ، بل العكس كما يراه كمال ، فهو يرى دائماً خطأ هذه الفكرة ، مؤكداً أن هناك العديد ممن تصدى للكتابة عن هذا التاريخ من أمثال (سرحان البكيسي) الذي ألف كتاب عنوانه (شرق داما) وهو كتاب تاريخي مهم قبل أكثر من (4) قرون . فالتاريخ الكردي لم يكن مدوناً بل أن الأمية كانت متفشية والفلكلور كان يمثل مصدر أصيل في تاريخ الأمم وليس فقط تاريخ الشعب الكردي . المهم أن يد التزوير قد امتدت إلى صفحات غير قليلة من تاريخ الشعب الكردي ، ومن ذلك وجد أن مهمات المؤرخ الكردي أصبحت مهمة غير سهلة .

ويبدو واضحاً أن مؤرخنا كمال ، كان يتحسس ما كانت تعانيه حركة الفكر السياسي للدولة العراقية في سنوات ما قبل ثورة (1968) ، لاسيما إزاء المسألة الكردية . فما أن حلت تلك المرحلة ، حتى راح يتوقع أن ثمة تغيير سيقع ، فهو يقول " فعلاً في البداية كلنا كان يحس بقدرٍ من التحوّل في التوجهات الفكرية لحزب البعث قياساً بما كان عليه الأمر في العام (1963)، وفي ذلك الوقت يتذكر بصورة جيدة سلسلة من المقالات ، نُشرت في جريدة الثورة بعنوان: "كيف السبيل إلى حل المسألة الكردية؟" والمقالة كانت مكتوبة أغلبها من قبل حميد عثمان وبإشراف طارق عزيز . وهي إشارة إلى أن السنوات التي تلت ثورة (1968) ، لم تكن بأحسن حال من السابقة لها بشأن المسألة الكردية . أما بخصوص الجبهة الوطنية ، فيرى أنها كانت حالة إيجابية، لاسيما وأنها قد مثلت الإطار الذي كانت القوى الوطنية تتحرك فيه . ومنذ السنة (1957) مهّدت هذه الجبهة الطريق لانتصار ثورة 14 من تموز ، بعد أن اجتمعت كل القوى الوطنية العراقية ، حول أهدافٍ محددة معينة وفي خندق واحد وكانت النتيجة ثورة 14 من تموز .

ويقول الدكتور كمال مظهر احمد ((إن التاريخ الكوردي لم يدرس بعمق وبعلمية على صعيد الوطن العربي إلا ما ندر ، بينما نحن بحاجة إلى دراسته بصورة عميقة ، والمصلحة تقتضي ذلك وإننا بحاجة إلى إعادة بناء الجسور .. ومع ذلك فانا متفائل وأتوقع أن كل هذه الأمور ستتحول إلى الماضي والى دروس وعبر)) ويشير إلى بيان 11 آذار (1970) المتعلق بحل القضية الكوردية في العراق ويقول ((بأنه نقطة تحول مهمة)) [167].

ويتحدث كمال عن أول تقسيم حقيقي وفعلي لكوردستان ، إذ كان بعد حادثة "جالديران" كما هـــــــــــــــــــــــو معــــــــــــــــــــــــــــروف،
يبدي رغبة بالرجوع قليلاً إلى الوراء، حين يصف حال الشعب الكوردي تاريخيا ، بأنه لا يختلف عن حال اعرق شعوب المنطقة، ويرى أن الكورد هم ضمن أقدم شعوب منطقة الشرق

---

[167] مقابلة أجراها معه محرر في جريدة العراق (البغدادية) ونشرت في العدد الصادر يوم 21 تموز 2001 .

الأوسط، مؤكداً أن ذلك كلام الباحثين المتخصصين في هذا المجال من أمثال البروفيسور الكبير (مينورسكي) وغيره .

ويؤكد أن للكورد مثل شعوب المنطقة ، كانت لهم حالهم وحضارتهم ودورهم ودولتهم، وقد يستغرب البعض عندما يعلمون بأن شعوب زاكروس الشعوب الأصلية في جبال زاكروس ، هي التي تكون الشعب الكوردي مثل الكوتيين واللولو و السوبارتيين وغيرهم " .الكوتيون" حكموا بابل لمدة ما لا تقل عن مئة سنة ولديهم أكثر من (20) سلالة حاكمة في بابل ، وكذلك فأن الإمبراطورية الأشورية سقطت بيد الميديين الذين يدخلون ضمن الصنف الثاني للشعوب المكونة للشعب الكوردي . ويؤكد أن الكورد، حتى في ظل الدولة العربية الإسلامية وضمن الحضارة الإسلامية، كانوا يتمتعون بالظروف نفسها التي تمتعت بها الشعوب الأخرى ، والإسلام لم يتدخل في قضاياهم وشؤونهم الداخلية، لذلك كانت لهم دولهم وإماراتهم قبل معركة "جالديران".

وفي هذا السياق ، يشير كمال إلى كتاب شرف خان البدليسي ، المعنون بـ"الدول والإمارات الكردية" الذي يتحدث عن هذه الدول والإمارات ومعركة "جالديران" أو الصراع ألصفوي العثماني اذ ترك أثرا سلبياً كبيراً على مصير الشعب الكردي إلى أن ظهرت إمبراطوريتان قويتان متصارعتان ، هما الإمبراطورية العثمانية منذ القرن الثالث عشر ومن ثم الإمبراطورية الصفوية منذ بداية القرن السادس عشر وأواخر القرن الخامس عشر .

ويقف عند تلك النقطة ، ليرى أن المشكلة تتمحور في أن الصراع أصبح محتدماً بين هاتين الإمبراطوريتين وعلى أساس مذهبي ، لأن الصفويين هم الذين اختاروا المذهب الشيعي وفرضوه فرضاً على إيران . يعني قبل ذلك أن التوجه السني في إيران كان أقوى من التوجه السني في المناطق الأخرى، أي في أصفهان وهي قلعة من قلاع الشيعة في الوقت الحاضر . ويستذكر يوم من الأيام حين كانوا يعتبرون "معاوية" في صفوف الأنبياء[168]، وعندما أصبح الصراع قائماً على أساس طائفي انعكس ذلك على الشعب الكوردي الى درجة كبيرة . مع ذلك حتى بعد معركة "جالديران" سنة (1514) بقيت الدول والإمارات الكردية تتمتع باستقلالها الذاتي دون أن يتدخل السلطان العثماني او الشاه الإيراني في الشؤون الداخلية للأمارات الكوردية . وأكد أن الشيخ رضا الطالباني أشار إلى هذه الحقيقة، حين أنشد:

"له بيرم دى سليمانى كه دار الملكى بابان بوو "

أي أتذكر أن مدينة السليمانية كانت ملكاً لإمارة بابان ، بمعنى أنهم وحتى في القرن التاسع عشر ، كانوا يتمتعون بالاستقلالية التامة، إذ أن التغيير الأساسي يبدأ في أواسط القرن التاسع عشر مع الاندماج بالأسواق الرأسمالية مع ظهور الدول المركزية وبروز القوى الاستعمارية على صعيد المنطقة . من هنا يرى مؤرخنا بداية التغيير الجوهري في الموضوع . ليعود في ذاكرته البحثية إلى العهد العثماني ، وحين يقفز أمامه تساؤلا مفاده : هل كانت في أثناء الحكم العثماني حركات سياسية أو عشائرية كوردية ناهضت العثمانيين؟ فانه يؤكد على وجود مثل تلك التجمعات التي أخذت على عاتقها مهمة التصدي والتغيير كما هو الحال في بروز ما عرف بـ "ايليتا"[169] والتي رفعت شعار القومية الكوردية .

والى ذلك ، اهتم مؤرخنا بتوثيق جوانب مهمة من التاريخ الكردي الحديث ، وإبراز دور الصحافة الكردية فيه ، كما في كتابته عن جريدة (تكيشتن اراستي) أي فهم الحقيقة (بالكردية) وهي صحيفة أصدرها الإنكليز بعد احتلالهم بغداد في (11 آذار 1917) . وفي هذا السياق ، يشير إلى أهمية المذكرات ، وهو على ما يبدو دفعه إلى المساعدة في إصدار مذكرات كل من

---

(168) أورد كمال تلك الإيماءة كناية عن الإشارة لاعتزازٍ مرحليٍ لجماعة بمعاوية ، ولا يعني قطعاً ما يفهم من معنى الأنبياء .

(169) النخبة المثقفة الكوردية التي برزت ، بوصفها انعكاس لعوامل وتفاعل مع ما يحدث من تفاعلات خارجية ، لا سيما بعد الاندماج بالسوق الرأسمالية العالمية .

احمد مختار بابان وفؤاد عارف . ومع ذلك فهو ، يحذر طلابه وقرائه من الوقوع تحت تأثير أصحاب المذكرات ، فالمذكرات مصادر أصيلة ومهمة ولكن على الطالب والباحث أن يكون سيد مادته وليس عبدا لها .

وينظر مؤرخنا نظرة عدم رضا من المؤرخين العراقيين ، لأنهم في نظره لم ينصفوا القضية الكردية في العراق ، ويرى أن هذا الأمر ينطبق على المؤرخين المتعصبين وحدهم ، خصوصاً في ظل النظام السابق الذي حاول حثيثاً تشويه صفحاتٍ مهمة من تأريخ الكرد . يقابل ذلك عددٌ غير قليل من المؤرخين المعروفين العرب والعراقيين الذين برزوا في العهد الملكي ممن أَولوا في أشهر مؤلفاتهم تأريخ الكرد قدراً من اهتمامهم ، يأتي في المقدمة منهم المؤرخان عبد الرزاق الحسني صاحب "تاريخ الوزارات العراقية" ، وعباس العزاوي صاحب "تأريخ العراق بين إحتلالين". ويذكر انه وبعد انهيار النظام خطط قسم التأريخ في كلية الآداب بجامعة بغداد لتجاوز هذا الخللْ، وقد كُلف الدكتور خصيصاً بإلقاء محاضرات عن القضية الكردية على طلبة الدراسات العليا.

ويوجه الدكتور عتبه إلى المنتمين للنخبة العربية الذين يجهلون كُلّ ما يتعلق بتأريخ الكرد إلى حد ٍ كبيرٍ للغاية، مُستثنيا من ذلك فقط عددٌ قليل من التقدميين العرب ممن يُقدِرون بصورة واقعية مدى أهمية وضرورة الاهتمام بكل ما هو كردي من أجلِ تعزيز أواصر الأخوة بين الشعبين العريقين . ويرى انه لا يبالغ حين يؤكد أن الكرد يأتون على رأسِ قائمة شعوب المنطقة من حيث خدماتهم الجليلة التي قدموها لبناء الحضارة العربية – الإسلامية وتطويرها، ويرى أن ما يذهب أليه من رؤى ، يستند إلى حقائق تاريخية ثابتة ، فضلاً عن تحليلٍ موضوعي وجد طريقه إلى العديد من دراساته المنشورة ومحاضراته المسجلة. ويقول : إذاً كان هذا حال المؤرخين العرب العراقيين ، فكيف لنا أن نتصور حال المؤرخين العرب غير العراقيين. وإزاء ذلك أشار إلى ما قاله الشاعر الفلسطيني التقدمي (معين بسيسو)[170] عن صلاح الدين الأيوبي الذي جعله انتصاره بطلاً عربياً في نظر المتعصبين العرب الذين كانوا يُعِدونه "كلباً كردياً حقيراً" لو انقلبت الآية وأندحر الشخص نفسه أمام الغزاة الصليبيين . مع ذلك يؤكد مؤرخنا ظهور بعض بوادر الاهتمام العربي بالتأريخ الكردي، إذ لاحظ ذلك في مؤتمر (العلاقات العربية – الفارسية....الوضع الراهن وآفاق المستقبل) الذي عقد في الدوحة أواسط تسعينيات القرن الماضي، ومثل ذلك الشعور ، أحس به مؤرخنا في مؤتمر تأريخي علمي آخر عقد في مطلع سبعينيات القرن الماضي ، إلى جانب طروحات الباحث اللبناني المرحوم يوسف إبراهيم يزبك في المؤتمر الأخير ، وقد أبدى الدكتور ايمَ إعجاب بكتاب هذا الباحث " النفط مستعبد الشعوب" الذي نشره في العام (1934)، وقرأه بإمعان وكان طالباً في مرحلة الدكتوراه.

---

(170) شاعر فلسطيني من مواليد غزة (1926) ، عاش في مصر حيث خاض تجربة المسرح الشعري . أنهى علومه الابتدائية والثانوية في كلية غزة عام (1948) . وهو شقيق الكاتب والأديب عابدين بسيسو . بدأ النشر في مجلة " الحرية " اليافاوية ونشر فيها أول قصائده عام (1946) ، التحق سنة (1948) بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وتخرج فيها عام (1952) في قسم الصحافة وكان موضوع رسالته " الكلمة المنطوقة والمسموعة في برامج إذاعة الشرق الأدنى " وتدور حول الحدود الفاصلة بين المذياع والتلفزيون من جهة والكلمة المطبوعة في الصحيفة من جهة أخرى. انخرط في العمل الوطني والديمقراطي مبكرا، وعمل في الصحافة والتدريس. وفي 27 كانون الثاني (يناير) (1952) نشر ديوانه الأول (المعركة). سجن في المعتقلات المصرية بين فترتين الأولى من(1955) إلى (1957) والثانية من (1959) إلى (1963) . كان معين شيوعيًا فلسطينيًا وصل إلى أن أصبح أمينًا عامًا للحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة، وكان سمير البرقوني نائبًا للأمين العام مقيمًا في القطاع، وفي عام (1988) عندما توحد الشيوعيون الفلسطينيون في حزبهم الموحد، أعلن بسيسو ذلك من على منبر المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد بالجزائر حينها ،وظل معين عضو اللجنة المركزية للحزب حتى وفاته .

أما عن تأريخ الكرد الفيليين ، فيرى أن هذا التاريخ بحاجة إلى سلسلة من الدراسات العلمية العميقة . ولا ينكر وجود عدد من المؤرخين الكرد مثل (شرفخان البدليسي ، محمود البايزيدي، محمد أمين زكي، حسين حزني الموكرياني، رشيد ياسمي، الدكتور جمال رشيد وغيرهم)، وكذلك الأجانب (مينورسكي، نيكيتين،لونكريك، سافراستيان، فلجيف سكي ، خالفين، فاساليف اسيليف وغيرهم) القوا الضوء على جوانب شتى من تأريخ الكرد، بضمنهم الفيليين، ومع ذلك يؤكد أن الميدان لا يزال مفتوحاً على مصراعيه أمام الأقلام الرصينة لتُدلي بدلوها في هذا المضمار المهم . ويؤكد على أن الفيليين يؤلفون واحداً من أعرق مكونات الشعب الكردي، وهم أغلب الظن يكونون السكان الأصليين لأجزاء واسعة من كردستان الجنوبية- الشرقية، وأنهم كانوا من أولى ضحايا النظام الدكتاتوري ، إذ إستُشهدَ المئات منهم، كما هُجّرَ الآلاف غيرهم بحجج واهية، وهم عانوا جُلَّ ما عانوه بسبب انتمائهم القومي قبل أي شيء آخر، إذْ لم يَكنْ العنصريون بغافلين عن الدور المتميز الذي أداه الفيليون في صفوف الحركة القومية الكوردية المعاصرة، مما مهد الطريق أمام العديد من المنتمين الى نخبتهم ليتبوءوا أرفع المواقع في الصفوف القيادية للحركة تلك . ولا يخلو من مغزى بالنسبة للدكتور على الأقل أن يشير إلى أن أحد أوفى وأعز طلاب الدكتور هو (عصام كاظم الفيلي) الذي يصفه بالمثالي في كل شيء ، وكم تمنى مخلصاً أنْ يكون أحد ممثلي الكرد في مجلس النواب، وذكر انه كرّس رسالته لموضوع حيوي تناول الدور السياسي للنواب الكرد في عهد الملك فيصل الأول وقد أنجزها بأشراف الدكتور ، الذي تمنى أن تَجدْ رسالته تلك ، طريقها إلى الطبع.

وفي مقابلة أجراها معه محرر في جريدة العراق (البغدادية) ذكر الدكتور كمال مظهر احمد ((إن التاريخ الكوردي لم يدرس بعمق وبعلمية على صعيد الوطن العربي إلا ما ندر ، بينما نحن بحاجة إلى دراسته بصورة عميقة ، والمصلحة تقتضي ذلك وإننا بحاجة إلى إعادة بناء الجسور .. ومع ذلك فانا متفائل وأتوقع أن كل هذه الأمور ستتحول إلى الماضي والى دروس وعبر)) ويشير إلى بيان 11 آذار (1970) المتعلق بحل القضية الكوردية في العراق فيقول ((بأنه نقطة تحول مهمة)) [171].

ويرى في حركة التحرر في العراق بالنسبة لجميع القوميات والأقليات ، أنها بلغت شوطاً بعيداً قبل الاحتلال وأسست لجوانب مهمة في هذا المجال ، ولا سيما إبان سنوات الاحتلال، فأن المحتلين كما يرى قد تصرفوا تصرفات غير لائقة فكان ذلك مسوغاً مناسباً لتفجير ثورة في الفرات الأوسط ،وصفها بالثورة التحررية والعقلانية . والتفت إلى الجانب الإنساني لدى الثوار من خلال أسلوب تعاملهم مع الأسرى ، إذ كان مثالاً للقيم العالية التي حملوها ، مستندا في تأكيد ذلك إلى وثائق الثورة المتوفرة . والى جانب ذلك أشار مؤرخنا إلى ثمة خصائص امتاز بها الثوار ، وقد أوصى بها قادة الثورة ومنها : الرفق و الرحمة بالأسرى وان يتعاملوا معهم معاملة إنسانية، فكان لهذا السلوك ، انعكاس واضح على مجلس العموم البريطاني والصحافة البريطانية . وكم رفع من قدر الثوار العراقيين . وأمام ذلك يؤكد كمال أن الثورة كانت ثورة مشروعة ، وقد فرضت على البريطانيين التراجع عن كثير من مفاهيمها إزاء العراقيين ، حين و ضعت اللبنة الأولى لاستقلال العراق . وأمام تلك المعطيات وجد كمال أنه من غير الممكن ، وأمام هذه الحركة الثورية أن يبقى الشعب الكوردي بعيداً عن هذه الثورة . ومن أجل بيان نضال الكورد وإسهامهم في هذا الحدث الجلل ، عمد إلى تأليف كتابٍ بعنوان (دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين العراقية) . وفيه أراد القول ، بأن الحركات الكوردية لم يكن لها دور كبير مثل جماهير بغداد أو جماهير الفرات الأوسط ، ووجد السبب يكمن في أن الانكليز وجهوا ضربة قاصمة إلى الحركة التحررية عشية ثورة العشرين ، ففي (1919) حزيران قضوا على حركة الشيخ محمود ، وتم نفيه إلى الهند فكان هنالك نوع من المد والجزر في

---

[171] نشرت في العدد الصادر يوم 21 تموز 2001 .

الحركات التحررية الكوردية ، ومع ذلك ، يمكن الإشارة إلى اشتراك فعلي لاسيما في اربيل وفي بعض مناطق كركوك إذ اشتركوا اشتراكاً فعالاً في هذه الثورة .

وتحدث عن الحركة القومية التحررية في كوردستان العراق ، مؤكدا أنها اتخذت منحاً ثورياً ، ربما أعمق إلى حد ما من الحركات الثورية في الأجزاء الأخرى من كوردستان ، اذ أن احد الأسباب الأساسية لهذا الشيء هو أن المواطن في كوردستان العراق ، حين يناضل ضد محتل أجنبي ، يختلف عن حالة النضال ضد السلطة الحاكمة كأن تكون السلطة القاجارية او السلطة البهلوية في إيران أو ضد الكماليين في تركيا .

وعن حقيقة ما اتهم به قادة الكرد من العمالة للأجنبي ؟ أشار متسائلاً عن فحوى هذه الادعاءات ؟ مؤكداً أن الشعب الكردي يعيش مع هذا الشعب العربي ، تحت سقف واحد ، وان التاريخ يشهد أن لكلا الشعبين حضور مميز في تاريخ بناء هذه البلاد . منوهاً بما اسماه بالوصفة الجاهزة التي اعتاد عليها من يروم تشويه تاريخ الشعوب المناضلة ، إذ يرى أن من أسهل الأشياء على البعض ، اتهام من لا يتفق معه في الرأي بالعمالة ، ولكن التأريخ لا يحتمل مثل هذه الأحكام وأن الوثائق السرية واضحة وأن قادة الكورد كانوا يناضلون وفي أصعب الظروف لأن ما قاساه الشعب الكوردي لم يقاسه أي شعب آخر . وحين استفسر منه عمن هم الذين يهيئون المكائد والاتهامات للقادة الكرد ؟ أكد أنهم القوميون المتطرفون،فالبسطاء من الشعب العربي لا يفعلون ، مشيراً إلى ما حدث في (1915) أثناء معركة الشعيبة في منطقة السماوة ، حين رفع البسطاء من الناس شعارهم (ثلثي الجنة لهادينا) يقصدون هادي مكوطر احد زعماء الناصرية و(ثلث الجنة لكاك احمد وأكراده) ، ومن ذلك يرى أن القومي المتطرف المتعصب المنغلق الفكر ، كان يسير على العكس من هذا التوجه .

وحين تحدث عن وجود تيارات أو حركات وثورات أخرى غير ثورة الشيخ محمود تزامنت مع ثورته ، أشار إلى وجودها ، مؤكدا أن هنالك حركات كثيرة جداً لم تكن في مستوى حركات الشيخ محمود . مقرراً أن منطقة السليمانية وارثة للأمارة البابانية، وان النخبة في السليمانية تكونت بسرعة ، فإحدى المدارس الرشدية العسكرية الأولى فتحت في العراق ، وفي مدينة السليمانية أيضا . ووجد أن تلك المزيات أدت إلى أن يكون الاستعداد الثوري في هذه المنطقة ، أكثر من الاستعداد الثوري في المناطق الأخرى . ومع ذلك فالمناطق ، هي الأخرى لم تقصر ، فمثلاً في منطقة برزان ، وقبل ان تبدأ حركة الشيخ محمود ، بدأت حركاتهم الثورية من قبل الشيخ عبد السلام الذي اعدم من قبل الاتحاديين .

وفي سياق حديثه عن نضال الكورد ضد الاحتلال البريطاني ، أكد على أثر الجماهير وموقفها من نفي الشيخ محمود إلى الهند موضحاً أن نفيه هذا ، أثار استياء كبيراً ، وباعتراف الوثائق البريطانية ، فأن الحركة القومية الكوردية في تلك المرحلة ، أصبح محتواها الأصلي التركيز على إعادة الشيخ محمود . وقد تحقق هذا الأمر فعلاً ، وعاد الشيخ من منفاه في الهند . ولأن كمال يدرك أن الجزء لا يمكن أن ينفصل عن الأصل ، وان ما يجري في ركن في هذا البلد ، ينسحب على الركن الآخر ، فقد تحدث عن دور العشائر العراقية بصورة عامة ، وأشار إلى أن تلك السنوات كانت قد شهدت بروز عدد من عشائر كوردية قاومت الاحتلال، كحال غيرها من عشائر العراق الأخرى، مؤكداً على الإسهام العشائري الثقيل في سريان هذه الثورة ، حين أدت هذه العشائر دوراً كبيراً في تلك الحركات والانتفاضات التحررية ، منوها ببعض العوامل التي وجدها قد هيأت أمام العشائر الكردية ، سبل المواجهة المسلحة ، ومنها أن الفلاحين من أبناء هذه العشائر يؤلفون الأكثرية ومن ثم ليس بالضرورة أن يكون رئيس العشيرة مجرداً من المشاعر القومية أبدا ، فان رؤساء العشائر أيضا يظهر بينهم من يحمل أفكارا قومية متطورة ، فهذه العشائر وهذه الحركات ، كانت تمثل الوجه المشرق للحركة الجماهيرية الكوردية . ويشير إلى الشيخ محمود الذي قاد هذه الانتفاضات الكردية بالدرجة الأساس في البداية في العراق ، أما في إيران فيؤكد أن سمكو شكاك ، هو الذي قاد الحركة ،

في حين من قاد تلك الحركة في كوردستان تركيا فهو الشيخ سعيد بيران[172]، والى ذلك اشار وفي هذا السياق الى الدكتور فؤاد ، الطبيب المعروف الذي أعتلى منصة الإعدام مع الشيخ سعيد بيران جنباً إلى جنب . وهذه الحركات كما يراها مظهر ، تمثل كل الشعب الكردي والجماهير الكردية مادامت تعبر عن طموحات أبناء هذا الشعب .

رؤيته إزاء مبررات عدم توحد الإمارات الكردية كما حدث في الإمارات العربية المتحدة:

لماذا لم تكن الإمارات الكوردية على وئام كامل مع بعضها ؟ ولماذا لم تتحد هذه الإمارات مثلما حدث في الإمارات العربية المتحدة ؟ ومع كل تلك التطورات التي حصلت لماذا لم يفكر الكورد في تلك الأوقات بالتوحيد ؟ كل تلك التساؤلات ارتسمت أمام مؤرخنا ، وكأنها توجز ما تبتغيه الأجيال من فهم وإدراك لتلك الحقيقة ؟ ليجد أن قائل تلك التساؤلات ، يغفل انه يقارن بين حالتين مختلفتين . ففي مطلع إجابته عن تلك التساؤلات ، أعاد مؤرخنا الذاكرة إلى الوراء وصولاً عند العصور الوسطى ، ليؤكد أن الإمارات الكوردية كانت متناحرة ، وهي حالة ثابتة في كل زمان ومكان كما يراها ، منوهاً بأن كل الإمارات الإقطاعية الأوروبية كانت متناثرة أكثر مما كانت الإمارات الإقطاعية الكوردية، وتلك هي طبيعة النظام الإقطاعي والفكر الإقطاعي . وهكذا فالصراع كان شيئاً طبيعياً.على أن عملية التغيير كما يراها تحتاج وقت طويل وجهد ومثابرة ، لا سيما وان عالم اليوم قد تغير إلى درجة كبيرة ، مما يفرض نفسه على الواقع الكوردي دون أدنى ريب .

وحول تطور الفكر لدى الكرد والمؤثرات في ذلك ، أشار إلى أن كل إفرازات الاندماج بالأسواق الرأسمالية العالمية كانت قد طالت الشعب الكوردي أيضا فتكونت النخبة المثقفة الكوردية، الموسومة بـ "ايليتا" . هذه النخبة التي تفكر بأسلوب جديد حول المشاعر القومية التي تجلو فيها بوضوح منذ القرن التاسع عشر أثناء انتفاضة البدرخانيين ثم دور العائلة

---

[172] في سلسلة شخصيات كردية أعدها الباحث ياسين عمر ، قال عن الشيخ سعيد بن الشيخ محمود بن الشيخ علي انه ولد في قضاء بالو بولاية "آلازغ" سنة (1865م)، و كان جده الشيخ علي قد استقر في (بالو) و نسب إليها. درس الفقه والشريعة الإسلامية وتـاريخ الكرد وكردستان، منح شهادات الإجازة والتدريس لطلاب العلم الذين كانوا يكملون الدراسة الدينية، وبعد وفاة والده انتقلت إليه الزعامة الدينية، وأصبح مرشدا للطريقة في بالو، وقد بلغ عدد مريديه وأتباعه أكثر من عشرة ألاف، كان من بينهم العديد من الترك،أما البقية فكانوا من الكرد. وكانت له صلات وثيقة مع العائلات الوطنية كعائلة بدرخان بك وعائلة الشيخ عبيد الله النهري، فضلاً عن الزعماء الكرد المعاصرين له . عندما تأسست الجمهورية التركية الحديثة عام (1923) . كان عدد النواب الكرد يتجاوز السبعين . ووعد الجنرال مصطفى كمال، وهو من سالونيك وليس من أصل تركي، القادة الكرد بمنح بلادهم حكماً ذاتياً واسعاً مقابل مساندتهم له في الانتصار على أعداء البلاد. ولكن سرعان ما ندم أتاتورك عن وعوده هذه . فاعتقل المناوئين له، وعندما تم اعتقال بعض قادة جمعية آزادي (خالد جبران و يوسف ضياء) في خريف عام (1924)، تم اختيار الشيخ سعيد رئيسا للجمعية التي عقدت مؤتمرا في تشرين الثاني (1924) في حلب وقرر المشاركون القيام بانتفاضة شاملة لنيل الحقوق القومية الكردية، على أن تندلع في يوم 21آذار (1925) . اتجه الشيخ سعيد بقواته إلى ديار بكر إذ كانت الحكومة التركية قد أعدت جيشا كبيرا للقضاء على هذه الثورة . وفرض الثوار الحصار على مدينة ديار بكر التي صمدت في وجههم حتى وصول القوات التركية المعززة بالأسلحة الثقيلة ولم يتمكن الثوار من السيطرة على المدينة رغم اقتحامهم لها،فأمر الشيخ سعيد قواته بالتراجع، وقد حاصرت القوات التركية الثوار ومنعتهم من دخول العراق وسوريا وإيران . وفي أواسط نيسان تم اعتقال الشيخ سعيد مع عدد من قادة الانتفاضة التي خمدت نارها شيئا فشيئا، وفي نهاية أيار تمت محاكمة الشيخ سعيد وقادة الانتفاضة الآخرين وبعد محاكمة صورية صدر الحكم بالإعدام بحقه مع(47) من قادة الثورة ونفذ حكم الإعدام فيهم في 30 أيار 1925 في ساحة المسجد الكبير بمدينة ديار بكر. كمال مظهر ، كردستان في سنوات الحرب ، ص201 .

البدرخانية عموماً في الحركة القومية الكوردية . ويؤكد انه في سنة (1880) رفع الشيخ عبيد الله النهري لأول مرة في تأريخ المنطقة ربما بعد الأرمن فقط قبل الشعوب الأخرى التي ضمن الإمبراطورية العثمانية، شعار الاستقلال السياسي عن الدولة العثمانية وكذلك عن الدولة الصفوية لأن حركته كانت واسعة وامتدت الى طرفي الإمبراطورية ورفع شعار الاستقلال بوضوح . ونوه بأن الوثائق الدبلوماسية الانكليزية والروسية تحدثت عن هذا الموضوع ، مقارنا بين العرب والكورد في هذا المجال ، إذ أكد أن الكورد سبقوا العرب في رفع شعار الاستقلال ، فقد رفع العرب هذا الشعار مرة في عام (1916) بينما رفعه الشيخ عبيد الله النهري سنة (1880). وأكثر من ذلك ، أشار الى جريدة كوردستان 22/ نيسان 1898 ، التي ذكر أن موضوعاتها في ذلك الوقت ، طافحة والى حد كبيرة بالمشاعر القومية . وأشار الى ملامح هذه الحركة ، مؤكداً أنها كانت حركة تحررية بكل ما للكلمة من معنى ، فقد اتخذت اتجاهاً متسامحاً مع الأقليات المسيحية و هذا شيء مهم كما يراه ، فإن العاطفة الدينية لم تتغلب على عقول الثوار ، فقد اتخذت الحركة اتجاهاً ديمقراطياً كهذا، بل ويرى أن ذلك شيء ايجابي ويسجل للحركة الكوردية ولانتفاضة الشيخ عبيد الله ، تميزاً دون ريب .

كمال وقيام دولة كردية :-

ليس بغريب على المرء أن يعيش في وضع يشعره بوجوده الإنساني ، وهذا يتحقق حينما يكون ضمن كيان يستقل فيه عن الآخرين ، بحيث لا يمكن لأحد أن يرسم له مساره في الحياة ، او آلية التفكير وكيفية التعامل وهذا الطرح ينقلنا إلى تساؤل يطرح نفسه أمام مؤرخنا يتمحور حول إمكانية قيام دولة كردية ضمن دولة العراق ، فوجدناه يجيب عن هذا التساؤل من خلال محاور عدة ، فهو يؤمن أن الخلل في هذا الأمر يكمن في الاعتراف بحق تقرير المصير من قبل الآخر ، لأن المهم أن يعترف للمقابل بالحق، وهو أمر لا يعني الانفصال ، بل يراه العكس- فاحترام الجانب الآخر ، يعني الدفع بالتوجهات الانفصالية جانبا، ويستذكر ملاحظة الأستاذ مسعود بارزاني حول الظرف العالمي الراهن الذي يتجه نحو إلغاء الحدود القائمة وربط الدول مع بعضها من خلال العولمة ، الأمر الذي يعني إن إنشاء دولة كردية سيكون مخالفا لمنطق المجتمع المعاصر، ناهيك طبعا عن العوائق السياسية الأخرى التي تمنع ذلك في الوقت الحاضر على الأقل، ولكن ينبغي التذكير هنا أن الكرد رفعوا شعار الاستقلال في التاريخ الحديث قبل كثير من شعوب المنطقة .

اليقظة الفكرية الحديثة عند الكرد كما يراها كمال مظهر :-

يرى كمال ان ما شكلته معاهدة سيفر (10 اب 1920) المعقودة بين الحلفاء المنتصرين وبين الدولة العثمانية المهزومة ، كانت بداية لتنامي الشعور باليقظة الفكرية عند الكرد ، ولا سيما أن هذه المعاهدة كانت قد تضمنت فصلاً خاصاً يتحدث عن استقلال كوردستان في مواد ثلاث (62و 63 و 64) وأخذ عنوان "كوردستان ، تحديد هوية الكورد، مواطنهم، تأسيس دولتهم و كيفية تأسيس هذه الدولة" . ووجد أن الأمر السيئ في هذه المعاهدة ، أن أصحابها لم يحترموا ما وضعوه من بنود بل نكثوا بوعودهم ، ولم يشيروا بعد انتهاء التوقيع على المعاهدة لا من قريب أو بعيد إلى مظاهر مطالب الكرد او على الأقل إشارة الى تلك البنود ، في وقت تمتعت كيانات وشعوب في المنطقة ، حصلت على حقوق إضافية وهي ألان دول . وأمام ذلك يقف الدكتور مطالباً بضرورة الانتباه إلى أن حالة معينة كانت تتطلب الوجود الكوردي في معاهدة دولية على هذا المستوى ، ليطلق تساؤلات تتطلب إجابات مفادها:

***ما الذي حصل ؟ الم يستطع الكورد أن يواكبوا التطور؟ ولماذا تنصلت هذه الدول،ومعها عصبة الأمم عن عهودها وشرعيتها ؟ ولكي لا يبقي المسألة معلقة بطرح تساؤلاته تلك ، راح يجيب عليها من خلال تأكيده بأن الكرد لم**

لم يقصروا في طريق خاضوا غمار نضال تحرري واسع في جميع أجزاء كردستان ودون استثناء ، ولكن قدرهم كان النضال بكل أنواعه ، مشيراً إلى مرحلة انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا، على أنها مثلت خطوة متقدمة في فتح الأبواب أمام شعوب المنطقة ، باستثناء الكرد ، حين وجد أن خدمة القضية الكردية في المنطقة من قبل هذه الدولة العظمى ، كان قد خضع للمساومات وتفضيل المصلحة السياسية لهم ، في مقابل التخلي عن حق هذا الشعب عندما أصبحت لهم حدود مع كل الدول التي يشكل الكرد فيها ثقلا بشرياً مؤثراً حين أصبحت لديه حدود مشتركة مع إيران لمسافة 2.500 كم وحدود مشتركة مع الدولة العثمانية وتركيا فيما بعد لمسافة 700 كم فكان على الاتحاد السوفيتي أن يحسب لهذا المتغير ألف حساب .

وأمام هذا التفسير الدقيق والموضوعي لحركة تاريخ تلك المنطقة ، وجد كمال ان الكورد بقوا محصورين في منطقتهم الجبلية ، ولم يبدي تشاؤمه من تلك المحصلة المؤلمة لتصارع القوى وما خلفته من ضحايا اغلبها من الشعوب ، بل وجد أن الله سبحانه وتعالى ، أراد تعويض تلك النفوس الحائرة والمتضايقة من بنو جلدتها ، بأن وهبهم ما كانوا بحاجة إلى أن يخرجوا عنه ، هي المنطقة الجبلية ، إذ فيها كل ما هو جميل بما فيه الكفاية من الحاجات الاقتصادية الضرورية ، ويعود ليقول بضرورة حاجة شعبه الى البحر، وهذه الأمور وجدها قد تفاعلت فيما بينها وانعكست سلباً على مصير الكورد ، وهذا التفاعل عده بمثابة حافز ، بل وورقة ضغط على الغرب وعلى الاتحاد السوفيتي ـ سابقا ـ كقطبين متناقضين أن يحسبوا الحساب لإيران وان يحسبا الحساب لتركيا والحركة الكمالية أكثر ، مما يحسب الحساب للشعب الكوردي ، لا سيما لحركة الشيخ محمود الذي بدوره بعث برسالة خاصة الى السلطة السوفيتية عن طريق القنصلية السوفيتية في تبريز ، يطالبهم النظر بموضوعية لقضية شعبه .

سقوط الدولة في نظره :-

فيما يتعلق بسقوط الدول يرى الدكتور كمال مظهر احمد وبوصفه مؤرخا أن العوامل الداخلية هي الأساس في وقوع الحدث التاريخي ، في حين يرى أن العوامل الخارجية لا يمكن إلا أن تكون عوامل مساعدة مشترطا لتحقيق ذلك ، توفر الظروف المناسبة او التربة المناسبة لكي تفعل العوامل الخارجية فعلها . ويسوق للتدليل على ذلك مثلا فيقول : عندما يحاولون اليوم إلقاء تبعة انهيار الاتحاد السوفيتي السابق على شخص غورباتشوف او المخابرات الأمريكية ..فإنني أقول من خلال المتابعة الدقيقة ، أن المخابرات السوفيتية كانت أقوى بكثير من المخابرات الأمريكية حتى انه شخصا مثل وزير الدفاع الفرنسي في عهد ميتران ، كان على ارتباط بالمخابرات السوفيتية ، ومع ذلك تمكن الغرب من النيل من الاتحاد السوفيتي لان النيل كان في الانهيار الداخلي .. ومن ذلك يرى مؤرخنا ضرورة إعادة النظر في المواقف المطروحة إزاء هذا الحدث .

رؤيته لما كتب من تاريخ العراق المعاصر :

يقول الباحث د.كمال مظهر أحمد: «وفي الواقع أن أكبر خطأ قاتل ارتكبه النظام (الملكي) في العراق يكمن في موقفه من الديمقراطية، فعلى العكس من منطق الأشياء، سار الخط البياني لتطور الديمقراطية في العهد الملكي من الأعلى إلى الأسفل، لا من الأسفل إلى الأعلى، ويتحمل الجميع وزر ذلك، ولكن بدرجات متفاوتة . ويعتقد أن نوري السعيد وعبد الإله يتحملان الوزر الأكبر ، إذ كان بإمكانهما تجنب الكوارث التي حصلت بسبب تهورهما واستهانتهما بالجماهير واضطهادهما للقوى الوطنية التي كانت تشكل معارضة ديمقراطية ولم تلجأ يوماً إلى العنف عدى المظاهرات التي كانت سلمية وكانت السلطات هي التي تواجهها بالعنف الدموي . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، يشير الى ما عمد إليه نوري السعيد من حلٍ للبرلمان عام 1954 بعد يوم واحد فقط من افتتاحه بخطاب العرش بسبب فوز أحد عشر نائباً من المعارضة من مجموع

مائة وخمسة وثلاثين نائباً . ويتساءل عن تأثير أحد عشر نائباً معارضاً من مجموع (135) نائباً على قرارات السلطة الحاكمة؟ مؤكدا انه دليل على استهتار العهد الملكي بالديمقراطية ؟ . ويسوق مثالا آخر على هذه الشاكلة ، هو حكاية السيد عبد الكريم الأزري إذ باتت معروفة ومفادها أنه تلقى صباح أحد الأيام مكالمة هاتفية من قريب له يهنئه على فوزه نائباً عن مدينة الديوانية وهو لم يرشح نفسه لأية دائرة انتخابية .

وعن بداية موجة الانقلابات العسكرية في تاريخ العراق المعاصر يرى أن عام 1937 هي سنة فاتحة الأحداث في العراق ، وفي تشرين الأول 1936 تحديداً ، وقع انقلاب بكر صدقي وتألفت حكومة حكمت سليمان . فكانت هذه المرحلة فاتحة الأحداث والمتغيرات إلى أن قتل بكر صدقي وهو في طريقه إلى تركيا . في كل الأحوال تكونت حكومة حكمت سليمان ، وكان تكوين هذه الحكومة خطوة للأمام ، مؤكداً أن كثيراً من الآراء والأفكار بشأن هذه الحكومة كان بحاجة الى إعادة النظر ، فقد اتهم بكر صدقي بأنه يميل الى الانكليز ، لكنه في الحقيقة كان يميل الى النازية ومعجب بألمانيا النازية ، وقد أشار اللواء الركن (إبراهيم الراوي) في مذكراته ، وبإسهاب عن مدى كره (بكر صدقي) للانكليز ، وكذا الحال في مذكرات فؤاد عارف مرافق للملك غازي . وفي يوم افتتاح مطار الشعيبة ، كان السفير البريطاني يتحدث مع شخص من المقربين ومع الملك غازي مؤكداً أن بكر صدقي كان يحلم بافتتاح هذا المشروع ، ولكنهم كرسوا مبالغ طائلة ، تقرب من ألف باون للقضاء عليه .

ومن ذلك يرى كمال أن العديد من صفحات تاريخ العراق بحاجة إلى إعادة نظر على أساس موضوعي وتحليلي ، ولاسيما أن أجيالا قد انتهت ، وانتهى أولئك الذين يؤثرون في تدوين هذا التاريخ . ويرى ضرورة أن يبدأ التغيير في كتابة التاريخ من مراحل الدراسة الأولى ، فالكتب المدرسية كما يراها ، قد شوهت الى درجة كبيرة ، بل ويرى أن المتبرعين للتشويه كانوا كثيرين ، مما يستدعي الأسف الشديد . مؤكدا أن لجانا كانت تؤلف بعض الكتب المدرسية وكان مستوى بعض أعضاء هذه اللجان لا يرقى إطلاقا لمثل هذه الهامة . وعلى وفق مكانته العلمية ، فقد تعامل مؤرخنا مباشرة مع هذه الكتب ، ولا سيما إبان السبعينات حين الاشتراك في ترجمة بعض الكتب المدرسية من اللغة العربية الى اللغة الكردية ، إذ وجد خللاً لغوياً في بعضها ، فأشار وأعطى نوعا من البدائل التي تنطلق من نظرة تحديثية . وإزاء ذلك ، ارتأى إعادة الكتب التي كانت مقررة في العهد الملكي مع بعض التغيرات لمواكبة روح العصر .



تأريخ التاريخ ، مناهج وآراء ، ولعل من بين هذه المناهج ما رفع لواءه الدكتور كمال مظهر أحمد ، حين وجد ضرورة تقليب الوقائع ومقارنتها بالوثائق والتقارير ، وفسح المجال للاستنتاج بعيدا عن العواطف والدوافع الشخصية وتراكم فورات الغضب التي تحتل حيزاً كبيراً في عقول متابعي الأحداث ، وهي بالتأكيد بعيدة عن الموضوعية بشكل عام .

وما يجب الإشارة إليه ، هناك حقيقة معلوم أمرها عند المعنيين بدراسة التاريخ وكتابته ، أن المرء هو ابن الجو الذي يعيشه . وهذه الحقيقة تجيز لنا الحديث عن الجو المعرفي الذي ترعرعت فيه أفكار ورؤى الدكتور مظهر ، إذ تخرج في مدرسة للأستشراق السوفيتي ، الأمر الذي ألزم به نفسه بما تذهب إليه هذه المدرسة من تفسير لحركة التاريخ ، وهو المنحى المادي ، حين اعتمد الفلسفة المادية والتحليل على أسس طبقية ، من دون إغفال لفعل العامل السياسي، وتأثيره على سير حركة التاريخ . ويبدو أن تلك المزيات التي امتاز بها مؤرخنا ، جعلته متحسساً لما اعتورت عملية التدوين التاريخي من تداع وما اكتنفها من ثغرات خطيرة ، أفسدت أمام شعوب المنطقة متعة متابعة التاريخ الحقيقي لبلدانهم ، وهو ما دعا إلى ظهور فكرة إعادة كتابة التاريخ على أسس علمية وموضوعية ، مبنية على التحليل المنطقي والواعي المدرك ، لماهية العبرة من التاريخ ومن تجاربه .

ومن خلال اطلاعنا على منهج الدكتور كمال في كتابة التاريخ ، تجلى لنا بوضوح تأكيده على ضرورة الاعتماد في بيان الحقيقة التاريخية على المجاميع الوثائقية والتعامل معها بحيادية وموضوعية تامة ، لا سيما تلك الوثائق التي أرخت للحقب السابقة ، والعمل على دراستها وتحليلها وتمحيصها لاستخلاص الحقيقة منها ، مما يدعو الى مقارنتها بالمذكرات الشخصية والمحاضر والصحافة والشخصيات الوطنية التي عاصرت الأحداث ، لتمكين الباحث من التصدي للواقعة وتحليلها وكتابتها على وفق سياقها العام من حيث التوثيق والتوضيح والتسلسل المنطقي .

وتأكيداً منه على ضرورة الحيادية في التدوين لأحداث التاريخ ، يرى من الصعوبة بمكان تنكر المرء لأصله ومع ذلك ، فلا يجوز له أيضا ترك العنان لمشاعره ومصالحه الخاصة وأهوائه ونزعاته النفسية ، بأن تتدخل في عرض القضايا التاريخية ، بل يراها ثابتة لا تتغير . ويستطرد في طرحه هذا قائلاً :

((اليوم قد تكون الحقيقة التاريخية غير معروفة لكن في الغد فأن هذه الحقيقة ستكون معروفة، فمن الأفضل أن نقول الحقيقة التاريخية كما هي وان نبحث عن الدوافع والأسباب ونحللها)) .

وكما عهدناه منذ السنوات الأولى لتتلمذنا عليه ، فقد وجدناه متمسكاً ليس فقط بمنهجيته الصارمة المبنية على أساس تقصي الحقائق في التاريخ، إنما ألفناه ملتزماً بمقومات الباحث العلمي والمنتج المعطاء ، مما جعل من كتاباته وتحليلاته ، متميزة بوضوح تام ، لدرجة أن أوجد توجهاً لدى عدد من الباحثين، حين راحوا يحذون حذوه في كتابة التاريخ .

إن الدكتور كمال مظهر صاحب التجربة الأكاديمية الطويلة ، أستطاع أن يمهد لمدرسة تاريخية تضم كل الأصوات الداعية لاعتماد الحقيقة الموضوعية في الكتابة التاريخية ،أراد أن يكون واجهة ضد أي تيار يبغي تشوية التاريخ ، لدوافع سياسية او طائفية . وهذا النهج المؤسس على قاعدة صحيحة ، أدى إلى أن يكّون نهجاً مطلوباً لتسير على وفقه عملية تدوين الأحداث والوقائع بصورة متوازنة وصحيحة . ولقد تلمسنا من خلال رؤاه الفكرية والتاريخية الكثيرة ، انه وان لم يخلو من العاطفة في كتاباته ، لاسيما في كتاباته الكثيرة عن تاريخ الكرد ،

ودفاعه اللامتناهي عن قضيتهم ، فانه تمكن من تذويب تلك العاطفة المرفوضة في نهج الباحث في التاريخ بحيث يُشعر القاريء بموضوعية الطرح وبفهمٍ لواقعية سرده التاريخي ، ولا سيما وان ما ينتقي من موضوعات لم يتركها سائبة ، بقدر ما يعمد إلى محاورتها بتحليل علمي معتمداً على الحقائق التاريخية في ذلك الحوار . وهو بالتالي يعد من دعاة تعديل الانحرافات غير الموضوعية التي تكتنف دراساتنا التاريخية ، ومدى ضرورة أعادة النظر في عدد غير قليل من الأحكام التاريخية الشائعة غير المنصفة . ومع ذلك ، وعلى الرغم مما أتسم به من الحياديه التاريخية ، لدرجة يمكن عده ظاهرة من ظواهر النتاج المعرفي والثقافي العراقي الأصيل ، وهو ما يمكن أن يستشف في كتاباته التي تبدو أنها تختلف عن قناعاته الفكرية وكونها تنتمي إلى خنادق نقيضه للخندق الذي ينتمي إليه ، في كل ذلك فأنه لا يتفق ومبدأ من لم ينصرني ، فهو عدوي ، مؤكداً أن هذا التوجه لا يعنى به سوى من طوع التاريخ لرغباته وأرائه السياسية مما سيتسبب في تشويه وتلفيق أحداث التاريخ . وأخيراً نقول أن كمال مظهر أحمد عقلية علمية أصيلة ، قلما ستحظى مؤسساتنا الأكاديمية بمثلها .

أما منهجية التاريخ عنده ، فترتكز على أساس الحقيقة التاريخية ، مُسقط من حسابه كل النوازع الأخرى التي يمكن أن تقود الباحث إلى غير وجهته ، وهذه المنهجية وأن بدت في العهد البائد بعيدة عن الواقع وتعتمدها القلة من المؤرخين الذين أصروا على أن تكون منهجيتهم خارج أطار مناهج السلطة ، ومع كل إمكانيات السلطات البائدة ، كانت وما زالت بعض الأصوات الناصعة والعراقية الأصيلة ، تكتب بقلم شريف . وهذا هو منهج اعتماد الحقيقة ، والتي يعد الدكتور كمال مظهر أحمد من دعاتها وشخوصها اللامعين .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :- ـ احمد ، كمال مظهر :

ـ من مذكراته ، كتابة على الآلة الطابعة

ثانياً : الكتب المطبوعة العربية والمعربة :-

- **أحمد ، كمال مظهر :-**

*** دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية ، بغداد ، 1978 .**

*** أضواء على قضايا دولية في الشرق ألأوسط ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، 1978**

*** الطبقة العاملة العراقية ، التكون وبدايات التحرك ، دار الرشيد للنشر ، 1981 .**

*** كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ترجمة محمد الملا عبد الكريم ، ط2،بغداد ، 1984 .**

*** صفحات من تاريخ العراق المعاصر ، دراسات تحليلية ، بغداد ، 1987 .**

*** كركوك وتوابعها، حكم التاريخ والضمير ، دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق ، ج1 ، مطبوعات وزارة الثقافة لحكومة إقليم كردستان ، دت .**

*** بابا مردوخ روحاني (شيوا)، تاريخ مشاهير الكرد باللغة الفارسية ، المجلد الثاني ، الطبعة الثانية، منشورات سروش _ طهران 1382 هجري شمسي**
*** جمال أسد مزعل ، نظام التعليم في العراق ، جامعة الموصل ، 1990 .**
*** حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي: نشر مكتبة النهضة المصرية: القاهرة: الطبعة السابعة: 1965م ، ج3.**
*** رانفين . ك .ك.الأسطورة ، ترجمة صادق الخليلي ، منشورات عويدات ، باريس ، 1981**
*** الزيات ، احمد حسن: تاريخ الأدب العربي: مطبعة الرسالة: القاهرة: الطبعة الحادية عشرة: *مردوخ روحاني (شيوا)، تاريخ مشاهير الكرد باللغة الفارسية ، المجلد الثاني ، الطبعة الثانية، منشورات سروش .**
*** أبو العلاء المعري: ديوان اللزوميات: نشر: دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت: 1961م: ط1 .**
*** العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي (تافرينييه) علق حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد 1944 في الجزء الأول من الترجمة العربية لسليم طه التكريتي الذي طبع في بغداد بمساعدة المجمع العلمي العراقي بعنوان " رحلتي إلى العراق سنة 1866 .**
*** علي شاكر علي: تاريخ العراق في العهد العثماني 1638-1750، (الموصل، 1985)**
*** وليم كليفلاند ، ساطع الحصري : من الفكرة العثمانية إلى العروبة ، بيروت : 1983 .**

ثالثا :- الصحف والمجلات :-

- الأهالي ،(جريدة) ،عدد 27،حزيران ، بغداد ، 1952 .
- العربي : (مجلة) ، الكويت ، عدد 85 ، شعبان 1385/ ديسمبر 1965م .
- بين النهرين (مجلة) السنة الثامنة، عدد(31)، الموصل ، 1980 ، ص 327 .
- البغدادية (جريدة) ، عدد يوم 21 تموز 2001 .
- طريق الشعب (جريدة) ، العدد71، 2005 .
- المنار (جريدة) عدد يوم 6آذار، (2006) ، بغداد

رابعا :- مطبوعات حكومية :-

- الجمهورية العراقية ، الدليل الرسمي العراقي لسنة 1936 ، بغداد ،1935.